

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة -1-

قسم اللغة العربية وآدابها



كلية اللغة والأدب العربي والفنون

البنية الدلالية للأشغال القياسية في القرآن الكريم

أطروحة مقرمة لنيل درجة وكتوراه العلوم في علوم اللسان

إشراف الأستاذ الدكتور:

جودي مرداسي

إعداد الطالبة:

أم كلثوم حويشي

أعضاء لجنة المناقشة

الرتبة	الجامعة	الصفة	الاسم و اللقب
رئيسا	جامعة باتنة 1	أ.ت.ع	أ.د. لخضر بلخير
مشرفا	جامعة باتنة 1	أ.ت.ع	أ.د. جودي مرداسي
عضوا	جامعة باتنة 1	أ.م.أ	د. توفيق بن خميس
عضوا	جامعة المسيلة	أ.م.أ	د. نور عبد الرشيد
عضوا	جامعة تبسة	أ.م.أ	د. الحاج بن سراي
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة-	أ.ت.ع	أ.د. ذهبية بورويس

السنة الجامعية: 2018-2019/1439-1440م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي لم يستفتح بأفضل من اسمه كلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن المثل حكمة الشعب وتاريخه، وهو الصورة الصادقة لحياة الشعوب والأمم، فيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر أمد بعيد من حضارتها. وهو الخلاصة المركزة لمعانها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها. نجد في طيات الأمثال مختلف التعبيرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها بأساليب متنوعة، وقد قيل إن ضرب المثل لم يأت إلا رد فعل عميق لما في النفس من مشاعر وأحاسيس جاءت نتيجة للمؤثرات الشعورية التي اختفت في العقل الباطن. فجاء سلوكه تعبيراً عن عمق المؤثرات التي دعت إلى ضرب المثل.

إن الأمثال تراث زاخر لاقى في أوساط العرب رواجاً واسعاً، فتناقلوها وحرصوا على حفظها كيف لا وقد انبثقت تلك الأمثال من صميم البيئة العربية الاجتماعية، وظروفهم، وأحوالهم، فكثيراً ما ارتبطت بالحروب، والمناسبات، والأحداث، فكانت خير مترجم للقيم العربية التي ميزت العربي عن غيره، فاحتلت بذلك الأمثال مكانة رفيعة في اللغة، وكانت مظهراً من مظاهر الحياة العقلية عند العرب. وقد وصفها ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد" بقوله: «الأمثال وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني التي تحيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر ولا عمَّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل...» وقد ضرب الله عزَّ وجل الأمثال في كتابه وضرَّها رسول الله ﷺ في كلامه، قال الله عزَّ وجل ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73] ومثل هذا كثير في آي القرآن⁽¹⁾.

وتنفرد الأمثال القرآنية عمّا سواها من الأمثال باندراجها ضمن النص القرآني مما يحفظ لها بقاءها وخصوصيتها وجدتها، إذ تصلح كل زمان، وفي كل مكان. وقد لقيت الأمثال القرآنية عناية واهتماماً من قبل العلماء والدارسين، ومن أوسع الكتب التي تناولت الأمثال القرآنية كتاب "أمثال القرآن" للإمام ابن القيم -رحمه الله- وهو في الأصل جزء من كتابه "إعلام الموقعين" تكلم فيه عن الأمثال للتدليل على أن القرآن أرشد إلى القياس في آياته. ومن هنا كانت الانطلاقة الحقيقية لموضوع الدراسة حيث استقرت على دراسة الأمثال القرآنية القياسية، لأنها محددة المعالم مقارنة بباقي أنواع الأمثال القرآنية الأخرى.

(1) _ العقد الفريد، ابن عبد ربه تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، أحمد الأنباري، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1384هـ، 2/63.

أما المحدثون من الدارسين و الباحثين، فقد تناولوا الأمثال بالدراسة والتحليل، فمنهم من كان كتابه متضمنا الحديث عن طبيعة المثل، وأهميته، و فوائده، ومن أمثلة ذلك: كتاب "الأمثال العربية و الأمثال العامية، مقارنة دلالية"، لاسماعيل الحمزاوي، وكتاب "الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية"، لعبد المجيد قطامش، و غير ذلك من الكتب، والتي كان يقتصر انتفاعي منها على ما جاء في الفصل الأول من البحث.

أما المؤلفات الحديثة في أمثال القرآن، فقد تناولت الأمثال من جوانب متعددة، فهناك مؤلفات تعنى بالنواحي الأدبية و البلاغية لأمثال القرآن، مثل كتاب "أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع"، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني. وكتاب "الأمثال القرآنية دراسة تحليلية" لمحمد بكر إسماعيل، وكتاب "الأمثال في القرآن، دراسة موضوعية و أسلوبية"، للصادق بن محمد بوعلام. وكتاب "الأمثال القرآنية دراسة لغوية"، لجمال الدين ماينغ جنغ. و أما الرسائل العلمية فنذكر منها: "وجوه البيان في أمثال القرآن"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، إعداد الطالبة: سميرة عدلي، و "الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يصاده من الشرك"، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد الطالب إبراهيم بن عبد الله الجربوع. و"الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله" لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.

و يكتسب الموضوع أهميته من أهمية القرآن الكريم من جهة، وما للأمثال من مكانة رفيعة من جهة أخرى، ولدور الأمثال البارز في الإقناع، والتأثير، وسرعة الإفهام، وإزالة الإبهام، و الإشكال، لما تحتويه من معان دقيقة متضمنة للحكمة غايتها إصلاح النفوس، و تهذيب الضمائر، وتنوير البصائر لتستقيم الأخلاق، وتصحح العقائد، و تهتدي الأبصار.

وبعد اختيار الأمثال القرآنية القياسية موضوعا للدراسة جاء البحث موسوما ب"البنية الدلالية للأمثال القياسية في القرآن الكريم". و انطلقت بعد ذلك من جملة إشكاليات حاولت الإجابة عنها، ومنها:

- ما الذي يمكن أن تضيفه البنية المثلية في استكشاف البنى الدلالية للأمثال القرآنية القياسية؟

- ما أثر البنى الصوتية، والصرفية، والتركيبية في التشكيل الدلالي للأمثال القياسية. وما يمكن أن تضيفه من دلالات، وإيحاءات، ومعان؟

وتهدف الدراسة إلى:

- تذوق جمال النظم الأسلوبية التمثيلية في القرآن الكريم، ومحاولة تدبر مضامينه، والكشف عما اشتملت عليه الأمثال القياسية من حكم ومعان.

- محاولة الوقوف على خصوصية البنية القرآنية-الصوتية، والصرفية، والتركيبة للأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف اقتضت طبيعة البحث أن يتوزع على: أربع فصول و خاتمة.

-الفصل الأول: وكان مشتملا على مفاهيم واصطلاحات تعرّف بالموضوع، وتبرز معالمه وحدوده منها:- التعريف بالبنوية ونشأتها وأهم روادها، وأهم النظريات الدلالية التي اعتمدت عليها في البحث، لأنتقل بعدها إلى التعريف بالمثل وأنواعه، وأهميته، والفرق بين المثل والقصة والحكمة، وبين التمثيل والتشبيه الاصطلاحي، لأتحدث بعد ذلك عن المثل القرآني محددة معالمه وأنواعه وأهدافه.

- الفصل الثاني: اختص هذا الفصل بدراسة المكون الصوتي للأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم، وعلاقته بالمعنى. وكان موزعا على مراحل، عرّفت في أولها بالصوت اللغوي، وجهاز النطق، لأنتقل بعدها إلى تصنيف الأصوات، وتحديد ما تحمله من ظلال وإيحاءات. وبعد ذلك كان الحديث عن المقاطع الصوتية ودلالاتها في الأمثال القياسية، لأختتم بالنبر والتنغيم محاولة مني الوقوف على خصوصية البنية الصوتية للأمثال القياسية

-الفصل الثالث: ودرست فيه المكون الصرفي، وإلى أي مدى ساهم في إبراز الجمال اللغوي والفني للأمثال القياسية، وهل كان الاعتماد على هيكل الصيغ الصرفية كاف للوصول إلى المعنى المراد، أم وجب دراسة تلك الصيغ ضمن سياقاتها التي وظفت فيها. وكان لزاما علي التعريف ببعض المفاهيم، كالميزان الصرفي، والصيغة الصرفية، لأفصل القول فيما بعد عن الفعل و دلالاته، ثم تناولت الاسم و المصدر بالدراسة و التحليل مستندة في ذلك على جداول إحصائية، لأنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أبنية المشتقات و دلالاتها، ثم قمت بمعالجة ظاهرة التعريف و التنكير و الإفراد والجمع، وما يمكن أن تضيفه من معان و دلالات .

- الفصل الرابع: كان المكون التركيبي محور الدراسة روما إلى تحديد خصائص البنية التركيبية للأمثال القياسية القرآنية، وكيف كانت عاملا من عوامل إبراز المعنى وتحديدده، بله مظهرا من مظاهر

الإعجاز في القرآن الكريم، فكان البدء بالحديث عن الجملة الاسمية و الفعلية مركزة على الجانب الوظيفي، ثم درست التراكيب اللغوية باحثة عن تلك الظلال والإيحاءات التي جادت بها تلك التراكيب. ولتكون بعض الظواهر التركيبية، كالحذف، والتقديم، والتأخير محط الاهتمام و الدراسة محاولة مني الوقوف على أهم ما تميّزت به البنية التركيبية للأمثال القياسية القرآنية.

- الخاتمة: وسقت فيها نتائج البحث.

واقترضت طبيعة البحث أن تفرض اتباع المنهج الوصفي مع آلية التحليل القائم على وصف البنى وتحليلها ضمن سياقها القرآني. ومن أجل تيسير الدراسة وفق خطة عملية كان واجبا علي الاعتماد على جداول إحصائية للتدليل على كل ظاهرة لغوية استدعت التحليل بغية الوصول إلى نتائج عملية علمية.

وكان عمدتنا في هذه الدراسة بعد القرآن الكريم برواية حفص مجموعة من المصادر والمراجع التي تنوعت تبعاً لتنوع المستويات اللغوية المدروسة من جهة، والحاجة الماسة إلى فهم ما تشتمل عليه الأمثال القياسية من معان، فكان التوجه إلى جملة من التفاسير القرآنية منها:

تفسير الكشاف للزمخشري، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرزاي، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، و البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي.

وتنوعت فيما بعد المراجع تبعاً للمستوى اللغوي المدروس ومن أهمها:

الكتاب، لسيبويه، الخصائص، لابن جني، دلائل الإعجاز للجرجاني، الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، التصوير الفني في القرآن، للسيد قطب، و البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، من أسرار اللغة، لإبراهيم أنيس.

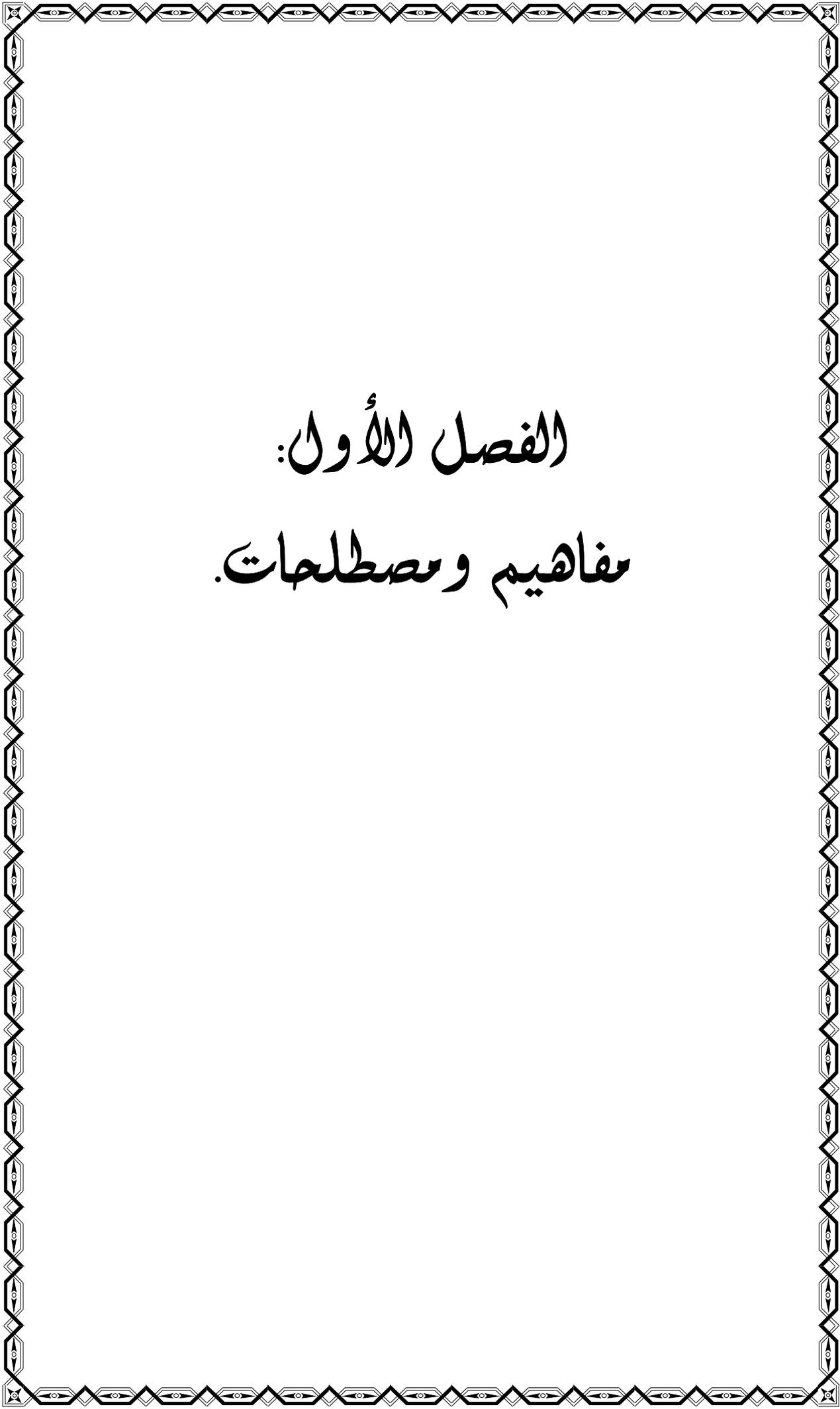
ولقد واجهتني في هذا البحث صعوبات، ترجع إلى أسباب عدة، منها:

- ارتباط موضوع الدراسة بالقرآن الكريم. مما يتطلب الثبوت، وتحري الدقة، والتركيز، والبحث في كتب التفسير والمراجع الموثوقة قبل نقل الأقوال، وإصدار الأحكام.

-سعة الموضوع لارتباطه بالمستويات اللغوية الثلاثة: صوتي، صرفي تركيب، مما جعل عملية الجمع والإحصاء والتحليل صعبة تحتاج التركيز والتأني قبل إصدار الأحكام.

ولا يسعني أخيراً إلا أن أشكر كل من كان له إسهام من بعيد أو قريب بدء بالأستاذ

المشرف: الدكتور الجودي مرداسي الذي لم ييخل على البحث بوقته، ولا بنصائحه الثمينة، ولا بجرصه الشديد الصادق لإتمام هذا البحث ، كما أشكر اللجنة الموقرة على قراءة البحث وما ستفضل به من نصائح وملاحظات قيمة و جلييلة .



الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات.

-البنوية مفهومها ونشأتها:

إن اللغة ترجمان الفكر ولسان حال الشعراء والأدباء، ومع ظهور الحضارة الإسلامية شهدت الدراسات اللغوية ازدهارا وعرفت منحى تصاعديا، وكما تشعبت الطرق التي سارت فيها الجهود اللغوية عند العرب القدماء الذين اهتموا بالبحث في أسرار إعجاز القرآن. وقد عمدت إلى تحديد بعض المفاهيم، أولها مصطلح البنية.

إن المتصفح لمعظم المعاجم العربية يجدها تربط مفهوم البنية بالبناء والتشييد، فقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: «الباء والنون والياء أصل واحد هو بناء لشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول: بنيت البناء أبنيه»⁽¹⁾.

وجاء في لسان العرب: «البنية والبنية ما بنيته وهو المبني والبنى، ويقال بنية مثل رشوة ورشا، كأن البينة الهيئة التي بنى عليها مثل المشية والركبة»⁽²⁾. وعليه فالبنية تنطوي في المعنى اللغوي الدال على البناء والتشييد والضم، فهي تدل على الشيء المبني كما تدل على هيئته وشكله.

ويتميز الاستخدام القديم لكلمة بنية في اللغات الأوروبية بالوضوح، فقد كانت تدل على الشكل الذي يشيد به مبنى ما، ثم لم تلبث أن اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء لتكون كلاما سواء أكان جسما حيا، أم معدنيا، أم قولاً لغويا⁽³⁾. وقد ظهرت البنية الأوربية مع فرديناند دي سوسير "Ferdinand de saussure" (1857-1913) ويعد أول منشئ لها لتكون مدرسة مستقلة ووضع لها أسسا قائمة بذاتها حيث حدد موضع علم اللغة ومصطلحاته ومنهج دراسته رافضا مبادئ الدراسة التاريخية والمنهج المقارن.

ويرى "دي سوسير" أن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاتها، واللغة عنده هي شكل تنتظم وفقه الأصوات والمتصورات⁽⁴⁾.

ويعد كتاب العالم "دي سوسير" أول مصدر للبنوية في الثقافة الغربية، فقد كانت البنية

⁽¹⁾ _ مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق محمد عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب 1423هـ/2002م، 303/1.

⁽²⁾ _ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط1، دت، 89/14.

⁽³⁾ _ نظرية البنية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، (1985 م)، ص 175-176.

⁽⁴⁾ _ علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربية، بغداد،

1985، ص 30.

بالنسبة له ترابط داخلي بين الوحدات التي تشكل نسقا لغويا لا تتصف بصفات باطنية بل باختلافها عن وحدات أخرى يمكن مقارنتها بها والوصول إلى الوحدة الصوتية. وبذلك كان له الفضل في كل الأعمال البنيوية الحديثة⁽¹⁾. ولكن سوسير لم يحظ في البلاد الأنجلوسكسونية بمثل ما حظي به في فرنسا من التقدير والتأثير، إذ يعتبر هناك من آباء العقل المعاصر الكبار⁽²⁾.

وإذا كان دور دي سوسير في اللسانيات البنيوية متمثلا في وضع فلسفة المنهج وتحديد مبادئه الرئيسية وتوضيح المعالم الكبرى لآلية عمله اللساني فإن دور أتباعه يتمثل في استثمار تلك المبادئ وتحديد مصطلحاتها واستكمال ديباجة المنظور المنهجي للبنيوية بصياغة النظريات وبلورة المفاهيم بعد الإطلاع على خاماتها في محاضرات دي سوسير⁽³⁾.

والبنيوية نظام يقوم على قوانين داخلية تتحكم فيه وعلاقات تربط المكونات بعضها ببعض دون الرجوع إلى عناصر خارجية، وتتميز بالشمولية والتحويل والتنظيم الذاتي⁽⁴⁾.

ويعرف هلسليف (1899-1965) البنية بقوله: «إن البنية كيان مستقل من العلائق بينها تبعية وخضوع داخليان تماما كهذه البنية التي تعتبر كلا لا يتجزأ، فهي تشكل وحدة مستقلة بين عناصرها من البنية قبل وجود الكل سواء على المستوى السيكلوجي أو الفيزيقي»⁽⁵⁾.

ويحدد بياجيه "piaget" سمات البنية في نقاط ثلاث:

-الكلية (الشمولية)- التحول- الانتظام الذاتي

وتعني: الشمولية أو الكلية ذلك التماسك الداخلي لعناصر البنية، فانتظام العناصر كامل بنفسه وليس مجرد تجميع للأجزاء المتفرقة، فالبنية تنبض بقوانينها الخاصة التي تضفي على مكوناتها سماتها من خلال العلاقات القائمة بينها، وهي علاقات وقوانين ذاتية داخلية يفقدها العنصر إذا خرج من البنية ويفقد خلال ذلك كيانه الأكبر الذي تحدده البنية⁽⁶⁾.

(1) _ البنيوية و ما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، جون ستروك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996 م، ص 10.

(2) _ المرجع نفسه، ص 20.

(3) _ مبادئ اللسانيات البنيوية، الطيب دبة، دار القصة للنشر 2001 م، ص 52.

(4) _ البنيوية في اللسانيات، محمد الحناش، دار الراشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (1980 م)، ص 101.

(5) _ L.H Hjelmslev sémantique structurale Essais, 1951, p100.

نقلا عن البنيوية في اللسانيات، محمد الحناش، ص 103.

(6) _ البنيوية، جان بياجيه، ترجمة عارف منينة، بشير أويري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، (1985 م)، ص 9.

وهذه البنية ليست جامدة وإنما متحولة حيث يتولد عن البنية عدد من العمليات التحويلية التي تهم من خلالها المادة الجديدة باستمرار، فالجملة يتخلف عنها عدد كبير من الجمل التي تبدو جديدة تماما مع أنها لا تخرج عن قواعد النظم اللغوي للجملة ويتم هذا التحول بفضل الانتظام أو التحكم الذاتي للبنية حيث لا تحتاج إلى شيء خارجها لتكسب عملياتها التحويلية صيغة مشروعة⁽¹⁾.

واستنتاجا مما سبق يمكن القول إن البنيوية فلسفة تقوم على الاهتمام بأمر الصورة (الشكل) والنموذج في أي نوع من أنواع المعرفة، أي أنها لا تهتم بأجزاء الظاهرة المدروسة في ذاتها وإنما بالعلاقات القائمة فيما بينها مما ينشئ فيما بينها لحمة من التناسق والترابط الذاتي، ويشكل بارتباط بعضها ببعض مفهوم الكلية الذي يسفر عن وجود خصائص تشترك فيها مجموعة من العناصر خلافا للخصائص التي يمكن تواجدها في كل عنصر منها على حدة، وبامتلاك العنصر الواحد تلك الخصائص المشتركة تصبح بينه وبين العناصر الأخرى علاقات انتساب وتقابل⁽²⁾.

فالبنية هي التنظيم الداخلي للنص المبرز للخطاب الذي يكشف عن طبيعة العلاقات والتفاعلات القائمة بين وحداته، وتنقسم إلى بنية كبرى وأخرى صغرى. والمقصود من البنية في الحديث عن طبيعة الخطاب هو البنية الكبرى دون الصغرى، وهي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للخطاب ويطلق عليها "منطق الخطاب"⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن البنيوية منهج فكري نقدي مادي يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها ويتم ذلك دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته الخاصة، فالبنية هي محل الدراسة والبنية تكفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الخارجة عنها.

2- الدلالة بين اللغة والاصطلاح:

الدلالة بفتح الدال وكسرها وضمها، والفتح أفصح من دل يدل إذا هدى ومنه دليل ودليلي والدليلي العالم بالدلالة⁽⁴⁾. ويقال: دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ودلولة سدد إليه، والمراد

(1) _ البنيوية، جان بياحيه، ص 9.

(2) _ مبادئ اللسانيات البنيوية، الطيب دبة، ص 43.

(3) _ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل عالم المعرفة، الكويت، م 1992، ص 256.

(4) _ تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001 م، (48/14).

بالتسديد إراءة الطريق⁽¹⁾. والدليل الأمانة في الشيء⁽²⁾.

وذكر الزمخشري أن من معاني الدلالة الهداية، فقال: «أدلت الطريق اهتديت إليه، ومن المجاز الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم أرشده إليه وسدده نحوه وهداه، ولي على هذا دلائل، وتناصرت أدلة العقل والسمع واستدل به عليه واقبلوا هدى الله ودليلاه»⁽³⁾.

انحصر المعنى اللغوي للدلالة عند القدماء بين الإرشاد والهداية والتسديد، والدلالة أعم من الإرشاد والهداية⁽⁴⁾. ذلك أن الدلالة هي «ما يمكن أن يستدل به قصد فاعله ذلك أم لم يقصد والشاهد أن أفعال البهائم تدل على حدثها وليس لها قصد إلى ذلك. والأفعال المحكمة دالة على علم فاعلها وإن لم يقصد فاعلها أن تكون دالة على ذلك»⁽⁵⁾.

ولقد تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية *Sémantique* لدى اللغوي الفرنسي ميشال بريال M.Bréal في أواخر القرن التاسع عشر (1883) ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو علم الدلالات⁽⁶⁾.

وأما الدلالة في الاصطلاح فهي: «ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى»⁽⁷⁾.

ويعرف علي الجرجاني الدلالة في كتابه "التعريفات" بقوله: «الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر الأول هو الدال والثاني هو المدلول»⁽⁸⁾.

وقد خص العلماء-قدامى ومحدثين، مفسرين وأصوليين، مناطق و فقهاء بيانين ولغويين -الدلالة بكثير من العناية والاهتمام ووضعوا لها تعريفات كثيرة كل بحسب تصوره واهتمامه نظرا لما تشكله اللغة من حيز عظيم من حياة الإنسان، كونها الوسيلة الأكثر إفصاحا عن الفكر وخوارج النفس.

(1) _ لسان العرب، ابن منظور، 247/11

(2) _ مقياس اللغة، ابن فارس، 211/2.

(3) _ أساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ط1، (1427هـ، 2006م)، ص 193.

(4) _ الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/1998م، ص 686.

(5) _ الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق حسام الدين البهنساوي، دار زاهد القدسي، القاهرة، د.ت، ص 52.

(6) _ علم الدلالة، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (1973 م)، ص 6.

(7) _ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان دواوي، دار العلم، بيروت، 1412هـ، ص 171.

(8) _ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق ابراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1405هـ، ص 139

وقد عرض كثير من الفلاسفة والمناطق من قديم الزمان في بحوثهم لموضوع الألفاظ ودلالاتها والعلاقة بين اللفظ والمعنى، ومما تجدر الإشارة إليه أن الهنود كانوا أسبق من الناحية الزمانية إلى الاهتمام بمختلف قضايا اللغة سواء منها الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية وغيرها، وهو اهتمام اتسمت أعماله بالدقة المتناهية والتنظيم المحكم⁽¹⁾.

ومن أبرز القضايا التي حظيت بالدراسة: نشأة اللغة، العلاقة بين اللفظ والمعنى، أنواع الدلالات للكلمة، أهمية السياق في إيضاح المعنى وجود الترادف والمشارك اللفظي كظاهرة عامة في اللغات، دور القياس والمجاز في تغيير المعنى⁽²⁾.

وتناولت الفلسفة اليونانية قضية المعنى، فأرسطو مثلاً تحدث عن الفرق بين الصوت والمعنى وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، كما ميز بين الأشياء والتصورات والأصوات، وأما أفلاطون فتعرض إلى العلاقة بين اللفظ ومدلوله وذهب إلى أن العلاقة بينهما طبيعية ذاتية يصعب الكشف عنها بعد تطور الألفاظ، في حين رآها أرسطو علاقة اصطلاحية عرفية⁽³⁾.

وكان البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم. وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة، مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، إضافة إلى إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ والتي غطت جوانب كثيرة من الدراسات الدلالية، ومن ذلك:

أ- محاولة ابن فارس الرائدة - في معجمه المقاييس - ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

ب- محاولة الزمخشري الناجحة - في معجمه أساس البلاغة - التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.

ج- محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله: «وأما "ك ل م" فهذه أيضا حالها، وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة وهي ك

(1) _ البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر عالم الكتب القاهرة، ط8، (2003 م)، ص 57. وانظر اللسانيات النشأة

والتطور، أحمد مومن ديوان، المطبوعات الجامعية، (2000 م)، ص 11.

(2) _ البحث اللغوي عند الهنود، أحمد مختار عمر، دار الثقافة، بيروت، 1972م، ص 99 وما بعدها.

(3) _ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (1972 م)، ص 62.

ل م، وك م ل، ول ك م، م ك ل و م ل ك وأهملت منه ل م ك⁽¹⁾.

د/ البحوث الدلالية التي امتلأت بها كتب مثل المقاييس لابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، الخصائص لابن جني، المزهري للسيوطي⁽²⁾.

وأما بداية الاهتمام بعلم الدلالة في العصر الحديث، فقد كانت منذ أواسط القرن التاسع عشر ومن أهم المسهمين في وضع أسسها:

-ماكس مولر Max Muller الذي صرح بالتطابق التام بين الكلام والفكر في كتابيه الموسومين بعلم اللغة the science of language وعلم المنطق The science of thought ، وإن كان منهجه أقرب إلى الفروض منه إلى حقائق العلم، وكما أنه عجز عن عبور الفجوة بين علم اللغة والتحليل المنطقي للمعنى.

-ميشال بريال Michel Bréal اللغوي الفرنسي الذي كتب بحثاً بعنوان "مقالة في السيماتك" Essai de semantique (1897) وكان أول من استعمل المصطلح "سيماتيك" لدراسة المعنى⁽³⁾

(1) _ الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، د.ت، 13/1.

(2) _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 7، 1430هـ، 2009م، ص 20-21.

(3) _ المرجع نفسه، ص 22.

3- أهم النظريات الدلالية:

3-1- النظرية السياقية:

الدلالة السياقية من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديما وحديثا، فغاية علوم اللغة جميعا الوصول إلى المعنى ، وللوصول إلى هذه الغاية قامت نظريات عدة أهمها النظرية السياقية التي تزعمها الانجليزي "فيرث" في العصر الحديث.

أ- السياق: لغة:

ذهب ابن فارس إلى أن «السين والواو والقاف» أصل واحد وهو حذو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقا والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقتها، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها⁽¹⁾.

وجاء في لسان العرب: «السوق معروف ساق الإبل تساقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة. وساق إليها الصداق والمهر سياقا، وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما⁽²⁾. ومن المجاز: «هو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده»⁽³⁾.

ب- السياق اصطلاحا:

تعددت تعريفات اللغويين المحدثين للسياق وتنوعت، فعرف بأنه: «البنية اللغوية التي تحيط بصوت، أو فونيم، أو مورفيم، أو كلمة، أو عبارة، أو جملة»⁽⁴⁾.

وكما عرّف بأنه: «إطار عام تنتظم فيه عناصر النص، ووحدته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية تداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ. ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا

(1) _مقاييس اللغة: ابن فارس 90/3.

(2) _لسان العرب، ابن منظور. 166/10.

(3) _أساس البلاغة، الزمخشري. ص 232.

(4) _معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، 1991 م. ط2، ص 156.

بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق»⁽¹⁾.

وعليه فمعاني الكلمات لا يحددها إلا استعمالها في سياق لغوي، غير أن هناك سياق غير لغوي (مقامي) يمثل البعد الخارجي للنص الذي لا يقل دوره في تحديد معنى الكلمة عن سابقه، بل يتظافران لتحديد المعنى المراد⁽²⁾.

إن للسياق دورا كبيرا في التحليل الدلالي لأهميته في تعيين قيمة الكلمة، ففي كل مرة تستعمل فيه الكلمة تكتسب معنى محددًا مؤقتًا. ويفرض السياق قيمة واحدة على الكلمة هي المعنى الذي تدل عليه في سياق معين دون آخر، ومعظم الكلمات في اللغة متضمنة في سياقات خاصة معينة. ولكن ذلك لا يمنع من وجود كلمات تفتقر إلى دعم سياقي تستوقف المرء للتساؤل عن معانيها المحددة. وتختلف التأثيرات السياقية في الكلمات باختلاف مناسبتها لموقف معين⁽³⁾.

فالكلمة لا محالة ترتبط بمحيطها اللغوي، والثقافي، والبيئي، والزمني. والكلمات التي يتوهم بعض الباحثين أنها مستقلة الدلالة ليست ذات دلالة مستقلة، لأنها قد تفهم عند من لا يحيط بها علما على نحو آخر أو لا يفهم مدلولها الخاص الذي يتداعى في أذهان من يستخدمها⁽⁴⁾.

ج-أنواع السياق:

لقى السياق عناية واهتماما كبيرين لدى علماء اللغة، فذكروا له أنواعا:

ج-1- السياق اللغوي: linguistic context:

ويشرف السياق اللغوي على تغيير دلالة الكلمة تبعا لتغيير يمس التركيب اللغوي كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة⁽⁵⁾. ويمكن التمثيل له بكلمة "good" الإنجليزية ومثلها كلمة "حسن" العربية أو "زين" العامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـ:

1- أشخاص: رجل - امرأة - ولد.

2- أشياء مؤقتة: وقت، يوم، حفلة، وحلة.

⁽¹⁾ - أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بودرع. جامعة عبد الملك السعدي تطوان، مجلة الإحياء، العدد 25، ص 73.

⁽²⁾ - علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نمر، دار الأمل، إربد، ط1، 2007م، ص 263-264.

⁽³⁾ - منهج البحث اللغوي علي زوين، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط 1، 1986 م. ص 94، 95.

⁽⁴⁾ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات مصر، ط1، (1426 هـ - 2005م)، ص 158.

⁽⁵⁾ - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، منقور عبد الجليل اتحاد الكتاب العربي 2001 م، دمشق، ص 90.

3- مقادير: ملح- دقيق-هواء-ماء.

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة "رجل" كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الأداء (وليس الناحية الأخلاقية)، وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة⁽¹⁾.

ج/2- السياق العاطفي أو الانفعالي: Emotional Context:

يختلف السياق العاطفي- الانفعالي- عن السياقات الأخرى في كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد، أو مبالغة، أو اعتدال⁽²⁾.

يقول "ستيفن أولمان S Ullmann": «السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها أساسا التعبير عن العواطف والانفعالات، وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات، ويتضح هذا بخاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو "حرية" و"عدل" التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضامين عاطفية، بل إن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمة عاطفية قوية وغير متوقعة في المواقف الانفعالية»⁽³⁾.

ج/3- السياق الثقافي: Cultural Context:

وهي القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمنه دلالة معينة، وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة وهو ما يكون أحد العوائق الموضوعية في تعلم اللغات⁽⁴⁾.

ويمكن التمثيل لذلك من النظام اللساني العربي بالمدخل المعجمي "كافر" الذي يتغير مدلوله من سياق ثقافي إلى آخر، ففي المحيط الثقافي للبيئة الزراعية يعني المزارع الذي يفلح الأرض، وقد أوماً إلى ذلك ابن فارس بقوله: «ويقال للزراع كافر لأنه يغطي الحب بتراب الأرض»⁽⁵⁾. والدليل على

⁽¹⁾ علم الدلالة أحمد مختار عمر، ص 70-71.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 70.

⁽³⁾ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب القاهرة، ط 12، د.ت، ص 70.

⁽⁴⁾ علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص 91.

⁽⁵⁾ مقاييس اللغة، ابن فارس. 191/5.

ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيحُ فترثه مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: 20]

أما في المحيط الثقافي الديني فتعني الجاحد لوحداية الله، وهذا المدلول نجده في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 161] ⁽¹⁾.

ج/4- سياق الموقف Situational Context :

ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تسميت العاطس، « يرحمك الله» (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت: "الله يرحمه" (البدء بالاسم) فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثاني طلب الرحمة في الآخرة. وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير ⁽²⁾.

د- السياق في التراث العربي:

إن المتتبع لجهود السابقين من علماء العرب والمسلمين يؤكد انشغالهم ومدى اهتمامهم بالسياق، إن لم نقل أنهم المؤسسون لركائزه الأولى.

فقد كان جهد المعجميين العرب القدماء في وضع معاني مفردات العربية يستند إلى الاستعمال الفعلي للغة وإلى المقام الذي يحوي نشاطها التواصلية، والمقصود بالمقام السياق والظروف المحيطة بالنص اللغوي من تاريخية، واجتماعية، وسياسية، ودينية، وغيرها من الظروف التي توجه دلالة النصوص الإبداعية. كما أن كثرة المصنفات التي وضعها اللغويون القدماء، ككتب النوادر، و اللهجات، وغريب القرآن، وغيرها تدل على إدراكهم أن المعنى المعجمي لا يتم إلا من خلال تتبع حركته الاجتماعية داخل السياق الذي تجري فيه، فتنوع استعمالات الكلمة وتعدد أبنيتها القياسية يعود إلى وظيفتها السياقية، وطبيعة مستعملها، ومقاصدهم، وحاجاتهم التي يعبرون عنها ضمن سياق يحيط بها ويوجه استعمالها ⁽³⁾.

أما النحاة القدماء فقد اهتموا بالمعنى وفتنوا إلى أهمية السياق اللغوي في تحديد دلالة بنيته الصوتية، والصرفية، والنحوية، وفي طبيعة النظام الذي تصاغ فيه الجملة وإلى خصوصية تركيبها الداخلي. كما فطنوا كذلك إلى أهمية سياق الحال الذي يشمل الملابس الخارجية، وموقف المتكلم،

(1) -التحرير و التنوير، ابن عاشور، 71/2.

(2) _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 71.

(3) _ علم الدلالة التطبيقي، هادي نهر، ص 284-285.

وحال المخاطب، وذلك لإبراز الدلالات التي قصد إليها المتكلم⁽¹⁾.

وكما قدم البلاغيون والأدباء والنقاد العرب القدامى العديد من الدراسات التطبيقية لضروب الكلام ونصوصه الإبداعية، ولاسيما عند حديثهم عن نظم الكلام، وأساليبه، وأسراره، وقدرة اللغة على التعبير، مما يؤكد وعيهم بوظيفة السياق اللغوي في بيان المعنى⁽²⁾ وفي هذا الصدد يقول الجاحظ (ت 255هـ): «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل كل طبقة من ذلك كلاما وكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»⁽³⁾.

وفي قول الجاحظ إشارة إلى ضرورة مراعاة سياق الحال وجعله شرطا على بلاغة المتكلم وفصاحته، ويؤكد ذلك عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بقوله: «أن الفصاحة لا تطلق على اللفظة مقطوعة من الكلام ولكن يجب وصلها بغيرها من الكلمات لتبرز فصاحتها ومن أمثلة ذلك لفظة "اشتعل" في قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم: 4] فلم يوجب لها الفصاحة وحدها، ولكن من اقتراها بلفظة الرأس معرفا ومقرونا إليها الشيب منكما منصوبا»⁽⁴⁾، فالنظم عند الجرجاني هو تتابع الألفاظ في نسق معين ينتج المعنى الذي يريده المتكلم والذي يحمل بين طياته فصاحة وبلاغة. وتعد نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني تأسيسا لنظرية السياق اللغوي وخير ممثل لها إلا أن هناك فرقا بين النظم والسياق لا بد من الإشارة إليه، ذلك أن السياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة. والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها وبعبارة أوجز السياق هو علاقة المعنى بالمعنى والنظم علاقة اللفظ بالمعنى⁽⁵⁾.

ويشير السكاكي (ت 626هـ) إلى ضرورة مناسبة المقال للمقام الذي يقال فيه بقوله «لا تخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنتة يباين مقام

(1) _ علم الدلالة التطبيقي، هادي نمر، ص 286.

(2) _ المرجع نفسه، 287.

(3) _ البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، (1998م) 138/1.

(4) _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دار الفكر، ط1، (1428هـ)،

2007م، ص 254.

(5) _ نظرية السياق القرآني، المثني عبد الفتاح محمود دار وائل للنشر عمان، 2008 م، ص 18، 19.

التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم... فلكل كلمة مع صاحبها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال»⁽¹⁾.

وخلاصة القول أن اهتمام علماء العربية القدامى بالسياق يتجلى في مناسبة المقال للمقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وفي نظرية النظم التي جاد بها عبد القاهر الجرجاني.

وقد اهتم المفسرون بالسياق واستعانوا به كوسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارح الحكيم، فقد كان المفسرون أكثر تناولا للقرآن الكريم من غيرهم من العلماء على اختلاف اتجاهاتهم العلمية، فالتفسير على حد قول أبي حيان الأندلسي: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الانفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات ذلك»⁽²⁾.

فكان للسياق القرآني الأثر البالغ في تفسير القرآن الكريم، وعرفه الباحث المثني عبد الفتاح محمود بقوله: «تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غاياتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال»⁽³⁾ وعرفه آخر- السياق القرآني- بأنه: «ما يحيط بالنص من عوامل داخلية، أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق، أو لاحق به، أو حال المخاطب والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه»⁽⁴⁾.

هـ/السياق في علم اللغة الحديث:

إن الاهتمام بالسياق والبحث فيه والتنظير له كأداة إجرائية في الدرس اللساني الحديث هو وليد علم الدلالة اللغوي، وهو علم حديث النشأة في الغرب بالمقارنة مع باقي مستويات الدرس اللساني الأخرى كالأصوات والمعجم والتركيب، إذا لم يستطع أن يفرض نفسه إلا في السنوات الأخيرة حيث تبين أنه لا يمكن لباقي مستويات الدرس اللغوي الاستغناء عنه⁽⁵⁾.

(1) _ مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987 م، ط2، ص 168.

(2) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط، 1420هـ، 1/121.

(3) _ نظرية السياق القرآني، المثني عبد الفتاح، ص 15.

(4) _ السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة أم القرى، الباحث سعيد بن محمد الشهراني، ص 22.

(5) _ السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، على آيت أرشان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1 (1421 هـ - 2000 م)، ص 15.

إن اعتماد السياق في استجلاء دلالة العناصر اللسانية قد أولع به اللسانيون إيلاعا شديدا إذ أمسى الأساس المعول عليه عند عصابة غير قليلة من الباحثين الدلالين، غير أن الذي أولع إيلاعا كبيرا بالسياق في الثقافة اللسانية المعاصرة هو الباحث الانجليزي "فيرث Firth"⁽¹⁾.

ويعد مالنوفسكي من أوائل الذين اهتموا بالسياق، إذ عد اللغة نتاجا لمجتمعها وواقعها الثقافي⁽²⁾ وأما "فيرث" فقد أكد أهمية الوظيفة الاجتماعية للغة وهي الجانب غير اللغوي في دراسة المعنى⁽³⁾. ويعد المعنى في نظر "فيرث" مجموعة مركبة من العلاقات السياقية وعلى الدراسة الفنولوجية والتركيبية والمعجمية والدلالية أن تعالج مكونات هذه المجموعة في إطار سياقها المناسب⁽⁴⁾.

وتأتي علاقة السياق بالمعنى من كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديدها بمعناها بدقة إلا بمعرفة سياقها الذي وردت فيه يقول بيير غيرو: «إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها»⁽⁵⁾.

والواقع أن السياق أداة إجرائية فعالة لا يمكن الاستغناء عنه إذ يلعب دورا أساسيا في تحديد المعنى وفهم الملفوظات خاصة إذا أخذناه بمعناه الواسع حيث يستدعي ما هو اجتماعي وثقافي ونفسي وتاريخي⁽⁶⁾.

للسياق أهمية تتضح جليا فيما يضيفه السياق على الملفوظات من دلالات محددة ومعينة بعد أن استحال حصرها أو ضبطها بوصفها- الملفوظات- متشعبة الدلالات والإيجاعات خارج سياقها المحدد.

3-2- نظرية الحقول الدلالية:

إن نظرة واحدة إلى واقع النظرية اللسانية المعاصرة تهدى إلى أن فكرة الحقول الدلالية لم تتبلور وتأخذ مسارها الطبيعي في رحاب الدراسة الدلالية إلا في الأعوام العشرين أو الثلاثين من هذا

(1) _ مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 م، ص 153.

(2) _ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 310.

(3) _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 69.

(4) _ john lyons, Elemenys de sémantique, trd Durand, la rousse, 1978, p233.

(5) _ السيماء، بيير غيرو، سلسلة زدي علماء، ط 1، 1984، ص 39.

(6) _ السياق والنص الشعري، على آيت أرشان، ص 18.

القرن⁽¹⁾*) . ويعود الفضل في ذلك إلى "دي سوسير" الذي كان قد وضع اللبنة التأسيسية الأولى لهذا المبحث حينما أوماً مسبقاً إلى وجود علائق دلالية بين المداخل المعجمية بإمكانها أن تصنف النظام اللساني إلى مجموعة من الأنساق تختلف بعضها عن بعض وهو ما يسميه بالعلائق الترتيبية Rappports associatifs⁽²⁾.

ولا يمكن القول بأن المنهج واحد متوحد في نظرية الحقول الدلالية عند الغربيين، إذ تعود بدايات هذه النظرية إلى عام 1977 حين استعمل تجنر "Tegner" مصطلح حقل في مقال له بعنوان "تقديم أفكار الحقل اللغوي". ويرى أولمان Ullmann أن هذه النظرية تعود في الألمانية إلى هرردر "Herder" عام 1772 وهو مبولدت "Humboldt" 1767-1835. ولكن شيوع المصطلح باعتباره مفهوماً لغوياً يعود إلى هوسرل "Husserl" ودي سوسير F.De Saussure حيث تتصل فكرة هذا الأخير بالقيمة اللغوية لنظرية الحقل الدلالي لأن قيمة الكلمات تعد عنصراً واحداً من عناصر المعنى وتزداد هذه القيمة عندما تتصل بغيرها من الكلمات⁽³⁾.

ويشير ترير "Trier" أحد أقطاب هذه النظرية إلى فكرة الحقول الدلالية بقوله: «إن قيمة كلمة ما لا يمكن تحديدها إلا بتعريفها ضمن علاقتها بقيمة الكلمات المجاورة لها والمتباينة معها، لأنها لا تحصل على معنى إلا باعتبارها جزءاً من كل ولذلك فإنه ليس هناك من معنى إلا داخل المجال»⁽⁴⁾. ويمكن إيجاز رأي ترير "Trier" عن نظرية الحقول الدلالية فيما يأتي:

- 1- الكلمات تغطي المجال الكلي للحقل كما أن الحقول تغطي المجال الكلي للثروة اللفظية.
 - 2- أنه ينظر إلى الثروة اللفظية في إطار المنظور التزامني السنكروني على أنها كل يتفرع دلالياً.
 - 3- أن معاني الكلمات تتحد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلي، فلا يستطيع المستمع أن يحدد معنى الكلمة إذا لم يعرف بقية كلمات الحقل ومدى العلاقات الدلالية التي تربط بينها⁽⁵⁾.
- وعرف "أولمان Ullmann" الحقل الدلالي بأنه: «قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن

(1) _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 80.

(*) _ يقصد القرن الماضي.

(2) _ Cours de Linguistique générale, f. de SAUSSURE?P 173.

(3) _ علم الدلالة، فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط2، 1999م، ص 172-173.

(4) _ الظاهر الدلالية، صلاح الدين زرال الدار العربية، ناشرون، ط1، (1429هـ-2008م)، ص 199.

(5) _ علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ص 173.

مجال معين من الخبرة . ويعرف ليونز Lyons معنى الكلمة بقوله: « هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي»⁽¹⁾.

ويقسم أولمان Ullmann الحقول الدلالية إلى أنواع ثلاث هي:

- الحقول المحسوسة المتصلة، ويمثلها نظام الألوان في اللغات.

- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة، ويمثلها نظام العلاقات الأسرية.

- الحقول التجريدية، ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية⁽²⁾.

لقد عرفت المجالات الدلالية عند علماء اللغة بأنها: « تصنيف للألفاظ المستعملة في نص من النصوص أو لغة من اللغات ترتبط فيما بينها برباط دلالي معين»⁽³⁾.

والحقل الدلالي *sémantique Field* أو الحقل المعجمي *lexical Field* هو « مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت مصطلح عام يجمعها هو اللون ويضم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر....»⁽⁴⁾.

ومما يشكل مفهوم هذه النظرية -نظرية الحقول الدلالية- هو استحالة عزل الكلمات من حيث المفهوم التصوري، وليس اللغوي فقط بعضها عن بعض في أذهان الأفراد وهذا ما ذكره عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه حين قال: « إن كل لغة تنظم في حقول دلالية وكل حقل دلالي له جانبان حقل تصوري *Conceptial Field* وحقل معجمي (*Lexical Field*). ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات أخرى في نفس الحقل الدلالي إذا أدى تحليلهما إلى عناصر تصويرية مشتركة... وكما يبدو أنه يجب التفريق بين نوعين من المفاهيم: مفاهيم مركزية بالنسبة للحقول الدلالية مفاهيم مثل اللون، ومفاهيم تزودنا بالبنية الداخلية لهذه الحقول كالفضاء والزمن....»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ _ علم الدلالة، أحمد مختار، عمر، ص 80.

⁽²⁾ _ المرجع نفسه، ص 107.

⁽³⁾ _ الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، دار المعارف، بجامعة الاسكندرية، ط2، (1996 م)، ص 192.

⁽⁴⁾ _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 79.

⁽⁵⁾ _ اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، (1986م)، ص 370.

ويتفق أصحاب هذه النظرية على جملة مبادئ منها:

- لا وحدة معجمية lesceme عضو في أكثر من حقل.

- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمات.

- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

وذهب الباحث أحمد مختار عمر إلى أن بعض اللغويين وسع من مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية:

-الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة، ويعد Ajolles أول من اعتبر ألفاظ الترادف والتضاد من الحقول الدلالية.

- الأوزان الاشتقاقية وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية morph- sémanctic field.

- الحقول السنجمائية Syntagmatic fields: وتشمل مجموعة الكلمات التي ترتبط عن طريق الاستعمال ولكنها لا تقع أبدا في نفس الموقع النحوي، وقد كان w.prozig أول من درس هذه الحقول وذلك حين وجه اهتمامه إلى كلمات مثل (كلب-نباح) (المشي-قدم)، (أشقر-شعر)⁽¹⁾.

وخلاصة ما سبق إن ما توصل إليه علماء اللغة المحدثون الغربيون خاصة من تأصيل لنظرية الحقول الدلالية وتحديد معالمها لم يكن إلا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، لتتطور وتصبح نظرية قائمة بذاتها في النصف الثاني منه.

غير أن هذا لا يعني التقليل من جهود اللغويين العرب الأقدمين في محاولة الاضطلاع بدراسة معجمية تعول على الحقول الدلالية حين تصنيفهم للمداخل المعجمية التي تكون الرصيد المعجمي للسان العربي، فقد تنبه نفر غير قليل من أسلافنا إلى أهمية هذا المبحث، فأفضى بهم ذلك إلى وضع معاجم حقلية، وهو ما يسمى عندهم معاجم الموضوعات وهي المعاجم التي تزخر برصيد ثري من الحقول الدلالية التي فيها من الدقة مالا ينكر ولا يرد⁽²⁾. ومن الحقول الدلالية التي كتب فيها العرب هي:

(1) _ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 80-81.

(2) _ مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 161.

- خلق الإنسان، وكتب في هذا الحقل النضر بن شميل (206هـ)، أبو عبيدة (210هـ) الأصمعي (217هـ) أبو حاتم السجستاني (255هـ).
- الخيل، وكتب فيه كل من أبو عبيدة والأصمعي.
- الحشرات، وكتب فيه أبو عبيدة، والأصمعي، وأبو حاتم السجستاني، أبو خيرة الأعرابي.
- ومن الكتب التي جمعت موضوعات متنوعة ويمكن أن تسمى معاجم:
- كتاب الألفاظ لابن السكيت.
- المنجد في اللغة لكراع النمل.
- الألفاظ الكتابية للهمداني.
- المخصص لابن سيده⁽¹⁾.

وحتى لا نجحف بحق علمائنا الأفاضل نقول أنه على الرغم من عدم معرفتهم المسبقة بمصطلح الحقول الدلالية، وما يتعلق به إلا أنهم استطاعوا أن يضعوا المبادئ الأساسية لهذه النظرية - نظرية الحقول الدلالية - فاسحين المجال لمن أتى بعدهم لتطوير النظرية وتأصيلها وتحديد معالمها.

وإن منهج دراستنا للبنية الدلالية للأمثال القياسية في القرآن الكريم فرض علينا تصنيف تلك الأمثال القياسية حسب موضوعاتها إلى حقول دلالية تسهل عملية الدراسة، فكانت الحقول الدلالية كالتالي:

1- الحقل الدلالي الأول: الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله وقدرته، وتشتمل على:

- أ- قدرة الله وبطلان الشرك: سورة الروم الآية 28.
- ب- تزيه الله: [سورة آل عمران: الآية 59] [سورة النحل: 60].
- ج/ ما أشركه الكفار مع الله [النحل 75-76].
- د/ عجز ما يدعى من دون الله [العنكبوت: 41]، [الحج: 73]

⁽¹⁾ - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 109، وأنظر فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق املين نسيب، دار الجليل بيروت، ط1، (1418هـ-1998م)، ص 318-319.

2- الحقل الدلالي الثاني: الأمثال القياسية المضروبة للقرآن:

أ- تمثيل للقرآن [سورة النور: الآية 35].

ب- تمثيل للحق والباطل [سورة الرعد: 17] [سورة إبراهيم: 24-25-26].

3- الحقل الدلالي الثالث: الأمثال القياسية المضروبة لأصحاب الرسول ﷺ.

- تمثيل صفة أصحاب الرسول ﷺ [سورة الفتح: 29].

4- الحقل الدلالي الرابع: الأمثال القياسية المضروبة للإنفاق.

- مضاعفة أجر المنفق [سورة البقرة: 261].

- تمثيل للمنفق المرائي: [البقرة: 264].

- تمثيل للمنفق المخلص الصادق [البقرة: 265].

5- الحقل الدلالي الخامس: الأمثال القياسية المضروبة للحياة الدنيا.

- [يونس: 24].

- [الكهف: 45].

- [الحديد: 20].

6- الحقل الدلالي السادس: الأمثال القياسية المضروبة للجنة.

- [سورة الرعد: 35].

- [سورة محمد 15].

7- الحقل الدلالي السابع: الأمثال القياسية المضروبة لليهود:

- تمثيل حال اليهود: [سورة الجمعة: الآية 05].

- تكذيب اليهود لمحمد ﷺ [الأعراف: 175].

8- الحقل الدلالي الثامن: الأمثال القياسية المضروبة للمنافقين.

- [البقرة: 14-18].

- [البقرة: 19-20].

9- الحقل الدلالي التاسع: الأمثال القياسية المضروبة للكافرين:

أ- تمثيل لأعمالهم: - [البقرة: 171].

- [آل عمران: 117].

- [إبراهيم: 18].

- [النور: 39].

ب- عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن والعكس:

- التحريم [10-11-12].

د- ما يجره الكافر على صاحبه في الدنيا: [يس: 13-29].

- [الكهف: 32-42].

ه- مقارنة بين الضال المهتدي: - [الأنعام: 122].

- [هود: 24].

-تعريف المثل:

المَثَلُ والمِثْلُ: الشبه، وجمعه أمثال، وتمثل بالشيء ضربه مثلاً. والأمثل الأفضل والطريقة المثلى هي الأشبه بالحق، وأمثلهم طريقة أعدلهم وأشبههم بأهل الحق، ومثل له تمثيلاً صورته له حتى كأنه ينظر إليه، وامثله هو تصوره⁽¹⁾.

وأصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام، وهو من قولك هذا مثل الشيء ومثله كما تقول شبيهه وشبيهه، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلاً، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً⁽²⁾. والمثل بفتح الميم والثاء في الأصل بمعنى النظير، ثم نقل إلى القول السائر أي الفاشي الممثل مضربه بمورده⁽³⁾. والمراد بالمضرب الحالة المشبهة التي أريدت من الكلام. والمراد

(1)-مقاييس اللغة، ابن فارس/238، لسان العرب، ابن منظور 610/11. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تراث بإشراف محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، ط3، (1430هـ-2009م)، ص 1056.

(2)- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطامش. دار الفكر، ط2، 1988 م. 7/1

(3)-كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوني، تحقيق لطفي عبد البديع، راجعه أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م.

بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام.

والأصل السامي العام لهذه الكلمة في العربية "مثل" وفي العبرية "Masal" وفي الآرامية "Matla" وفي الحبشية "Mesel" وفي الأكادية "Meslum" وكلها متضمن معنى المماثلة إذ لا يفهم من اشتقاق كلمة المثل شيء أكثر من التمثيل ومعناه تشبيه شيء بشيء⁽¹⁾.

ونقل الميداني في كتابه مجمع الأمثال عن المبرد قوله: «المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه له حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه». وقال ابن السكيت: «المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره»⁽²⁾.

وجاء في الكلبيات: «إن المثل اسم النوع من الكلام وهو ما تراضاه العامة والخاصة في السراء والضراء. وسمي الكلام الدائر في الناس للتمثيل لقصد إقامته ذلك مقام غيره، أو الشرط في حسن التمثيل على وقف المثل من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم، والصغر، والخسنة، والشرف»⁽³⁾. فالمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره⁽⁴⁾.

قال أبو عبيد: «وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت عن حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح. فيجتمع بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه»⁽⁵⁾.

وقال الفارابي: «المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتدلوه فيما بينهم، فاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدرر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتعرجوا عن الكرب، والمكربة. وهو أبلغ من الحكمة. لأن الناس لا يجتمعون على ناقص، أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في التفاسير»⁽⁶⁾.

وقال ابن الأثير: «فلما كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحاً

(1) - الأمثال العربية القديمة رودلف زلهام، تقديم رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، (م 1984-1404هـ)، ص 21.

(2) - مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، 1959، 5.6/1.

(3) - الكلبيات، أبو البقاء الكفوي، ص 1372.

(4) - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 758.

(5) - الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق عبد الحميد قطامش، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، ص 34 (1400هـ).

(6) - المزهرة في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998 م، 486/1.

صارت من أوجز الكلام، وأكثره اختصاراً من أجل ذلك قيل في حدّ المثل: إنه القول الوجيز المرسل ليُعمل به»⁽¹⁾.

ووصف ابن عبد ربه الأمثال بأنها: «وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني التي تخيرتها العرب، ونُطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها حتى قيل: أسير من مثل»⁽²⁾.

بينما يرى المرزوقي في كتابه "شرح الفصيح" أن المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها تنسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير في لفظها وعما يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها»⁽³⁾. ومما سبق يتضح لنا جلياً أن المثل متضمن معنى الشبه.

وأما المثل في الاصطلاح الأدبي فهو: « ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات تجعله جنساً من الأجناس الأدبية قائماً بذاته، وقسيماً للشعر، والخطابة، والقصة، والمقالة، والرسالة والمقامة... »⁽⁴⁾

فالمثل قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده مثل: «رُبّ رمية من غير رام» أي رُبّ مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطيء. وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقري، يُضرب للمخطئ يصيب أحياناً. وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به»⁽⁵⁾.

ويشترط أبو الحسن البصري الماوردي أربعة شروط لكي يتحقق الهدف من المثل، ويكون محل تأثير في القلوب وقبول في الأسماع فيقول: «أحدهما: صحة التشبيه .

والثاني: أن يكون العلم بها سابقاً والكل عليها موافقاً، **والثالث:** أن يسرع وصولها الفهم ويعجل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها ولا كدٍ في استنباطها.

(1) - المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1995 م، 63/1

(2) - العقد الفريد، ابن عبد ربه، 63/3.

(3) - المزهري، السيوطي، 486/1-487..

(4) - الأمثال العربية، دراسة تاريخية، تحليلية، عبد المجيد قطامش، ص11، دار الفكر، ط1 (1408هـ-1988م)..

(5) - مباحث علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، (1998 م)، ص282.

والرابع: أن تناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعا. فإذا اجتمعت في الأمثال هذه الشروط الأربعة كانت زينة للكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للأفهام⁽¹⁾.

ويطلق المثل، ويراد به:

- الشبه، نحو قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ يعني الأشباه ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: 43] يعني نصفها، وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [النحل: 45] يعني وصف الله شبيها.

- السير، في قوله عز شأنه ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة 214]: أي سير الذين خلو من قبلكم من الملأ.

- العبرة: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56]، وقوله أيها: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف 59]، أي عبرة لبني إسرائيل.

- العذاب: في قوله عز وجل: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ [الفرقان: 39]، أي وصفنا له العذاب وأنه نازل بهم في الدنيا.

- الصفة الموضحة الكاشفة عن الحقيقة أو الحالة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد 15]، أي صفتها وقوله عز شأنه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ [النحل 60]، أي صفة السوء.

- ويراد به النظير كما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: 78]، أي ضرب لنا ذلك المنكر نظيرا من الخلق قاس قدرتنا على قدرته⁽²⁾.

وقد اهتم العلماء بالتأليف في الأمثال قديماً وحديثاً حيث جمعوا، ورتبوا، وشرحوا غريبها وبيّنوا القصص التي صدرت عنها، والمناسبات التي تُضرب فيها وتُحكى، ولعل أهم المؤلفات:

⁽¹⁾ - أدب الدنيا والدين، أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1407هـ - 1987م)، ص 247.

⁽²⁾ - الأشباه والنظائر في القرآن، مقاتل بن سلمان البلخي، تحقيق عبد الله شحاته، دار غريب، 2001م، ص 204..

- جمهرة الأمثال للعسكري.

- مجمع الأمثال للميداني.

- المستقصى للزمخشري.

أنواع المثل:

ذكر ابن القيم⁽¹⁾ أنواعا ثلاثة للمثل:

1- المثل الموجز السائر: وهو « القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب وتشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده»⁽²⁾، وهو إما شعبي لا تعمّل فيه، ولا تكلف ولا تقيد بقواعد النحو. وإما كتابي صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء، ويدخل فيه الحكم الموجزة التي شاعت بين الناس وفشت في الاستعمال اللغوي، حيث أصبحت أمثالا يتداولها الناس في أحاديثهم وكتاباتهم، كقولهم (السر أمانة، العدة عطية، العود أحمد، الحرب غشوم، رب عجلة تهب ريثا، كالمستجير من الرمضاء بالنار) ومنه الحديث النبوي: (إنّ من البيان لسحرا)⁽³⁾

وكما تدخل فيه الأمثال الشعرية، أعني أبيات الحكمة وأنصافها أو أجزائها التي شاعت في الكلام حتى سارت وتمثل بها الناس في مختلف العصور والبيئات كقول لبيد⁽⁴⁾:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيم لا محالة زائل

وقول النابغة الذبياني⁽⁵⁾:

ولست بمسّتبق أحالا تلمّهُ على شعث أيّ الرجال المهذبُّ!

وقول الشاعر: ⁽⁶⁾.

يا باري القوس بريال ليس يحكمهُ لا تظلم القوسَ أعط القوس باريها

(1)- الأمثال في القرآن، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط3، (1409 هـ-1989 م)، ص20، 21.

(2)- الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص28 وما بعدها.

(3)- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الشعب القاهرة، 1407 هـ-1987 م، 25/7.

(4)- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، دت، دط، ص132.

(5)- ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، (1416 هـ-1996 م)، ص28.

(6)- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، 77/1.

ويدخل في هذا النوع أيضا الأمثال التي على وزن "أفعل من" وهي التي تدل على المبالغة في التشبيه كقولهم (أجود من خاتم)، (أعيا من باقل)، (أسمع من فرس) (أكذب من مسيلمة). فقصدا بذلك أن يكون المضروب له المثل في مكانه أسمى ووصف أبلغ، مما يسهل دوران تلك الصيغة على ألسنتهم وكثيرا ما ارتبطت بالشخصيات، والحوادث، والقصص الشهيرة⁽¹⁾.

2- المثل الخرافي:

هو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي أو فكاهي⁽²⁾، أو الحث على مكارم الأخلاق، وطبيعي أن هذا النوع من الكلمات والحكايات لا أساس له من واقع أو عقل. ومن ثم كان علماء اللغة يطلقون عليه اسم "أكاذيب العرب" أو "رموز العرب". ويبدو أن هذا اللون من الأدب كان منشؤه البيئات البدوية، لأن عقلية البدو وطبيعة حياتهم يسمحان بنشوئه بينهم، إذ كانوا أقل وعيا وثقافة وحضارة من سكان الحضرة، كما كانوا يعايشون الحيوان ويخالطونه مخالطة شديدة جعلتهم ينسجون حوله هذه الخرافات.

والأدب العربي بشعره ونثره حافل بهذا اللون القصصي شأنه في ذلك شأن سائر الآداب العالمية التي اتخذت منه وسيلة للفكاهة والموعظة، إذ يعد هذا النوع من الأمثال صورة من صور الأدب الرمزي الذي ينسب الأديب فيه الأحداث والحوار إلى الحيوانات والجمادات⁽³⁾.

كما تتسم هذه الأمثال بوضوح الفكرة وسلامة الألفاظ وترابط الجمل عن طريق الحوار القصصي السريع، وانتظامها في سياق المضمون بالحروف العاطفة الدالة على تتابع الأحداث والتمهيد لذكر العواقب، كما يغلب على أسلوبها الإسهاب كما تتخلله المبالغة والإثارة⁽⁴⁾.

وقد ميز ابن القيم بين المثل الخرافي والقياسي بقوله: "فالفرق بين المثل الخرافي والقياسي: أن الأول تُنسب الأحاسيس الإنسانية فيه إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرهما، أما المثل القياسي فالحيوانات فيه وإن استخدمت لا تعد أن تكون مجرد توضيح للفكرة دون أن تتعدى القوانين التي

(1) -التعبير اللغوي في أمثال القرآن محمود السيد حسن، المكتب الجامعي، الحديث الإسكندرية. ص 89.

(2) -الأمثال في القرآن، ابن القيم، 20.

(3) -الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص 32.

(4) - التعبير اللغوي في أمثال القرآن، محمود السيد حسن، ص 89.

يخضع لها نوعها. والمثل الخرافي يرمز إلى الأشياء أي يقال شيء ويراد به شيء آخر، أما المثل القياسي فيراد به الأشياء المذكورة فيه لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل⁽¹⁾.

وبدراستنا للأمثال العربية التي تتصل بالخرافات أمكننا أن نصنفها صنفين:

1-صنف أجراه العرب على ألسنة الحيوان خلال الأحداث التي حاكوها حوله ومن الأمثال الرمزية المشهورة ما أجروه على لسان الحية: «كيف أعاودك وهذا أثر فأسك»⁽²⁾.

2-وصنف بناه العرب على حكايات خرافية، كقولهم: «كطالب القرن فجذعت أذنه»⁽³⁾.
ويزعم العرب أن النعامه ذهب تطلب قرنين فاصطلم أذناها وعلى هذا بنيت الخرافة السابقة.

3- المثل القياسي: ⁽⁴⁾.

هو سرد وصفي، أو قصصي، أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه، والتمثيل الذي يقوم على المقارنة، والقياس، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، فهو تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس وأحد المحسوسين إلى الآخر أو اعتبار أحدهما بالآخر لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصور. وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، كما يجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

وهذا النوع من الأمثال يكاد يكون معدوما في مدونات الأمثال العربية القديمة و إذا تصفحنا هذه المدونات لا نكاد نعثر على مثل واحد منها، ولكننا نجد بكثرة في القرآن الكريم وفي كلام الرسول ﷺ⁽⁵⁾.

ملامح المثل في التراث العربي:

يتضمن لفظ مثل في العربية - كما هو الحال في اللغات السامية الأخرى- فكرة المقارنة والتشبيه غير أنه قد آل في العربية كما في غيرها، إلى أن انطبق بدون تمييز على مجموعة كاملة من الرموز والحكم والحقائق العامة والحكايات والقواعد والأقوال المأثورة والكلمات المشهورة والقوال

(1)- الأمثال في القرآن، ابن القيم، 20.

(2)- مجمع الأمثال، الميداني، 145/2

(3)- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1384هـ. 323/4

(4)- الأمثال في القرآن، ابن القيم، 20..

(5)- الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص30.

الجاهزة التي تترجم في شيء من السرعة بـ "Proverbes" لتأدية معنى الجمع العربي "أمثال" في حين لا تمثل الأمثال الحقيقية فيها سوى عنصر من عناصر أخرى⁽¹⁾.

كما تعتبر الأمثال رافدا هاما من روافد التراث عند كل الشعوب، لأنها مرآة تنعكس عليها العادات والتقاليد والمعتقدات، ولهذا كانت الأمثال مصدر اهتمام الشعوب بتدوينها ومحاولة نسبتها إلى قائل أول سواء أورد على لسانه هذا المثل أو لم يرد⁽²⁾. وطبيعي أن أغلب الأمثال الحقيقة بله أغلب العبارات البسيطة التي انتقلت إلى الاستعمال تبقى رغم كل ذلك مجهولة القائل⁽³⁾.

وهذا يعني أن دراسة التراث ضرورة حتمية لفهم الحاضر ورسم ملامح المستقبل، فالمثل كما يقول شوقي ضيف « هو فلسفة الحياة الأولى وله في تاريخ الفكر أهمية لا يدركها إلا من تعمق في دراسة نفسية الشعوب ودراسة التطور الفكري عند البشر.»⁽⁴⁾. فكثيرا ما افتخر العرب وزهوا بأمثالهم أيما افتخار وأيما زهو، ومما جاء في مناظرة كانت بين النعمان بن المنذر وكسرى انو شروان- قال النعمان- وأما الأمم التي ذكرت، فأية أمة تقرن بالعرب إلا فضلتها... قال كسرى بماذا؟ قال النعمان: بعزّها ومنعها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقافيته، مع معرفتهم بالأشياء وضرهم الأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الأجناس⁽⁵⁾.

ونستطيع أن نتصور أي تقدم حضاري وفكري كان عليه أجدادنا إذا عرفنا الشغف الكبير بالأمثال الذي دفع سلسلة من الكتّاب عبر قرون عدة إلى الإقبال على جمع الأمثال وتفسير غامضها وشرح مناسباتها وجعلها في متناول محبيها.

فالمثل سواء كان معناه الظاهري المسجل للحدث أو بمعناه الباطني الذي يشتمل على الموعظة والحكمة، فإنه مظهر حضاري يتصل بجذور الشعب فهو كما قيل تراث العامة والخاصة، وهو واحد

(1)- في نشأة التعابير المثلية عند العرب، مبروك المناعي، مجلة الكراسات التونسية عدد 139-140، مجلد 35 لسنة 1987، ص47.

(2)- التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة، عند العرب، بقلم أحمد الحذيري،. حوليات الجامعة التونسية، العدد 31 (1990م) ص.109

(3)- في نشأة التعابير المثلية، مبروك المناعي، ص48..

(4)- الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي، ضيف، ص 160.

(5)- الأمثال العربية ومصادرها في التراث محمد أبو صوفة، مكتبة الأقصى، د ت، ص15.

من أهم مكونات الشخصية الأدبية العربية. وهو ملمح من ملامحها الأصلية وهو إلى هذا وذاك نهاية البلاغة في لغتها كما أنه دليل الفصاحة والفهم، والأمثال مصابيح الأقوال⁽¹⁾ وقد عنى العرب بجمع الأمثال ودراستها لأنها من جملة ما احتاجوا إليه في تحقيق الألفاظ وكان اهتمامهم بها في الجاهلية وفي صدر الإسلام وما تلاه من عصور.

وقد جاء القرآن الكريم متضمنا ألوانا متعددة من الأمثال ليضيف إلى إعجازه اللغوي إعجازا آخر يتحدى به العرب، وشعراؤهم، وخطبائهم، وبلغاؤهم، فيما يمكن أن يفعلوه، أو يقدموه، أو يكتبوه، فقدّم لهم الأمثال في معان كثيرة وصور رائعة وتركيز رفيع عال المستوى، يتناسب وقدر عقولهم مما جعلها-أمثال القرآن الكريم- تتبوأ الصدارة وتحتل مكان الذروة قبل الأمثال العربية وغيرها من أمثال الأمم الأخرى. فهي لون من ألوان الهداية الإلهية تدفع الناس إلى الخير، وتمنعهم عن الشر، وتحب إليهم الفضيلة، وتبغض إليهم الرذيلة، وهي إلى حوار ذلك وسيلة للإفهام، وتبصرة العقول، ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة⁽²⁾.

وقد شاعت الأمثال وانتشرت في الجاهلية كما انتشر الشعر وأصبحت معبرة عن حال العرب ومشاكلهم مثلما كان الشعر في الجاهلية ثم من بعد ذلك في مختلف العصور حتى يومنا هذا، فهي فرع من فروع اللغة العربية لم يقطع ولم يضعف، وإنما استمر نماؤه، وعطاؤه، وازدهاره على امتداد حياة الإنسان العربي في الصحراء والبادية ثم الريف، والحضر. وأصبحت شخصيته المستقلة تفرضه وتؤكد وجوده خاصة مع إقبال الناس عليه، واستمالته لهم لسهولة لفظه، ودقة معناه، ومواءمته مع الحالة النفسية للمستمع أو المتلقي. وكثيرا ما تطربنا الأمثال كما يطربنا الشعر أو النثر، وقد تكون وسيلة للاستغناء عن الاثنين. وهنا يعن لنا تساؤل حول طبيعة المثل: هل هو نثر أم شعر وإذا لم يكن هذا أو ذلك، فماذا يكون؟

إن المثل في الواقع قطعة صغيرة من عبارة نثرية أو شعرية ولكنها خرجت عن حيز الشعر والنثر إلى حدود الرمزية التي دوت في الآذان ثم استقرت في الأذهان، حيث تألقت في سماء الفن الأدبي واكتسبت صبغا خاصا منحها الاستواء على سوق الأدب الرفيع، فقد استطاعت الأمثال أن تجعل لنفسها استقلالية خاصة بها، جمعت فيها بين الجنسين من النثر والشعر، فقد أخذت من النثر سهولته ومن الشعر عدوبته وحسن وقعه في الآذان ومن ثم أصبح لها شخصية مستقلة بين ألوان

(1)- الأمثال العربية ومصادرها في التراث محمد أبو صوفة، ص 17.

(2)- الأمثال في الأديان، فوزي شعبان، دار الأفق العربية، ط 3- 1423هـ-2003م. ص 15، 16.

الأدب وفروعه⁽¹⁾.

ويتفق القدامى جميعهم على أن المثل هو عنوان البلاغة، والفصاحة، وأنه من أعلى مراقبي الأدب، و أوعرها، وأعضاها، بل هي عند الزمخشري: «قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقتها، وزبدة حوارها»⁽²⁾.

ويرجع الاشتغال بالتأليف في الأمثال إلى أوائل عصر الخلفاء الأمويين وتحديدًا حوالي منتصف القرن الأول الهجري، حيث نشطت حركة التدوين عند العرب، وحظيت الأمثال من هذه الحركة بثلاثة كتب لثلاثة من علماء الأخبار والأنساب والتاريخ وهم: صحار بن عباس العبدي، وعبيد بن شرية الجرهمي، وعلاقة بن كُرشم الكلابي، وهذه الكتب الثلاثة هي أوائل كتب الأمثال العربية وبواكيرها ومن المؤسف أنهما ضاعت فيما ضاع من نفائس كتبنا⁽³⁾. وقد جمعت في صحائف في الأمثال في نهاية العصر الجاهلي قبل هؤلاء الرجال غير أنه لم تصل إلينا أخبار مؤكدة عن كتب الأمثال و مؤلفيها إلا في القرن الثامن إلى التاسع أي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، عندما استقر سلطان الدولة العباسية الجديدة بعد سقوط آخر الخلفاء الأمويين في سوريا⁽⁴⁾ وانتقال الحكم من بني أمية إلى بني العباس تحول النشاط العلمي والسياسي من دمشق عاصمة الأمويين إلى بغداد عاصمة العباسيين، وظهرت المدرستان البصرية والكوفية وعلى أيدي علماء هاتين المدرستين نشطت الحركة الفكرية والعملية ونشط التأليف في كل فروع المعرفة ليمتد فيما بعد ليشمل الأمثال، وبدأت المدونات تتوالى في هذا الفن من الكلام تتصل حتى أوائل القرن الخامس الهجري حيث تنتهي بكتاب مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني (ت 518هـ)، ثم بكتاب "مستقصى الأمثال لأبي القاسم الزمخشري (ت 538هـ)⁽⁵⁾.

وإليك ملخصًا تاريخيًا لكتب الأمثال العربية⁽⁶⁾.

- كتاب الأمثال لصحار بن عياش (نحو 40هـ).

(1) - الأمثال في الأديان، فوزي شعبان، ص 22-23.

(2) - المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987 م، المقدمة، ص.ب.ح.

(3) - الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص 41.

(4) - الأمثال العربية ومصادرها في التراث، محمد أبو صوفة، ص 26..

(5) - الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص 45.

(6) - المرجع نفسه، ص 121.

- كتاب الأمثال لعبيد بن شرية (67هـ).
- كتاب الأمثال لعلاقة بن كرشم
- كتاب الأمثال لأبي عمرو بن العلاء (مايين 154هـ-159).
- كتاب الأمثال للترقي بن القطامي 158هـ.
- كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي نحو 170هـ.
- كتاب الأمثال ليونس بن حبيب 183هـ.
- كتاب الأمثال المؤرج السدوسي 195هـ.
- كتاب الأمثال للنضر بن شميل (مايين 203، 204هـ).
- كتاب الأمثال لأبي عبيدة معمر بن المثنى (مايين 207، 2013هـ).
- كتاب الأمثال لأبي زيد الأنصاري (مايين 214-216هـ).
- كتاب الأمثال الأصمعي (مايين 210-217هـ).
- كتاب الأمثال لعلي بن حازم اللحياني 215هـ.
- كتاب الأمثال لسعدان بن المبارك الضرير 220هـ.
- كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام 224هـ.
- كتاب تفسير الأمثال لابن الأعرابي (مايين 230-232هـ).
- كتاب الأمثال للتوزي (مايين 2300هـ-238هـ).
- كتاب الأمثال لابن السكيت (مايين 244هـ-246هـ).
- كتاب الأمثال لمحمد ابن حبيب 245هـ.
- كتاب الأمثال للزيادي 249هـ.
- كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي 250هـ.
- كتاب الأمثال الجاحظ 255 هـ.
- كتاب الأمثال لشمر بن حمدوية 255هـ.

- كتاب الأمثال لابن قتيبة (ما بين 270-276هـ).
- كتاب الأمثال لأبي الهيثم الرازي (نحو 276هـ).
- كتاب الأمثال للبرقي (274هـ).
- كتاب الأمثال للثعلب (291هـ).
- كتاب الأمثال الفاخر للمفضل بن سلمة 291هـ.
- كتاب الأمثال القاسم بن محمد بن بشار الأنباري 305هـ.
- كتاب الأمثال لفظويه (323هـ).
- كتاب الزاهر لابن الأنباري (ما بين 327-328هـ).
- كتاب الأمثال لأبي الفضل المنذري 329هـ.
- كتاب جامع الأمثال للقمي في حدوده 350هـ.
- كتاب الدرّة لفاخرة لحمزة الأصبهاني نحو 351هـ.
- كتاب الأمثال للاصطخري.
- كتاب الحكم والأمثال لأبي أحمد العسكري 382هـ.
- كتاب الأمثال للخالغ (388هـ).
- كتاب الأمثال لأبي النذري الغندجاني.
- كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري نحو 395هـ.
- كتاب مجمع الأمثال للميداني 518هـ.
- كتاب المستقصى في أمثال العرب للزمخشري 538هـ.
- الفرق بين المثل والحكمة:

الحكمة بالكسر: العدل والعلم والحلم والنبوة، والقرآن أحكمه: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد. وحكم عن الأمر: رجعه، ومنعه مما يريد⁽¹⁾.

(1) - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 1095.

وجاء في التعريفات للجرجاني: «الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري غير آلي. والحكمة هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الجبرزة التي هي إفراط هذه القوة والبلادة التي هي تفریطها»⁽¹⁾.

ويلخص النووي فيما نقل اليوسي كل معاني الحكمة في قوله: «الحكمة فيها أقوال كثيرة مضطربة اقتصر كل من قائلها على مقتضى صفة الحكمة وقد صفا لنا منها أنها عبارة عن العمل المتصف بالإحكام المشتمل على معرفة بالله تعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن إتباع الهوى والباطل. والحكيم من له ذلك»⁽²⁾.
وتطلق الحكمة في اللغة على عدة معان أشهرها⁽³⁾.

1/ العلم: إذ يقول العرب: حكم فلان حُكماً وحكمة، إذا صار حكيماً، أي عالماً وصاحب حكمة، وعلى هذا المعنى جاء قول النمر بن تولب:

وأبغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكماً

2/ الإتقان: إذ يقول العرب: أحكم فلان عمله إحكاماً، إذا أتقنه، فهو محكم ومنها "حكيم" فعيل بمعنى مُفَعَّل وعليه جاء قول الأعشى⁽⁴⁾:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها؟

د/ المنع: يقال: حكمت السفينة وحكمتها، وأحكمتها أي منعتها أخذت على يديه ومن هذا المعنى قيل للحاكم: حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم وعليه جاء قول جرير⁽⁵⁾:

(1) - التعريفات، الجرجاني، ص 154. أنظر المقدمة، ابن خلدون، الباب السادس الفصل 39، فصل في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل : اعلم أن العلوم المتعارف بين أهل العمران على صنفين. علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقہ وعلم الكلام وكالطبيعات والالاهيات من الفلسفة وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات كالمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولأصول الفقہ على طريقة المتأخرين) طبعة، الدار التونسية للنشر، دار الشعب، ص 505. ص 699

(2) - زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، ط1، دار الثقافة المغرب، 1981م، ص 26..

(3) - لسان العرب، ابن منظور 140/12.

(4) - ديوان الأعشى الكبير، ص 27.

(5) - ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (1406هـ-1986م) ص 47.

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا وجاءت الحكمة في القرآن الكريم على خمسة أوجه: (1).

1/- المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي: فذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَلِكِتَابٍ﴾ [البقرة: 231]. يعني القرآن والحكمة وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: 48] يعني المواعظ التي في القرآن من الحلال والحرام.

2/ الفهم والعلم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ لقمان 12

3/ النبوة: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النساء 54

4/ تفسير القرآن: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة 269.

5/- القرآن: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ النحل 125.

يلد التزاوج بين المثل والحكمة نسلا من التعابير والصيغ الموجزة التي تدل على حقائق فكرية أو أخلاقية صارمة، ومن ثم أدت هذه المصاهرة إلى إحصاب المعجم بمصطلحات فنية تكون عائلة كبرى تنحدر من أبوين المثل والحكمة (2).

والأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدى النفوس بما أدركت عيانا، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها، فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة (3).

جاء في البرهان: «الحكم والأمثال تصور المعاني وتصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند

(1) - زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسى، ص 26. الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، (1428هـ - 207)، ص 182. وأنظر: الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي، ص 110، 111.

(2) - وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، إشراف حسن الصادق الأسود، الجامعة التونسية، كلية منوبة، 1994/1993، ص 8.

(3) - الأمثال في القرآن، محمد بن الشريف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 5، دت، ص 148.

السامع»⁽¹⁾.

ويقدر أبو هلال العسكري: «بأن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير، فلا يكون مثلاً»⁽²⁾، فالكلمة إذا شاعت وانتشرت وكثر دورانها على الألسنة تكون مثلاً. أما إذا كانت الكلمة صائبة وصادرة عن تجربة ولم تدر على الألسنة فتسمى حكمة⁽³⁾.

ولا تكاد تغيب هذه الأشكال التعبيرية من النص الأدبي القديم، فهي تشيع عليه مسحة من عمق الفكر وبلاغة الوجدان، وتثريه بصور ومواقف تمثيلية نابغة من صميم تجربة الإنسان في الحياة والكون. وتنتصب في مسالكه مقياساً من مقاييس الجودة. وهي اللغة المشتركة التي يتقاسم الجميع فهمها.

يقول الفارابي: «المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم فاهوا به في السراء ووصلوا به إلى المطالب القصية وتفرجوا به عن الكرب والمكربة. وهو أبلغ من الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على الناقص أو المقصر في الجودة»⁽⁴⁾.

وقد حاول زلهام التمييز بين المثل والحكمة فقال: «تجمع الحكمة كل ما يتصل بالعادات والتقاليد والتدبير والأقوال السائرة والعبارات النادرة فهي تعبر عن خبرات الحياة أو بعضها على الأقل مباشرة في صيغة تجريدية، وإنه ليس من قبيل الصدفة أن ينسب أمثال هذا النوع إلى الحكماء والفلاسفة الذين وهبوا المقدره على التعبير التجريدي بينما هي من الأمثال والتعبيرات المثلية التي لم يعرف قائلها، ولم يفعل هؤلاء الحكماء أكثر من أن يضيفوا على المثل معنى مجرداً ويحوروا محتواه باستعمال كلمات عامة فلسفية، ويحولوا النثر إلى نظم ذي إيقاع، وقافية»⁽⁵⁾.

إن الحكم أقوال وعظية إرشادية أخلاقية ولكنها لا تجمع بالضرورة اتفاق الجميع وقد نجد عند نفس الشعب أقوالاً فيها مسحة حكمية تتضارب معانيها ومع ذلك نقبلها دون تروّ أحياناً

(1) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية.

488/1

(2) - جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ص1-5..

(3) - الأمثال في القرآن، ابن القيم، ص18.

(4) - المزهر، السيوطي، 488/1.

(5) - الأمثال العربية القديمة، ردولف زلهام، ص33..

لاختصارها وسهولة عبارتها و حسن وقعها في نفوسنا كما هو الشأن في قولهم: (التقدم قبل التندم) فالدعوة إلى الإقدام واضحة⁽¹⁾.

وهكذا تكون الحكمة ملخص تجربة إنسانية تنحو منحى أخلاقيا وترمى إلى الإصلاح والتقويم أو على الأقل إلى الإفادة بالتجربة المتفق عليها كونيا كما في قول زهير بن أبي سلمى: ⁽²⁾.

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

كما تنهي الحكم الغافلين وترشد الظالين في عبارة موجزة ذات وقع خاص لا يحتاج المرء لفهمها إلى المعاجم، كما لا يحتاج إلى معرفة السياق الذي وردت فيه أول مرة وهذا ما تختلف فيه الحكم عن الأمثال، لأن الأمثال لا يمكن بحال فهمها دون تنزيلها في سياقها أي دون الوقوف على موردها، ولأن الأمثال عند العرب ليست لها في الغالب غاية وعظيمة إرشادية، فهناك من الأمثال ما يوحى بمدح الفضائل كالكرم، والوفاء بالوعد، والحث على التأخي، وبذم الرذائل كالغدر والطمع والبخل، ومن الأمثال ما يشتمل على مسحة أخلاقية تقربه من الحكمة مما يزيد اللبس ويصعب تحديد الفرق بينهما⁽³⁾. وعليه فالحكمة قول يختصر خلاصة تجربة أو خبرة في الحياة دون أن يكون قولاً تمثيلاً على عكس المثل، فهو يزيد على الحكمة المجردة بالتخييل أو التصوير التمثيلي.

والخلاصة أن الأمثال حكم بأسلوب تمثيلي، بينما الحكم فهي خلاصات تجارب عميقة في الحياة ودروس نابعة من خبرة راكمتها الأجيال واستخلصها الحكماء دون صياغتها صياغة تمثيلية⁽⁴⁾، فالحكمة معنى مجرد، أما المثل ففيه نوع من التجسيد المستمد من صور الواقع. إذ يقرب المثل المعنى إلى الذهن بالتصوير التمثيلي والتوسُّل بحالات وقصص وصور الواقع. أما الحكمة فهي زبدة المعنى، ولب الحقيقة المراد تبليغها في عبارة مجردة غالباً.

الفرق بين المثل والقصة:

أرجع بعض الدارسين المثل إلى علاقته وانتمائه إلى قصة حدثت وأفرزت أحداثها هذا المثل

⁽¹⁾ - التمييز بين المثل والحكمة في كتب الامثال القديمة عند العرب، أحمد الخديري، ص 129

⁽²⁾ - ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، (1408هـ-1988م)، ص 110.

⁽³⁾ - التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة عند العرب، أحمد الخديري، ص 133

⁽⁴⁾ - الأمثال في القرآن، دراسة موضوعية وأسلوبية، الصديق بن محمد بوعلام، ص 38 .

في حين رفض بعضهم ذلك، وقالوا إنه لا علاقة بين الاثنين، وأن العلاقات مقطوعة ومبتورة⁽¹⁾.
و من أصحاب الرأي الأول ابن الأثير الذي يقرر بأنه لا بد للمثل من مقدمات، وأسباب، وما المقدمات والأسباب إلا القصة التي ورد المثل بسببها وعن طريقها⁽²⁾.
ومن أصحاب الرأي الثاني "شوقي ضيف" في كتابه "الفن ومذاهبه في النثر العربي و"عبد المجيد عابدين" في كتابه "الأمثال في النثر العربي القديم" فقد نص كل منهما على ارتباط المثل بالقصة وقالوا إن القصص التي فسرت بها الأمثال من وليد الخيال أو الاختراع أو على الأقل ليس صحيحا كله⁽³⁾.
ويعتبر الرأي الأول هو الأقرب إلى الصواب فلا يمكن أن يكون هناك مثل دون أصل أو حكاية أو قصة تروى بين الناس ثم أفرزت المثل أو واقعة حدثت نتج عنها المثل⁽⁴⁾.
والقصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة والتي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل... وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية وهذا لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير وهي التصوير⁽⁵⁾.
ومن أبرز الخصائص التي يتميز بها القصص القرآني عن غيره من القصص هو عنصر التصوير الفني، والقرآن الكريم وهو يتناول القصة إنما يعالجها بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجرى لا قصة تروى ولا حادثا قد مضى⁽⁶⁾.

ولو استعرضنا موضوعات القصص القرآني لوجدناها تتحدث عن أحوال الكفار، والفجار، واللوطية، والفراعنة، والظالمين، والشرك بأنواعه، والكفر بأسبابه... والترغيب، والترهيب، وبيان

(1) -الأمثال في الأدب، فوزي شعبان، ص21.

(2) - المثل السائر، ابن الأثير 373/1 وما بعدها.

(3) - الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ص20. وانظر الأمثال في النثر العربي القديم، عبد المجيد قطامش ص 40.

(4) -الأمثال في الأدب، فوزي شعبان، ص21.

(5) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (1386هـ-1966م)، ص119.

(6) - التصوير الفني، سيد قطب، ص190.

سوء العاقبة، وقبح السمعة في الدنيا والعذاب في الآخرة⁽¹⁾. فكانت القصة القرآنية إحدى وسائل الوعظ والإرشاد شأنها في ذلك شأن المثل القرآني.

ومما لاشك فيه أن المثل من أكثر التعابير شيوعاً على ألسنة الناس وأعمقها تأثيراً في النفوس لأنها تمتاز بالإيجاز وإصابة المعنى ودقة التصوير وجودته وارتباطه في كثير من الأحيان بحادثة أو قصة تسمى المورد. والمقصود بمورد المثل إطلاقه أولاً في موقف ما، سواء أكان هذا الإطلاق في حادثة بذاتها أو لم يكن⁽²⁾. ولو رجعنا إلى كتب الأمثال لوجدنا كثيراً من الأمثال مجهولة القائل أو لم يذكر معها أصل من تلك الحوادث والأقاصيص.

وقد استخدم المثل القرآني القصة كأسلوب لتبليغ الدعوة إلى الله ولتوضيح طريق الحق، فكانت الأمثال القصصية التي صيغت في قوالب المضمون القصصي متميزة بالإسهاب في العرض ونقل الأحداث الغابرة في سياج من الحقيقة الراسخة بعيداً عن الإغراق في الخيال أو المبالغة في الوصف، فجاءت بالوقائع على طبيعتها، واشتملت على صور شتى للحوار الشخصي من غير أن تكون شخصيات المتحاورين مقصودة لذاتها. وإنما حددت العواقب والنتائج التي ترتبت على الوقائع وتضمنت أغراضاً سامية ومقاصد عالية تنفذ إلى النفوس، لتبعث فيها اليقظة الروحية وتصونها عن زلل الغفلة مزلق الهلكة⁽³⁾.

ولعل أبرز ما نلاحظه عن الأمثال القصصية في القرآن أنها ترد مبدوءة بلفظة التمثيل تنبيهاً على كون المضمون القصصي يحوي بين ثناياه أخباراً عجيبة ووقائع مثيرة. ومن خصائص الأمثال القصصية تسليط الضوء على مضمون المثل ومحتواه. وتكشف عن واقعه ومكانه في كثير من الأحيان، وتنفرد بالتحليل النفسي للشخصيات، فتبرز حالاتهم وطبائعهم وإن لم تكن تلك الشخصيات مقصودة لذاتها في المضمون القصصي. وإنما تؤدي دورها في إطار الغرض المنشود من إبراز عاقبة ما أو تضمين إغراء أو تحذير إلى غير ذلك⁽⁴⁾.

ومما لا شك فيه أن الأمثال القرآنية سبيل من سبل القرآن الكريم إلى العظة والعبرة، وقد ضرب الله القصة مثلاً في مواضع عدة منها:

(1) -التصوير الفني، سيد قطب، ص 119 وما بعدها.

(2) -الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص 15.

(3) - الأمثال القرآنية، دراسة لغوية جمال الدين ماينغ جنغ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2013، ص 28.

(4) - التعبير اللغوي في أمثال القرآن، محمود السيد حسن 389-390..

-قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف الآيات (32-43).

-قصة أصحاب القرية في سورة يس الآيات (13-29).

فكانت القصة المثل خير إطار تعبيرى لتمثيل القضايا الدينية والحقائق العقلية، وذلك بتجسيد القيم الدينية والعقلية في قالب قصصي محسوس، بحيث تجعل المتلقي أكثر قدرة على الفهم والاستيعاب وأكثر قدرة على تمثل المعنى الديني والعبرة الخلقية مما يؤكد في النفس ويعمقها في الإحساس⁽¹⁾.

الفرق بين التمثيل والتشبيه الاصطلاحي:

لقد كان مفهوم التمثيل عاما عند القدماء من علماء البلاغة والنقد، فقد أطلقوه على كثير من الصور البيانية كالاستعارة، والمجاز، والكناية، والتشبيه الاصطلاحي، فقدمه بن جعفر جعله فرعاً من ائتلاف اللفظ مع المعنى، ومثل له بأمثلة تشمل كثيراً من الألوان البلاغية. أما أبو هلال العسكري فقد تحدث عنه تحت اسم المماثلة، وابن رشيق القيرواني جعله ضرباً من الاستعارة ومثل له بأمثلة أكثرها من قبيل الكناية والتشبيه الاصطلاحي فقال: « التمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير آتة وعلى غير أسلوبه»⁽²⁾.

وقد عظم علماء البلاغة أمر التشبيه لكونه أعلق بالطبع وألذ للنفس وله نفع عظيم في باب الخطابة في المدح والذم والافتخار وغيرها، فقد عنوا عناية تامة بدراسة وإظهار محاسنه والكشف عن لطائفه وأسراره ووضع الحواجز الحصينة بينه وبين التشبيه التمثيلي، وقد درس الرماني التشبيه باعتباره نمطاً معرفياً وظيفته الأساسية "البيان" و"إخراج الأغمض إلى الأظهر"⁽³⁾، فقال: « والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه منها:

- إخراج ما لم تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، ومنها إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوة له في

(1)- الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي، دار الشهاب، د.ت، ص276..

(2)- نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1 (1401هـ-1981م)، ص4 وانظر نقد النشر، فدامة بن جعفر، ط1302هـ، ص58، وانظر الصناعيتين، أبو هلال العسكري، القاهرة 1966. ص353. انظر العمدة، ابن رشيق، القاهرة، ط1307هـ. 187/1.

(3)- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، 1976م، ص70.

الصفة إلى ما له قوة في الصفة. فالأول نحو تشبيه المعدوم بالغائب، والثاني تشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم، والثالث تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب، والرابع تشبيه ضياء السراج بضياء النهار»⁽¹⁾.

وهكذا جعل الرماني يدرس التشبيه باعتباره نمطا من أنماط الإدراك والتوضيح، ويغفل النظر في أبنيته النحوية على الرغم من اشتغاله بالنحو ورسوخ قدمه فيه، إلا أن ذلك المنحى في البحث مكّنه من أن يتفطن إلى خاصية من أهم خصائص الصورة في التشبيه وهي نزعتها إلى التصوير الحسي⁽²⁾.

وأما السكاكي، فقد حاول أن يستخرج مراتب التشبيه الممكنة نظريا بضرب من الاختزال الرياضي، فقد حذف في كل مرة مكونا لغويا يوافق ركنا من أركان معادلة التماثل بإستثناء المشبه به فإنه لم يحذفه، ولو فعل لانتقص الكلام وزال التشبيه، فقال: «والحاصل من مراتب التشبيه ثمان:

- إحداهما: ذكر أركانه الأربعة وهي المشبه والمشبه به وكلمة التشبيه ووجه التشبيه كقولك زيد كالأسد في الشجاعة، ولا قوة لهذه المرتبة.

- وثانيها: ترك المشبه، كقولك كالأسد في الشجاعة وهي كالأولى في عدم القوة.

- وثالثتها: ترك كلمة التشبيه، كقولك زيد أسد في الشجاعة، وفيها نوع قوة.

- ورابعتها: ترك المشبه وكلمة التشبيه، كقولك أسد في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد، وهي ثالثة في القوة.

- وخامستها: ترك وجه التشبيه، كقولك زيد كالأسد، وهي أيضا قوية لعموم وجه التشبيه.

- وسادستها: ترك المشبه ووجه التشبيه، كقولك كالأسد في موضع الخبر عن زيد، وحكمها كحكم الخامسة.

- وسابعتها: ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه، كقولك زيد أسد، وهي أقوى الكل.

- ثامنها: إفراد المشبه به في الذكر، كقولك: أسد. في الخبر عن زيد وهي كالسابقة⁽³⁾.

(1) - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص75.

(2) - التشبيه بين التركيب النحوي والدلالة عند البلاغيين العرب القدامى، بقلم هشام الريفي، حوليات الجامعة التونسية العدد 28، سنة 1988. ص266

(3) - مفتاح العلوم، السكاكي، ص151.

وكما قسم السكاكي التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه تمثيلي، وتشبيه غير تمثلي، فالتشبيه التمثيلي عنده ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا غير حقيقي. والتشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه على خلاف ذلك⁽¹⁾. غير أن السكاكي أرسى تصنيفه على أساس تفاضلي. فقد ذهب إلى أن التشبيه الذي تتوفر فيه الأركان الأربعة لا قوة له، وأن التشبيه الذي يقوم على الطرفين هو أقوى الكل.

أما الجرجاني فقد درس تركيب التشبيه في فقرات وردت متفرقة في كتابه "أسرار البلاغة". والناظر في كتابه هذا يلاحظ أن الجرجاني قد تناول المسألة من زاويتين مختلفتين الأولى وصفية والثانية تحويلية. فقد فحص في مواطن ما يأتي عليه التشبيه من تراكيب وبيّن ما يميز بعض أنواع التشبيه من بعض بالمقارنة بين تراكيبها النحوية. وعمد في مواطن أخرى إلى استكشاف ما بين أنواع التشبيه المختلفة من علاقات، فأخذ نماذج منها ونظر في إمكانيات تحويل كل نوع منها إلى بقية الأنواع الأخرى⁽²⁾. وأشار عرضا في مواطن متفرقة إلى التركيب النحوي باعتباره سمة من السمات التي تميز التشبيه الصريح من تشبيه التمثيل، فقال: «إن التشبيه الذي هو أولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يصلح لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر»⁽³⁾.

وأشار في موضع آخر إلى مقابلة دلالية طرفاها الصراحة والتأول. فقد ذهب إلى أن وجه الشبه في التشبيه الصريح حسي لا يحتاج فيه إلى تأول وأن وجه الشبه في تشبيه التمثيل عقلي يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأول⁽⁴⁾. وختتم المقارنة بين التشبيه الصريح وتشبيه التمثيل بقوله: «إنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة إلا أنه يراها تارة في المرآة وتارة على ظاهر الأمر. وأما في التشبيه الصريح فإنك ترى صورتين على الحقيقة»⁽⁵⁾.

(1) - مفتاح العلوم، السكاكي، ص142.

(2) - دراسة التشبيه، هشام الرفي، ص233، وانظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شركة القدس، دار المدني بجدة، ط1، (1412-1991). ص47، 101، 97، 115، 132.

(3) - أسرار البلاغة، الجرجاني، ص109.

(4) - المرجع نفسه، ص90.

(5) - المرجع نفسه، ص236.

وخلاصة القول أن التشبيه التمثيلي (التمثيل) عند الجرجاني هو التشبيه المنتزع من مجموع أمور والذي لا يحصل له إلا جملة من الكلام أو أكثر.... والتمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاص، "فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً"⁽¹⁾.

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن تحديد الفرق بين التمثيل والتشبيه الاصطلاحي يعتمد على وجه التشبيه، فإذا كان الوصول إليه سهلاً ميسوراً لوضوحه وقربه كان تشبيهاً غير تمثلي. وإذا كان الطريق إليه وعراً يحتاج تأولاً وإعمالاً للفكر كان تشبيهاً تمثلياً.

وإن من يعنى النظر في أسلوب التمثيل في لغة القرآن العظيم يتضح له أنه ينطوي على كثير من اللطائف والأسرار التي تحرك الأحاسيس والمشاعر، وتهمز العواطف، فهو أسلوب قد أحسن استخدامه على أتم وجه، ومن ثم فإنه يؤدي دوره وهو متمكن من نفسه ثم من نفوس السامعين فنجد أنه يؤثر تأثير قويا في النفس، ولهذا التف حول الأدباء فأصبح الميدان الفسيح الذي يتنافسون فيه والوسيلة المثلى التي ترنو إليها أبصارهم⁽²⁾.

فالتمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهم الجاهل الغيبي، وقمع صورة الجامح الأبي كيف لا؟ وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المؤلف⁽³⁾، فالتمثيل مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن كيف لا وهو يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار التي انفرد بها دون سائر فنون البيان العربي.

المثل القرآني :

إن أمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو التشبيه والنظير ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضر بها. بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة، وما لم يفش استعماله، ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن، فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس سواء كانت تشبيهاً أو

(1) - أسرار البلاغة، الجرجاني، ص 239.

(2) - نظرت في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون، ص 12.

(3) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 1/61.

قولاً مرسلًا⁽¹⁾. فقد ابتداءً الله تعالى دون أن يكون لها مورد من قبل على عكس الأمثال العربية فلها مورد ومضرب.

يقول ابن القيم في المثل القرآني: «بأنه تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر»⁽²⁾.

ويضيف عبد الله شحاته: «أن المثل في القرآن لا يخضع لشروط الأمثال العربية من إيجاز للفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية... ذلك أن أمثلة القرآن أنواع منها المصراحة والكامنة والمرسلة»⁽³⁾. فكثيراً ما تقترن آيات الأمثال في القرآن الكريم بكلمة "الضرب" كقوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [النحل: الآية: 75] ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [النحل: الآية: 76] ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: الآية: 24] ويكون المعنى المقصود من ضرب الأمثال هو ذيوها وانتشارها حتى يعم النفع بها.

ولا يعقل الأمثال القرآنية إلا العالمون لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية: 43] ، فكثيراً ما كانت الأمثال القرآنية سبيلاً من سبل القرآن إلى العظة والهداية ووسيلة من الوسائل الكثيرة الهادفة إلى المثل الأعلى⁽⁴⁾. وقد ذكر الزركشي أن من حكمة الله تعالى تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان⁽⁵⁾.

إن المثل في القرآن الكريم آية من آيات الله، ومدرسة للتربية والإرشاد، ومشكاة نورانية للهداية والاستبصار، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ [البقرة

(1) -مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 283

(2) -الأمثال في القرآن، ابن القيم، ص15

(3) -علوم القرآن، عبد الله محمود شحاته، دار غريب، القاهرة، 2002، ص164.

(4) -التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين درا الشروق، ط1، 1973، ص228..

(5) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 486/1.

[26]. فالمثل القرآني من أعظم أنواع الفقه إذ لا يعقله إلا العالم. أما الكافر ومريض القلب بسبب الجهل والغي والظلم لا يفقهان الأمثال ولا ينتفعان بما تتضمنه من خير⁽¹⁾.

وقد ألف علماء العربية عددا من المؤلفات في أمثال القرآن الكريم، منها: (2).

- الأمثال في الكتاب والسنة لمحمد بن علي بن حسن، الحكيم الترمذي، ت بعد 318هـ.

- أمثال القرآن لإبراهيم بن محمد بن عرفة نبطوية المتوفي سنة 323هـ.

- كتاب الأمثال لمحمد بن الجنيد المتوفي بعد الثلاثمائة.

- أمثال القرآن لأبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي النيسابوري توفي سنة 406هـ.

- أمثال القرآن لأبي الحسن، علي بن محمد الماوردي توفي سنة 456هـ.

- أمثال القرآن لابن القيم الجوزية المتوفي سنة 751هـ.

- رسالة في الأمثال القرآن، أحمد بن عبد الله الكوزكاني طبعت سنة 1324هـ.

- الأمثال الكامنة في القرآن، لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن إسحق القضاعي.

- الأمثال الكامنة في القرآن لحسين بن الفضل.

وبتقصينا المثل القرآني سنجد على الرغم من اتصافه بخصيصة الإيجاء الناجمة عن التكثيف والاختزال الشديدين، فإنه يتسم كذلك بخصيصة التعاقد لنتيجة لعدم دخوله في تفصيلات من شأنها أن تؤدي إلى ضياع المعنى⁽³⁾، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل ولبّه وثمرته⁽⁴⁾.

يبد أن الطريف في أمثال القرآن هو اختلافها عما سواها من الأمثال، لا باندراجها ضمن

(1) - الأمثال في القرآن دراسة أسلوبية وموضوعية، الصديق بن محمد، ص51.

(2) - أنظر الأمثال العربية القديمة، رودلف زولهلم، ص36، وانظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مكتبة الحلبي، القاهرة، 1922م، 272/1. الفهرست، محمد بن اسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ-1978م، ص238 وانظر الأمثال الكامنة

في القرآن، الحسين بن الفضل، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة التوبة، ط1 (1992-1412هـ) الرياض، السعودية، ص10.

(3) - الإشارة الجمالية في المثل القرآني، عشتار، داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق 2005، ص10.

(4) - أعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، 1973، ص240/1.

السياق النصي للقرآن فحسب، وإنما بوصفها كانت ومازالت تتسم بالجدّة إذا لم يطرأ عليها شيء من الابتدال الاستعمالي فظلت محافظة على خصوصيتها⁽¹⁾.

أنواع المثل القرآني:

والأمثال في القرآن ثلاثة أنواع مصرحة وكامنة ومرسلة.

1/ الأمثال المصرحة أو القياسية: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه،

وهي كثيرة في القرآن ومنها:

- قوله تعالى: في حق المنافقين ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١٧) ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْدِعُهم فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢٠) [البقرة 17-20].

- وقوله أيضا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 261].

وإذا بحثنا عن مادة المثل القياسي استطعنا أن نميز بين طائفتين:

- إحداهما: تتجه في موضوعها إلى السلوك الإنساني إزاء رسالة الله ودعوته، ومنها قوله

تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة 16-17].

فهذا بيان لحالة الكفار وقد كانوا يترقبون الدعوة ويتطلعون إلى نور يهديهم إلى الحق، فلما أشرق هذا النور صدوا عنه.

(1)- الإشارة الجمالية، عشتار داوود، ص40.

وكذلك سائر الأمثال التي تندرج في هذه الطائفة فالكفار في دعواهم وعنادهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَبْعُوقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: 171]. والطيون الذي ينفقون في سبيل الله يضاعف لهم الأجر: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

أو ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: 265].

-أما الطائفة الثانية: فتتجه إلى ملكوت الله ومخلوقاته وهي التي لا تتعرض بصفة مباشرة لسلوك الناس وتصرفاتهم إزاء الله ورسالته، كمثل الحياة الدنيا بما أنزله الله من السماء ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: 24].

أما نور الله فمثله ﴿كَمَشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 35] ⁽¹⁾.

ويقوم المثل القياسي على مقومات هامة بما اكتسبت الأمثال القياسية تلك الخاصية المؤثرة في البيان والإقناع. وأهم مقومات الأمثال القياسية: الحكمة والقياس. والقياس في الأمثال يكون بطريقتين:

أحدهما: التشبيه: كقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّرَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا

⁽¹⁾ - التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين، ص 231. الإقناع في علوم القرآن، السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ت،

فَأَقْصِبْ أَلْقَصَبَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِتَائِيْنَا وَأَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: 175-177].

وهذا النوع يقوم فيه المتكلم بإجراء القياس بتشبيه الفرع بالأصل وبيان وجه المشابهة، وغالبا ما يوجد فيه أداة من أدوات التشبيه.

والثاني: إبراز النموذج-الذي يراد أن يحتذى- والشاهد والحجة ليقاس عليها ويعم حكمها لكل من تحقق فيه وصفها، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11].

وهذا النوع من الأمثال يبرز فيه الأنموذج أو الشاهد أو الحجة أو القصة ويترك للسامع تدبرها وإجراء القياس بإلحاق النظر بالحكم أو الوصف العام المدلول عليه بالمثل وغالبا ما يرد لفظ (ضرب) في أمثلة هذا النوع نحو قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 29].

-قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس 13] ^(١).

وعليه فالأمثال القياسية نوعان تمثيلية تشبيهية، وأمثال نموذجية. وقد بين ابن القيم أن الله تعالى استخدم القياس في القرآن بطريقة ضرب الأمثال حين قال: «وقد أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع من كتابه، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلا والثانية فرعا عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات، وقاس الخلق الجديد الذي أنكره أعداؤه على خلق السماوات والأرض وجعله من قياس الأولى.

كما جعل قياس النشأة الثانية على الأولى من قياس الأولى، وقاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم وضرب الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل» ^(٢).

^(١) _ الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، المدينة المنورة 1424هـ، ص 49-50.

^(٢) _ اعلام الموقعين، ابن القيم 1/130، 131.

ويُعدّ ابن القيم من السّباقيين إلى تناول الأمثال القياسية في القرآن الكريم في كتابه: "أمثال القرآن" وهو في الأصل جزء من كتابه "إعلام الموقعين"، ومن هنا استوحيت فكرة البحث لتكون الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم موضوع البحث ومناط الاهتمام والدراسة.

2- الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها. وإنما دل مضمونها على معنى يشبه مثلا من أمثال العرب المعروفة، أي أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها ومن هنا جاءت تسميتهم لها بالأمثال الكامنة⁽¹⁾.

ويمثل لهذا النوع بأمثلة منها:

1- ما في معنى قولهم "خير الأمور الوسط".

أ/ قوله تعالى في البقرة: ﴿لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكْرَهُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: 68].

ب/ قوله تعالى في النفقة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67].

ج/ قوله تعالى في الصلاة: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110].

د/ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29].

2- ما في معنى قولهم (كما تدين تدان).

قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: 123].

3- ما في معنى قولهم (ليس الخبر كالمعانية):

(1) -مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص284 وما بعدها وانظر التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين، ص228 وما بعدها. وانظر التبيان في أمثال القرآن، محمد بن صلاح الشوادقي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2012م) ص56. البرهان الزركشي 488/1، معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969م، 466.486/1. الإتنان، السيوطي 133/8، جبهة الأمثال، العسكري 386/2، مجمع الأمثال، الميداني 215/2، المستقصى، الرمخشري، 276/2.

- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260].

4- ما في معنى قولهم: «الحلال لا يأتيك إلا قوتنا والحرام يأتيك جرافا».

- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: 163].

5- ما في معنى قول النبي ﷺ « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين».

- قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: 64] ⁽¹⁾

3/- الأمثال المرسله:

هي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه ويصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن وشيوعها بين المسلمين، ولم تكن أمثالا في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية مركزة، فهي عبارة عن آيات أرسلت إرسالا يمكن أن نجريها مجرى الأمثال ومن أمثلة ذلك:

- ﴿حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: 51].

- ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: 58].

- ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41].

- ﴿أَلَيْسَ الضُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81].

- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].

- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60].

ويغلب على الأمثال القياسية المصرحة الجانب التصويري التمثيلي لغرض تقرير المعاني في النفوس وحثها على أمر مثالي أو ردعها عن صفة ذميمة. أما الأمثال الكامنة فتتسم بالإيجاز ما خلا الأمثال الغالب عليها الطابع القصصي كما تبرز المعنى في صورة جليلة وبديعة وتكاد تخلو من الجانب

⁽¹⁾- الأمثال الكامنة، الحسين بن الفضل، ص 27 وما بعدها .

التصويري التمثيلي في كثير من الأحيان⁽¹⁾. أما الأمثال المرسلّة فتخلو من وجه المشابهة بين الممثل والممثل له⁽²⁾.

ضرب المثل:

تَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلًا⁽³⁾، ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز حبيبات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك التخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد⁽⁴⁾.

إن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء وخفيت عليه الأشياء، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال إذ قد خفيت عليهم الأشياء، فضرب الله لهم مثلاً من عند أنفسهم، لا من عند نفسه، ليدرکوا ما غاب عنهم⁽⁵⁾.

فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى عن ذلك علواً كبيراً فلا جرم ما ضرب الأمثال من نفسه لنفسه كيف لا، ولا مثل له ولا شبيهه، فذلك قال جل ذكره: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: 74].

وقد جرت عادة أهل الأدب أن يسوقوا الأمثلة في مواطن تشبه الأحوال التي قيلت فيها وإذا صح هذا في أقوال الناس التي جرت مجرى المثل، فإن العلماء يكرهون ضرب الأمثال بالقرآن ولا يرون أن يتلو الإنسان آية من آيات الأمثال في كتاب الله عند شيء يعرض من أمور الدنيا حفاظاً على روعة القرآن ومكانته في نفوس المؤمنين⁽⁶⁾.

وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد، وتفهم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، لأن النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدة وعدم

(1) - الأمثال القرآنية، دراسة تحليلية، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط1، (1421هـ، 2000م)، ص 22.

(2) - التعبير اللغوي في أمثال القرآن، محمود السيد حسن، ص 448.

(3) - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 1056.

(4) - الكشف عن حقائق وغوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، 1407هـ، 1/72.

(5) - الأمثال من الكتاب و السنة، أبي عبد الله محمد الترمذي. تحقيق السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ط1. 1985 ص 16

(6) - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 289.

النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته⁽¹⁾.

ويذهب السيد قطب إلى أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، وإنما الأمثال أدوات للتنوير، والتبصير، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره⁽²⁾.

وقد اعتبر السيوطي ضرب الأمثال من وجوه إعجاز القرآن، فقال: الوجه الحادي والثلاثون من وجوه إعجازه ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة⁽³⁾.

وأحسن الراغب الأصفهاني صنعا حينما علل اختلاف العلماء في معنى الضرب تعليلا مقبولا، و رد أسباب هذا الاختلاف إلى طبيعة الشيء المضروب، فقال: «الضرب إيقاع شيء على شيء وبتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيره، كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها، وضرب الأرض بالمطر وضرب الدرهم اعتبارا بضربه بالمطرقة. وقيل له الطبع اعتبارا بتأثير السكة فيه وبذلك شبهت السجّية فليل لها: الضريبة والطبيعية. والضرب في الأرض الذهاب فيها، وهو ضربها بالأرجل، وضرب الخيمة ضرب أوتادها بالمطرقة. وتشبيها بضرب الخيمة قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [أل عمران: 112]. أي لتحفهم الذلة التحاف الخيمة لمن ضُربت عليه، ومنه استعير ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ [الكهف: 11]. وضرب اللبن بعضه ببعض بالخلط، وضرب المثل من ضرب الدراهم، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [النحل: 75]⁽⁴⁾.

وضرب الشيء ضربا تحرك، وضرب في الأرض، ذهب وأبعد وضرب القاضي على يد فلان حجر عليه ومنعه التصرف والضرب: المثل، ضرب له مثلا ذكره ومثّل له به⁽⁵⁾. وجاء ذكر الضرب في

(1) -أعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، 291/1.

(2) -في ظلال القرآن، السيد قطب، دار الشروق، بيروت، 1412هـ، د.ط، ص50.

(3) -معتزك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي 466/1، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 133/2.

(4) - المفردات، الراغب، ص 505.

(5) - القاموس المحيط، الفيروز آبادي/106 المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية صوالحي، محمد خلف الله أحمد

القاهرة ط 2. 1392هـ. ص562.

القرآن على ثلاثة أوجه⁽¹⁾:

1- الضرب في الأرض: وذلك في قوله: ﴿وَأَخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل:20].

2- الضرب بالسيف واليد: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12].

وقوله: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال:12].

وقوله: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابِ﴾ [محمد:4].

3- التبيين والوصف: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل:74] أي لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه بسواه.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة:26].

ذكر الشريف الرضي في كتابه "تلخيص البيان في مجازات القرآن" قال:

- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيدَّهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي

الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:17]. وهذه استعارة والمراد بها معنيان: - أحدهما أن يكون الله تعالى أراد بضرها تسيرها في البلاد وإدارتها على السنة الناس من قولهم ضرب فلان في الأرض إذا توغل فيها وأبعد في أقاصيها ويقوم قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ مقام قوله: ضرب به في البلاد.

والمعنى الآخر في ضرب المثل أن يكون المراد به نصبه للناس بالشهرة تستدل عليه حواظهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظهم وذلك مأخوذ من قولهم: ضربت الخباء إذا نصبته وثبت ظنه وأقمت عمره لا ويكون قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ على هذا الوجه أي ينصب منارهما ويوضح أعلامهما ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصدوه ويعرفوا الباطل بسماته⁽²⁾.

⁽¹⁾ - الوجوه والنظائر في القرآن، مقاتل بن سليمان البلخي، ص226 وانظر الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ص296..

⁽²⁾ - تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق وتقديم علي محمود، مجلة منشورات، دار مكتبة الحياة، لبنان،

ولعل في ضرب الأمثال وقص الأفاصيص عمن سلف في الأمم الغابرة ممن آثر هواه وخسر دينه وديناه تحقيق العبرة وسوق التذكرة لمن يؤثر رضا الله ويرجو أن يجتنب على خير وتحمده عقباه⁽¹⁾. ولذلك كان المثل القرآني من خير الوسائل المعينة على فهم البيان وإدراك متعلقاته، ومن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها، فيدركون ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة⁽²⁾.

خصائص وسمات المثل القرآني:

قد أعجز القرآن الكريم بإيجازه الدقيق جميع البشر كما أعجزهم بحسن نظمه وجمال تعبيره، وبراعة تصويره وروعة بيانه. والمثل قول من شأنه أن يحفظ وأن يكون خفيفاً على الألسنة معبراً عن قصة أو داعياً إلى عبره⁽³⁾.

والمثل القرآني ليس من قبيل المثل الاصطلاحي أو من جنس ما يعادله لفظاً ومعنى، بل هو نوع آخر سماه القرآن مثلاً من قبل أن تعرف علوم الأدب "المثل" ومن قبل أن تسمي به نوعاً من الكلام المنشور وتصفه مصطلحاً له، بل من قبل أن يعرف الأدباء المثل بتعريفهم.

وقد امتازت صفة المثل القرآني بأنها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أعيدت مكررة تمثيلاً، وضرب موردها تنظيراً، وإنما ابتدع المثل القرآني ابتداعاً دون حذو احتذاه وبلا مورد سبقه، فهو تعبير جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة⁽⁴⁾.

كما تميز المثل القرآني عن غيره بتصوير الحقائق المجردة تصويراً لا يبعد عن الواقع المحس. بمعنى أن ما فيه من تشبيه، أو استعارة، أو كناية، أو مجاز. إنما هو من مقومات الوصول إلى الحق والحقيقة بعيداً كل البعد عن الخيال المقصود لذاته، بغية الإمتاع الذهني أو العاطفي. ومع ذلك نجد هذا الأسلوب لا يجيء في عزلة عن الآيات السابقة له واللاحقة، وإنما يأتي شارحاً لما قبله ممهداً لما بعده مصحوباً بالحكم على من أطاع وعصى. اقرأ قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: 17]. ثم اقرأ الآيات قبلها وقرأ ما بعدها، فماذا تجد؟

(1) -التعبير اللغوي في أمثال القرآن، محمود السيد حسن، ص 37 وما بعدها..

(2) -دراسات في المثل العربي المقارن، عبد الرحمن التكريتي، د.ت، ص 45..

(3) - الأمثال القرآنية، محمد بكر اسماعيل، ص 29.

(4) - الصورة الفنية في الأمثال القرآنية، محمد الصغير، حسين علي، دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشد، دمشق، 1981. ص 72.

إنك تجد أموراً أربعة متلازمة:

الأول: أنه يشرح ما قبله من الآيات، فقد ذكر الله أوصاف المنافقين، ثم ساق المثل بيانا لحالهم وشأنهم.

الثاني: أنه يمهد لما بعد، وهو تكليف الخلق بتوحيد الله وعبادته ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21].

الثالث: أنه يُصدّق الحكم على من ضُربَ فيهم المثل.

الرابع: أنه يحمل في طياته من الحجج البالغة على صدق الرسل فيما يُبلّغون عن ربهم⁽¹⁾.

وأما من يتتبع الأمثال القرآنية، فإنه يستطيع اكتشاف الخصائص التالية:⁽²⁾

- دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية.

- التصوير المتحرك الحي الناطق ذو الأبعاد المكانية و الزمانية، والذي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة.

- صدق المماثلة بين الممثل والممثل له.

- التنوع في عرض الأمثال، مرة بالتشبيه، ومرة بالعرض المفاجيء، ومرة بالتمثيل البسيط، وأخرى بالتمثيل المركب الذي يطابق كل جزء منه جزءاً من الممثل له، وأخرى بالتمثيل المركب الذي ينتزع منه وجه الشبه بنظرة كلية عامة، وغير ذلك من فنون القول وأساليبه.

- البناء على الممثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له على اعتبار أن الممثل قد كان وسيلة لإحضار صورة الممثل له في ذهن المخاطب ونفسه. وإذا أحضرت صورة الممثل له ولو تقديراً فإليان البليغ يستدعى تجاوز المثل ومتابعة الكلام عن الممثل له، وتسقط صورة المثل لتبرز القضايا المقصودة.

- كثيراً ما يحذف من المثل القرآني مقاطع من الصور التمثيلية اعتماداً على ذكاء أهل الاستنباط إذ باستطاعتهم أن يتصوروا في أذهانهم كامل الصورة ويُتموا ما حُذِفَ منها.

(1) - الأمثال القرآنية، د. محمد بكر إسماعيل، ص 32، 33.

(2) - التبيان في أمثال القرآن، محمد بن صلاح الشوادقي، ص 16.

وتبقى بعض الخصائص مجهولة لدينا لأن القرآن الكريم كون واسع فسيح لا يدرك مداه ولا يحيط بمعانيه وخصائصه ودقائقه إلا الله.

أهمية الأمثال القرآنية:

تعد الأمثال القرآنية مقاييس عقلية، وقواعد عامة، وكليات شاملة، وعلامات هادية شاخصة ومنتصبة، تصلح أن يُقاس عليها ما يؤكد علوها على الحصر مما يمكن أن يكون حسياً، أو عقلياً، أو نفسياً، حقيقة أو مجازاً.

وتتجلى أهمية الأمثال القرآنية فيما تمتلكه من قدرة مؤثرة في النفس البشرية وانفعالها من خلال البراعة في التصوير والقدرة على التشخيص، وقوة الحركة ونقل الصورة من الفكر المجرد إلى الحس المشاهد المتحرك. وهذا أدعى إلى إيقاظ همم المخاطب وبعث كوامن نفسه واستنهاض أحاسيسه ومشاعره ووجدانه للإقبال نحو تحقيق غرض التمثيل وغاياته⁽¹⁾.

قد جمع الزركشي عدداً من فوائد ضرب الأمثال في القرآن، فذكر: «التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، وتقريب المراد للعقل، وبيان تفاوت الأجر، والمدح، والذم، والثواب والعقاب، وعلى تفخيم أمر وتحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله...»⁽²⁾.

وقد سبق الزمخشري الزركشي فيما ذهب إليه حين بين - الزمخشري - أثر التمثيل وأهميته والعبرة منه كما بين قدرة المثل القرآني وبراعته في التحويل العقلي المجرد، وتشخيصه، وتشكيله في قوالب وصور فنية محسوسة، فقال: «التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها، لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها»⁽³⁾. فالأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم.

وكما تكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275]. وتضرب الأمثال للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس، كما تضرب الأمثال للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس.

(1) - التبيان في أمثال القرآن، محمد بن صلاح الشوادقي، ص 19..

(2) - البرهان، الزركشي، 488/1.

(3) - الكشاف، الزمخشري، 478/3.

ويضرب المثل المدح الممثل كقوله تعالى في: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح 29]. فالأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 27]. وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]. وضرىها النبي ﷺ في حديثه واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ومن وسائل التربية في الترغيب أو التنفير في المدح أو الذم⁽¹⁾.

ومما سبق يتبين لنا ما للمثل من مكانة هامة وأثر بالغ في التأثير على النفوس، وقد جرت العادة عند العرب منذ القدم على ضرب الأمثال لما وجدوا فيها من تصوير لحالهم واختزال لمواقفهم في عبارات تكون لكل موقف مشابه لمورد المثل، وكثيرا ما اكتنفت هذه الأمثال غرابة ومع ذلك وُصفت بأنها حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام، نظرا لما تقوم به من كشف الحجاب عن الأمور العقلية و تشبيهها بالمحسوسات حتى تبدو مألوفة و قريبة من الفهم.

ويتسم المثل القرآني بمخاصية الإيحاء التي تجعله متجددا محافظا على خصوصيته متميزا عن سواه من الأمثال. وتعد أمثال القرآن مظهرا من مظاهر بلاغته وإعجازه ودقة تصويره. كيف لا وقد حملت أمثال القرآن بأنواعها (كامنة أو مرسلة أو قياسية) أسمى هدف في الوجود ألا وهو إثبات الوحي والرسالة.

⁽¹⁾ -مباحث في علوم القرآن مناع القطان، ص 289، وانظر التبيان في أمثال القرآن، محمد صلاح الشوداقي، وانظر الأمثال القرآنية، محمد بكر إسماعيل، ص 28 وما بعدها. علوم القرآن، عبد الله محمود شحاتة، ص 165 وما بعدها.

الفصل الثاني
المكون الصوتي و أثره الدلالي في الأمثال
القياسية

1/الصوت اللغوي:

إذا ما تأملنا العطاءات الإنسانية في مجال الدراسة الصوتية عبر التاريخ نجد أن الفكر الإنساني كان قد اهتم في فترة مبكرة جدا من عمر الحضارة الإنسانية بالظاهرة الصوتية. ويعود ذلك في جوهره إلى دور الأصوات في اكتمال النظام التواصلي بين أفراد المجتمع البشري، إذ إن الطبيعية الإنسانية تقتضي بالضرورة العضوية، والنفسية، والاجتماعية استعمال الصوت لتحقيق عملية التواصل والإبلاغ⁽¹⁾. ولا تكاد تعدو اللغة في مظهرها من أن تكون أصوات إنسانية يحللها عالم الأصوات اللغوية ويصفها، كما يشرح كيفية صدورها وأعضاء النطق التي تساهم في إخراجها.

وقد اهتم العلماء العرب بدراسة أصوات اللغة العربية اهتماما كبيرا، واتسمت هذه الدراسة بالدقة والتميز على الرغم من اعتمادها على الملاحظة الذاتية والحس والذوق الذاتي، ودفعهم إلى هذه الدقة وهذا التميز حرصهم على سلامة لغة القرآن الكريم ونقائها وبخاصة بعد انتشار الإسلام في بقاع الأرض شرقا وغربا، فتأثرت أسماع العرب بلغات هؤلاء الأقوام وأصواتها، فخشي العلماء الأجلاء من أن تنحرف أصوات هذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكريم، بتأثرها بأصوات تلك اللغات⁽²⁾.

وأول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابن جني (ت 392هـ) في كتابه "سر صناعة الإعراب" فكان أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم مازلنا نستعمله حتى الآن وهو "علم الأصوات"⁽³⁾. ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) أول من وضع أبجدية صوتية للغة العربية رتب أصواتها بحسب المخارج ابتداء من أقصاها في الحلق حتى الشفتين⁽⁴⁾ وتشتمل على تسعة وعشرين رمزا (ع، ح، ه، خ، ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة)⁽⁵⁾.

ولكن سيبويه خالف أستاذه مخالفاً جوهرية إذ رتبها على النحو التالي: (همزة، ا ه ع ح ع خ، ك ق ص ج ش ي ل و ن ط د ت ص ز س ط ث ن ب م و).

(1) _مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 56.

(2) _ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، (1994)، ص 139.

(3) _ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3(1405هـ) - 1985م، ص 24.

(4) _ البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 94.

(5) _ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

الفصل الثاني..... (المكون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية)

أما ترتيب ابن جني فقد جاء موافقا في معظمه لترتيب سيبويه فيما عدا وصفه القاف قبل الكاف وتأخيره الضاد إلى ما بعد الياء⁽¹⁾.

وما يدل هذا الاختلاف في الترتيب إلا على ذلك السمع المرهف، والإحساس الذكي والاهتمام البالغ باللغة التي حدّها ابن جني بقوله: «حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁽²⁾.

وعرف الجاحظ (ت 255هـ) الصوت اللغوي فقال: «هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف»⁽³⁾. ويصف سيبويه الصوت بقوله: «واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها صوت»⁽⁴⁾.

أما ابن جني فعرفه بقوله: «هو عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته»⁽⁵⁾.

يظهر جليا من هذه التعريفات للصوت أن علماء العربية الأوائل لم يزيدوا على الصوت سوى أنه مظهر فيزيقي ولم يقولوا به مقولة لغوية دقيقة تخرج بها إلى تحديد واضح لمفهوم الصوت، وذهب إبراهيم أنيس من المحدثين إلى أن الصوت اللغوي ظاهرة من الظواهر الطبيعية، إذ يرى أن الصوت ظاهرة يدرك أثرها ولا يدرك كنهها⁽⁶⁾.

أما تمام حسان فيعرف الصوت بأنه «عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن»⁽⁷⁾.

(1) _ البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 115

(2) _ الخصائص، ابن جني، 33/1

(3) _ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية بيروت، (1429 هـ-2008م) 58/1.

(4) _ الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، مصر، 1982م، 174/4.

(5) _ سر صناعة الأعراب، ابن جني، دار القلم، دمشق، تحسين عبد الرضا، تحقيق حسن هندواي، ط1، (1985)، 19/1

(6) _ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1975. ص 6-7 وانظر الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، تحسين عبد الرضا، دار دجلة، ط1، (2011)، ص 66، 67، 69.

(7) _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط5، (1427-2006م). ص 66.

أما كمال بشر فيعرفه: «بأنه الأثر السمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة بتجاوز أعضاء النطق. والملاحظ أن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة، ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة ومحددة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضاً، ومعنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهوداً ما، كي يحصل على الأصوات اللغوية»⁽¹⁾.

وقد شاع مصطلح الحرف كثيراً عند علماء العربية أكثر من شيوع مصطلح الصوت، ف جاء في لسان العرب: «الحرف من حروف الهجاء معروف واحد من حروف التهجي»⁽²⁾. أما سيبويه فيرى أن أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً. إشارة منه إلى أن الحرف من حروف التهجي وسبق بذلك ابن منظور فيما ذهب إليه، أما الحرف عند الخليل بن أحمد الفراهيدي فله حيز ومدرج⁽³⁾.

ولقد عبّر ابن جني عنه بهذا المعنى، فالحرف (و) ما كان من لفظه مأخوذاً من مادة (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته، وأن حروف المعجم سميت حروفاً وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات لكلم ونواح⁽⁴⁾.

أما إبراهيم أنيس⁽⁵⁾ فنجدته يستعمل مصطلح الصوت ولا يفرق بينه وبين الحرف، في حين يطلق بشر كمال مصطلح الحرف على الصوت الصامت⁽⁶⁾. أما تمام حسان فيفرق بين الصوت والحرف بقوله: «الصوت ينطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النطقي وما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية، ولكن الحرف لا ينطق وإنما يفهم في إطار نظام من الحروف يسمى النظام الصوتي للغة»⁽⁷⁾.

(1) _ علم الأصوات، كمال بشر، درا غريب، ط (2000)، ص 119.

(2) _ لسان العرب، ابن منظور، 41/9.

(3) _ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 57/1.

(4) _ سر صناعة الإعراب، ابن جني، 13/1.

(5) _ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 81، 82، 83.

(6) _ علم الأصوات بشر كمال، ص 151.

(7) _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 74.

ويشير في موضع آخر إلى أن الحروف وحدات من نظام، وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات، والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت وبين الإدراك الذهني للذي للحرف أي بين ما هو مادي محسوس وبين ما هو معنوي مفهوم⁽¹⁾.

وخلاصة القول من كل ما مضى أن الحرف حقيقة تستقر في الذهن، فهو رمز للصوت غير المنطوق، أما الصوت فهو حقيقة مادية كونه عملية حركية يقوم بها جهاز النطق.

2/ جهاز النطق: Organes of speech:

إن إنتاج الكلام عملية عرضية لجهاز التنفس، ففي غالب الحالات يدخل الهواء ويخرج في صمت ولا تحدث الأصوات إلا إذا كانت هناك حواجز، وضغط، وتحكم في الحركات التي تنشئ أو تزيل الحواجز المسببة في تنوع الأصوات⁽²⁾.

والحديث عن الأصوات اللغوية يقتضي بالضرورة العلمية القيام بوصف تشريحي لجهاز النطق عند الإنسان بوصفه الآلة المنتجة، إذ ينتظم "جهاز النطق" أعضاء عدة، ولكنها متكاملة إنها منظومة تفاعلها ميكانيكية على درجة عالية من الدقة والانضباط⁽³⁾. ويتكون الجهاز التصويبي عند الإنسان من أعضاء ثابتة وأخرى متحركة لها وظائف مختلفة، وقد سميت بـ "أعضاء النطق من باب التوسع، فالنطق ليس إلا واحدا من عدة وظائف أساسية لهذه الأعضاء ولعل أهم هذه الوظائف حفظ حياة الإنسان.

1- الرئتان: Lung: هي جسم مطاط قابل للانكماش والتمدد. ولكنه لا يستطيع الحركة بذاتها، ومن ثم فهو في حاجة إلى محرك يدفعه للتمدد أو الانكماش، وهذا المحرك هو الحجاب الحاجز من ناحية والقفص الصدري من ناحية أخرى⁽⁴⁾.

2- القصبة الهوائية: windpipe: هي عبارة عن أنبوبة مكونة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائي مخاطي⁽⁵⁾.

(1) _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 73، 74.

(2) _ الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر، العاصمة، ص 39.

(3) _ علم الأصوات، كمال بشر، 132.

(4) _ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ط3، (1985)، ص 80.

(5) _ المرجع نفسه، ص 80.

3- الحنجرة: larynx فهي عبارة عن صندوق غضروفي متصل بالطرف الأعلى للقصبة الهوائية، وتتكون من ثلاثة غضاريف.

أ/ الغضروف الدرقي: وهو الجزء العلوي فيها وهو ناقص الاستدارة من الخلف وعريض بارز من الأمام و يسمى تفاحة آدم، وهو في الرجال أكثر بروزا منه في النساء.

ب الغضروف الحلقي (الأدنى): ويشكل الجزء الأدنى من الحنجرة ويكون بمثابة القاعدة لها على هيئة حلقة تمثل أعلى حلقات القصبة الهوائية.

ج- الغضروفان الحنجريان: وهما النسيحان الخلفيان الهرميان يتميزان بالقدرة على الحركة وبواسطة هذه الغضاريف وطبيعتها التكوينية تتمكن الحنجرة من التحرك في اتجاهات مختلفة إلى فوق وتحت وأمام وخلف، والحركة إلى أعلى وأسفل هامة جدا في النطق، لأنها تغير من شكل حجرة الرنين وحجمها فتؤثر على نوع الرنين الحنجري⁽¹⁾.

4- الوتران الصوتيان: vocal bands: وهما أشبه بشفتين تمتدان أفقيا بالحنجرة من الخلف إلى الأمام ويلتقيان عند ذلك البروز المسمى تفاحة آدم، ويسمى الفراغ بين الوترين الصوتيين بالمزمار وقد ينفرج الوتران أو ينقبضان حتى يلمس أحدهما الآخر فيغلق ممر الهواء نهائيا، وقد يقترب أحدهما من الآخر لدرجة تسمح بمرور الهواء ولكن بشدة وعسر، ومن ثم يتذبذبان ويصدران نغمة موسيقية⁽²⁾.

5/ الحلق: pharynx: وهو الجزء الواقع بين الحنجرة و الفم وقد يسمى هذا الجزء بالفراغ الحلقي أو التجويف الحلقي وهو الفراغ الواقع بين أقصى اللسان والجدار الخلفي⁽³⁾.

6- الحنك: palate: ويسمى أيضا سقف الحنك أو سقف الفم أو الحنك الأعلى، ولا يقوم سقف الحنك بإنتاج الأصوات بمفرده وإنما بالاشتراك مع اللسان، وينقسم إلى أربعة أقسام هي: ⁽⁴⁾.

أ- اللهاة: uvula: عضو لحمي صغير يتدلى من الطرف الخلفي للحنك ويقع خلف الطبقة وإذا لامستها مؤخرة اللسان نشأت صورة القاف⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ _دراسة الصوت اللغوي أحمد مختار عمر 80-81 الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، حسام بهنساوي ، ص 26.

⁽²⁾ _علم الأصوات، كمال بشر، ص 135.

⁽³⁾ _ المرجع نفسه، 138.

⁽⁴⁾ _علم الأصوات، بشر كمال، ص 139، الدراسات الصوتية البهنساوي، ص 24.

⁽⁵⁾ _أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية، فدوى حسان، علم الكتب الحديث، الأردن، ط1، (1432هـ-2011م)، ص 21.

ب- **الطبق:** سقف الحنك الرخو Softpalata ويسمى الحنك اللين ويقوم بإنتاج الأصوات بالاشتراك مع مؤخرة اللسان.

ج- **الغار:** سقف الحنك Hard Palata ويقوم بإنتاج الأصوات- أيضا- بالاشتراك مع وسط اللسان أو حافة اللسان ويتميز بأنه محذب ومحزز، ويسمى بالحنك الصلب أو وسط الحنك، وهو غير قابل للحركة على عكس الحنك اللين.

د/ **اللثة:** Aveol Gumride أو أصول الأسنان العليا Tooth Ridge وتقوم بإنتاج الأصوات بالاشتراك مع طرف اللسان⁽¹⁾.

7/ **الأسنان:** وهي من أعضاء النطق الثابتة ويقسمها علماء الأصوات إلى قسمين أسنان سفلى وأسنان عليا، وتلعب أعلاها دورا في النطق بينما لا تلعب الأسنان السفلى إلا دورا ثانويا.

8/ **الشفتان:** Lips: من أعضاء النطق المتحركة: إذ تتخذ أوضاعا مختلفة حال النطق ويؤثر ذلك في نوع الأصوات وصفاتها ويظهر هذا التأثير بوجه خاص في نطق الأصوات المسماة بالحركات⁽²⁾.

9- **اللسان:** Tongue: وهو من أهم أعضاء النطق المتحركة وأكثرها مطاوعة للحركة والامتداد نظرا لبنيته التكوينية ويقسم علماء الأصوات اللسان إلى:

أ- **أقصى اللسان أو مؤخره:** Back of the tongane وهو الجزء المقابل للحنك اللين أو ما يسمى بأقصى الحنك.

ب- **وسطه أو مقدمه:** Front of the tongane وهو الجزء الذي يقابل الحنك الصلب أو ما يسمى بوسط الحنك.

ج- **طرف اللسان:** Blaude of tongue وهو الجزء الذي يقابل اللثة⁽³⁾.

10- **التجويف الأنفي:** Nasal Cavrty وهو مشترك بين جهاز التنفس والنطق معا، يندفع الهواء من خلاله عندما ينخفض الحنك اللين فيفتح الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين ليمر من طريق الأنف وهذه الحال هي الحال عند النطق بالنون والميم العريبتين⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ _ الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 26.

⁽²⁾ _ الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات، ص 42. وعلم الأصوات، بشر كمال، ص 140.

⁽³⁾ _ علم الأصوات، بشر كمال 138، الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات، ص 43، الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 25.

⁽⁴⁾ _ علم الأصوات، بشر كمال 140، مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 73.

3/ تصنيف الأصوات العربية:

-يصنف العلماء المحدثون الأصوات اللغوية قسمين هما: (1).

أ- الأصوات الصامتة أو الساكنة أو الصوامت.

ب- الأصوات الصائتة أو الحركات أو أصوات العلة أو أصوات اللين.

وأساس هذا التقسيم قائم على طبيعة الأصوات وخواصها وذلك بتركيز الاهتمام على

خاصيتين مهمتين هما:

1-وضع الأوتار الصوتية:

2- كيفية مرور الهواء عند النطق بالصوت المعين (2).

3-1الصوامت: les consonnes:

أ-تعريفها: الصامت هو صوت يلتقي الهواء بحاجز عند النطق به، وهذا الاعتراض أو العائق في مجرى الهواء قد يكون كاملا(كما في نطق الدال) أو كان الاعتراض جزئيا من شأنه أن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع، ويدخل في الأصوات الصامتة تلك الأصوات التي لا يمر الهواء أثناء النطق بها من الفم وإنما يمر من الأنف كالنون والميم، وكذلك الأصوات التي ينحرف هواؤها، فلا يخرج من وسط الفم وإنما يخرج من جانبيه أو أحدهما كاللام (3).

إذن فالصامت هو كل صوت نتج عن اعتراض كامل أو جزئي لمجرى الهواء الصادر من الحنجرة باتجاه الفم أو الأنف.

ب-مخارج الأصوات الصامتة: (4).

1-الصوامت الشفوية:

وتتضمن اللغة العربية ثلاثة أصوات شفوية وهي:

(1) _علم الأصوات، بشر كمال، ص 150. الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 73. الصوت والفلوجيا، مصطفى حركات، ص 49.

(2) _علم الأصوات، بشر كمال، 150.

(3) _علم الأصوات، بشر كمال 151، الصوت والفلوجيا، مصطفى حركات، ص 50.

(4) _الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 73، 74، 75، 76.

1-الباء: صوت شفوي انفجاري: يتم نطقه بأن تنطبق الشفتان انطباقا تاما يمنع مرور الهواء فترة ثم ما يلبث أن يزول السد، فيخرج الهواء منفجرا.

2- الميم: صوت شفوي (أنفي) مرقق يتم نطقه بأن تنطبق الشفتان انطباقا تاما يمنع مرور الهواء عبر الفم، وينخفض الطبق نحو التجويف الخلفي للحلق فينغلق المجرى الفموي ويغير الهواء مجراه عبر التجويف الأنفي.

3- الواو: صوت شفوي يتم نطقه بانضمام الشفتين إلى الأمام ويكون وضع اللسان متوسطا بين وضعه من نطق الصوامت بوجه عام، ووضعها في نطق الحركات، ويرتفع الطبق نحو التجويف الخلفي للحلق وينسد التجويف الأنفي ويخرج الهواء عبر الفم.

2- الأصوات الشفوية الأسنانية: وتشمل اللغة العربية على صوت واحد هو الفاء ويتم نطقه بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصالا يسمح بمرور الهواء بينهما محدثا احتكاك مسموعا.

3-الأصوات الأسنانية: وتشمل اللغة العربية على ثلاثة أصوات وهي:

-التاء.

-الذال.

- الطاء.

4- الأصوات الأسنانية اللثوية:

ويضم هذا المخرج مجموعة كبيرة من الأصوات تصل إلى سبعة أصوات وهي الدال، الضاد، التاء، الطاء، الزاي، والسين والصاد.

ويخرج الصوت عند اتصال طرف اللسان مع الأسنان العليا ومقدمة اللسان باللثة (وهي أصول الثنايا).

5- الأصوات اللثوية: وتضم هذه المجموعة ثلاثة أصوات وهي اللام والراء والنون ويخرج الصوت عند اتصال طرف اللسان باللثة.

6-الأصوات الغارية: ويشتمل على ثلاثة أصوات وهي الشين والجيم والياء.

-الشين: ويتم نطقه بأن ترتفع مقدمة اللسان نحو الغار ارتفاعا يسمح بمرور الهواء محدثا

الفصل الثاني.....(المكون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية)

احتكاكا مسموعا ويرتفع الطبقة ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق وينسد التجويف الأنفي ويخرج الهواء عبر الفم.

- الجيم: يتم نطقه بأن يلتصق مقدمة اللسان بالغار التصاقا تاما يمنع مرور الهواء ويزول السد فجأة وإنما يزول ببطء فيترتب على ذلك حدوث احتكاك للهواء الخارج بالعضوين مقدمة اللسان والغار ويرتفع الطبقة ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق وينسد التجويف الأنفي ويخرج الهواء عبر الفم.

- الياء:

يتم نطقه بأن يوضع مقدمة اللسان في وسط المسافة بين وضع اللسان مع الصوامت بوجه عام والحركات، ويرتفع الطبقة ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق وينسد المجرى الأنفي ويخرج الهواء من الفم.

7- الأصوات الطبقة: وهي:

الكاف.

-العين.

8-الأصوات اللهوية: وتشمل اللغة العربية على صوت واحد فقط وهو:

-القاف: ويتم نطقه بأن ترتفع مؤخرة اللسان فيلتصق باللهة والجدار الخلفي للحلق ويسد مجرى الهواء، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة، ويرتفع الطبقة ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق وينسد التجويف الأنفي ويخرج الهواء من الفم.

9- الأصوات الحلقية: وتشمل اللغة العربية على صوتين اثنين هما:

-العين.

-الحاء.

10- الأصوات الحنجرية: يستعمل اللغة العربية على صوتين اثنين هما:

-الهمزة: ويتم نطقها بأن يلتصق الوتران الصوتيان التصاقا تاما يمنع مرور الهواء ثم ما يلبث أن يزول السد فجأة فيخرج الهواء منفجرا.

- الهاء: يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارجي من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن يحدث لها اهتزاز ويرتفع الطبقة ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق وينسد التجويف الأنفي ويسمع للهواء بالمرور

عبر الفم، ويكون وضع الفم في نطق الهاء هو نفس وضعه في نطق الحركات، ولولا هذا الحفيف الذي يحدث في منطقة الأوتار الصوتية لما سمع غير صوت الزفير العادي.

ج- صفات الأصوات الصامتة:

1-**الجهر:** قد يحدث أثناء نطق بعض الأصوات أن يكون الوتران الصوتيان متقاربان بحيث لا يسمحان للهواء الصادر من الرئتين بالمرور دون أن يهتزا اهتزازا منظما فيحدث عندئذ ما ينعته عادة بالذبذبة. ففي حالة الجهر تنقبض فتحة المزمار ويقترّب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار ولكنها تسمح بمرور الهواء الذي يندفع فيها فيهتز الوتران الصوتيان وفي هذه الحالة تحدث الأصوات المجهورة⁽¹⁾.

إذن فالصوت المجهور هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به⁽²⁾. والأصوات الصامتة المجهورة في اللغة العربية هي (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ك، م، ن، والواو في نحو (ولد وحوض) والياء في نحو (يترك، بيت)⁽³⁾.

2-**الهمس:**

الهمس عكس الجهر من حيث التقابل العضوي فيه يرتخي الوتران الصوتيان و ينفرجان عن بعضهما البعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالهمس.

والأصوات المهمومة في اللسان العربي هي: التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين، والشين والصاد، والطاد، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء والهمزة⁽⁴⁾.

3-**التفخيم:**

وهو ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا في اتجاه الطبقة اللينة وتحركه إلى الخلف قليلا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، ولذلك يسميه بعضهم الإطباق بالنظر إلى الحركة العليا للسان ويسميه بعضهم

(1) _ مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 87. الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات، ص 45.

(2) _ علم الأصوات، بشر كمال، ص 174.

(3) _ مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 88، الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات، ص 45.

(4) _ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 279، الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات، ص 46.

التحليق بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان⁽¹⁾. والأصوات الصامتة المطبقة في اللغة العربية هي: ص، ض، ط، ظ⁽²⁾.

4- الترقيق:

قد تنخفض مؤخرة اللسان بعيدا عن الطبق عند النطق بالمصوت، وتسمى الأصوات الصامتة الصادرة بهذه الصورة بالأصوات المرققة وغير المطبقة⁽³⁾. والأصوات الصامتة المرققة هي: الهمزة، الهاء، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الدال، والذال والراء، والزاي والسين والشين والعين والفاء والكاف واللام والميم والنون والواو والياء.

وأما الغين والكاف والحاء فتدرج ضمن الأصوات ذات التفخيم الجزئي فهي مفخمة من الدرجة الثانية⁽⁴⁾.

5- الاحتكاك: (الرخوة):

ويتم بأن يضيق مجرى الهواء عند مخرج من المخارج ضيقا يسمح بمرور الهواء مع الاحتكاك في موضع التضيق⁽⁵⁾. والصوامت الاحتكاكية هي: الفاء، والثاء، والطاء، والزاي والسين والصاد والشين والحاء والغين والحاء والعين والهاء.

6- الانفجارية الانسدادية: (الشديدة):

وتحدث هذه الصفة عند مرور الهواء عبر الممر الصوتي وينسد ذلك الممر بفضل عائق عضوي ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة وبسرعة فيندفع الهواء إلى الخارج محدثا انفجار شديدا ويسمى الصوت من هذه الحالة بالصوت الانفجاري، والصوامت الانسدادية هي: الباء والتاء والدال والطاء والضاد والكاف والقاف والهمزة⁽⁶⁾.

(1) _ الصوت والفتنولوجيا، مصطفى حركات، ص46

(2) _ عدَّ بعض المحدثين الهمزة لا بالهموسة ولا بالجمهور، (إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص11 وكمال بشر علم الأصوات، ص174).

(3) _ أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية، فدوى حسان، ص49.

(4) _ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص20، الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص278.

(5) _ الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص49.

(6) _ مباحث في السانيات، أحمد حساني، ص86. والدراسات الصوتية، البهنساوي، ص48. الصوت والفتنولوجيا، مصطفى حركات، ص47

-أما الريم فيسمى بالصوت المركب أو المزجي أو المعطش ذلك أنه يبدأ شديداً (انسداد) وينتهي رخواً⁽¹⁾.

7- الصوامت الجانبية:

سميت هذه الصوامت بالجانبية لأن الهواء يخرج من جانب الحاجز⁽²⁾. كما في نطق اللام.

8- الصوامت الأنفية:

هي الأصوات التي يحدث في أثناء النطق بها أن يغير الهواء مجراه من المجرى الفموي إلى المجرى الأنفي، والصوامت الأنفية في اللغة العربية هي: الميم والنون⁽³⁾.

9- الصوامت الاهتزازية: الترددات.

وتنتج عن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا فيتكرر النطق بها⁽⁴⁾. وهي صفة للراء.

10- الصوامت الصفرية:

وسميت بهذا الاسم لأنه يصفر بها في أثناء النطق وتتميز بالحدة وشدة الوضوح السمعي واحتكاكيتها.

والصوامت الصفرية كما ذكرها العلماء العرب: الزاي والسين والصاد⁽⁵⁾.

11- التفشي:

وهي صفة لحرف واحد في اللغة العربية وهو حرف الشين. والتفشي هو انتشار صوت الشين من مخرجه حتى يصطدم بالصفحة الداخلية للأسنان العليا⁽⁶⁾.

12- القلقلة:

وهي إخراج الحرف المقلقل حالة سكونه بالتباعد بين طرفي عضو النطق حتى تسمع له نبرة

(1) - أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية، فدوى حسان، ص 40.

(2) - الصوت والفنولوجيا، مصطفى حركات، ص 53.

(3) - الدراسات الصوتية البهنساوي، ص 50.

(4) - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 66.

(5) - الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 43.

(6) - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 68، انظر مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، مصطفى أكروور،

دار الخلدونية، ط 2013، ص 85، الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 44.

دون أن يصاحبه شائبة حركة من الحركات الثلاث وحروف القلقة في اللغة العربية هي (ق، ط، ب، ج، د)

13- الاستطالة:

اندفاع اللسان إلى الأمام بعد اصطدامه بمخرج الضاد حتى يلامس رأس اللسان أصول الثنيتين العلين (الثنايا العليا) وذلك تحت تأثير الهواء المضغوط خلف اللسان وهي صفة لحرف واحد وهو حرف الضاد⁽¹⁾.

د-رصد نسبة تردد الصوامت في الأمثال القياسية:

إن الله سبحانه وتعالى لما قضت حكمته أن تكون رسالته معجزة يتحدى بها الثقيلين، شاءت قدرته أن تأتي ألفاظه حاملة قيم الإعجاز ودلالاته التي هي محك امتحان العقول ودعوة ربانية يجد فيها كل جيل ما يؤكد عالمية الرسالة، وأنها رسالة سماوية لا يرقى إليها الشك ولا يأتيها الباطل⁽²⁾.

فكان اختيار القرآن للألفاظ متناسقا ومحكما مع مقتضى الحال وطبيعة المناسبة السياقية ما جعل اللفظة القرآنية تتميز بخصائص تجاوزت الخصائص العامة للكلام العربي عامة، ذلك أنها تتميز بميزتين: الأولى الدقة وتتفرع إلى أمور خمسة: الدقة في الوضع، و الدقة في الاختيار، والدقة في الوصف، والدقة في التناسق. أما الميزة الثانية: الحياة، فاللفظة في القرآن قادرة على بعث الحياة بحرکتها، وصخبها، وأحداثها، ومعاركها، وصورها، ومشاهدها⁽³⁾.

فقد كان القرآن الكريم دقيقا في اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته، فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب وإذا انتقاه نكرة كان ذلك لغرض كذلك، وإذا كان اللفظ مفردا كان ذلك بمقتضى يطلبه وإذا كان مجموعا كان لحال يناسبه، وقد يختار كلمة ويهمل مرادفها وكل ذلك لغرض يرمي إليه في التعبير⁽⁴⁾.

فكان كلام الله معجزا تحدى كل لسان عربي كان أم أعجمي، وهذا ما نقله الرافعي في قوله: «رأو حروفه في كلماته وكلماته في جملة ألحانا لغوية رائعة كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة

(1) _ مخارج وصفات الحروف العربية، مصطفى أكرور، ص 86، الدراسات الصوتية، البهنساوي 45.

(2) _ الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن، محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، (2008)، ص 187.

(3) _ الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط 1980، ص 10.

(4) _ من أسرار التعبير من القرآن صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، ط (1983) الرياض، 3/2.

الفصل الثاني..... (المكون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية)

واحدة قراءتها هي توقيعها فلم يفهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم به وكان ذلك آيين في عجزهم»⁽¹⁾.

وقال الزرقاني: « هذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الأذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منشور الكلام سواء أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر»⁽²⁾.

وهكذا حفظ القرآن الكريم قدسية الكلمة مما جعلها متفردة ومتميزة، كما زاد من رونقها ذلك التلاؤم والاتلاف في بنيتها من حيث اختيار الأصوات وانتقائها بدقة بالغة أبعدها عن كل تنافر صوتي أو تعقيد أو ثقل.

وقد تم رصد نسبة تردد الصوامت و الصوائت الواردة في الأمثال القياسية وفق التصنيف السابق ذكره للأمثال القياسية إلى حقول دلالية، كل حقل دلالي يضم مجموعة من الأمثال القياسية . والجدول الآتي يبين ذلك.

⁽¹⁾ _عجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي. ط2. 1990. ص 214.

⁽²⁾ _ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، 310/2.

الفصل الثاني..... الملحون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

الجدول رقم (1): يبين نسبة تردد الصوامت والصوائت في الأمثال القياسية

الصوامت المرققة	الصوامت المفخمة		الصوامت الاحتكاكية		الصوامت الانفجارية		الصوامت المهموسة		الصوامت المجهورة		عدد الأصوات - (صوائت - صوائت)	الصوائت		الصوائت		الأصوات الحقول الدلالية	
	%	ع	%	ع	%	ع	%	ع	%	ع		%	ع	%	ع		
98,28	688	1,71	12	51,50	171	48,49	161	29,57	207	70,42	493	1170	40,17	470	59,82	700	وحدانية الله
97,14	441	2,86	13	45,41	104	54,58	125	35,24	160	64,75	294	825	44,96	371	55,03	454	القرآن
96,92	180	3,22	06	65,68	67	34,31	35	32,25	60	67,74	126	346	46,24	160	53,75	186	أصحاب الرسول
96,92	314	3,08	10	45,23	76	54,76	92	30,55	99	69,44	225	587	44,52	263	55,47	324	الإنفاق
96,43	351	3,57	13	43,33	78	56,66	102	29,94	109	70,05	255	672	45,83	308	54,16	364	الحياة الدنيا
97,27	205	2,38	5	49,52	52	05,47	53	31,90	67	68,09	143	379	44,59	169	55,40	210	الجنة
97,27	249	2,73	7	51,42	72	48,57	68	31,25	80	68,75	176	476	46,21	220	53,78	256	اليهود
95,15	33	4,85	17	50,81	93	49,18	90	29,42	103	70,57	247	613	42,90	263	57,09	350	المنافقون
97,58	1731	2,42	43	47,63	403	52,36	443	27,67	491	72,32	1283	3536	49,83	1762	50,16	1774	الكافرون
97,28	4492	2,72	126	24,16	1116	25,31	1169	29,80	1376	70,20	3242	8604	46,32	3986	53,67	4618	العدد الكلية النسبة

الفصل الثاني..... الملون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

- و الجدول رقم(2): يمثل نسبة تردد الصوامت المجهورة الواردة في الأمثال القياسية وفق التصنيف السابق ذكره لها إلى حقول دلالية، كل حقل يشتمل على مجموعة من الأمثال القياسية.

ي	و	ن	م	ل	غ	ع	ظ	ض	ز	ر	ذ	د	ج	ب	أ	الصوامت	
																ن. تردد	المجهورة الحقول الدلالية
51	40	72	75	100	0	23	2	4	5	23	8	16	6	29	39	تردد ص	وحدانية الله
7,28	5,71	10,28	10,71	14,28	0	3,28	0,28	0,57	0,71	3,28	1,14	2,28	0,85	4,14	5,57	ن تردد	
35	15	26	38	56	2	7	0	7	9	31	2	10	8	26	22	ترص	القرآن
7,70	3,30	5,94	8,37	12,33	0,44	1,54	0	1,54	1,98	6,83	0,44	2,20	1,76	5,72	4,84	ن. تر	
6	9	10	18	17	4	8	3	2	4	16	2	6	7	4	10	ترص	أصحاب الرسال
3,22	4,83	5,37	9,67	9,14	2,15	4,30	1,61	1,07	2,15	8,60	1,07	3,22	3,76	2,15	5,37	ن تر	
25	17	27	28	55	1	8	0	1	0	9	5	4	1	26	18	ترص	الإنفاق
7,71	5,24	8,33	8,64	16,97	0,30	2,46	0	0,30	0	2,77	1,54	1,23	0,30	8,02	5,55	ن تر	
18	20	38	30	46	4	9	1	4	6	22	3	12	2	12	28	ترص	الحياة الدنيا
4,94	5,49	10,43	8,24	12,63	1,09	2,47	0,27	1,09	1,64	6,04	0,82	3,29	0,54	3,29	7,69	ن تر	
4	11	26	27	19	3	8	1	0	0	16	3	4	3	6	12	ترص	الجنة
1,90	5,23	12,38	12,85	9,04	1,42	3,80	0,47	0	0	7,61	1,42	1,90	1,42	2,85	5,71	ن تر	
21	15	24	26	37	1	6	2	0	0	7	8	2	0	12	15	ترص	اليهود

الفصل الثاني..... الملون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

8 ,20	5 ,85	9 ,37	10 ,15	14 ,45	0 ,39	2 ,34	0 ,78	0	0	2 ,73	3 ,12	0 ,78	0	4 ,68	5,58	ن تر	
20	15	28	46	43	1	13	3	3	2	16	9	6	3	16	23	تر ص	المنافقون
5 ,71	4 ,28	8	13 ,14	12 ,28	0,28	3 ,71	0,85	0,85	0 ,57	4 ,57	2 ,57	1 ,71	0,85	4 ,57	6 ,57	ن تر	
122	87	224	175	223	7	53	10	9	10	73	22	44	33	85	106	تر ص	الكافرون
6 ,87	4 ,90	12 ,62	9 ,86	12 ,57	0 ,39	2 ,98	0 ,56	0 ,50	0 ,56	4 ,11	1 ,24	2 ,48	1,86	4 ,79	5 ,97	ن تر	

الفصل الثاني..... الملحون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

الجدول رقم (3): يمثل نسبة تردد الصوامت المهموسة في كل حقل من الحقول الدلالية للأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم.

نسبة الصوامت المهموسة في كل حقل دلالي %	المجموع %	الهاء %	ك %	ق %	ف %	ط %	ص %	ش %	س %	خ %	ح %	ث %	التاء %	الصامت ن. تردد	الصوامت المهموسة الحقول الدلالية
29 ,57	207	51	28	15	12	3	3	9	28	8	8	14	28	تردد ص	وحدانية الله
	700	7 ,28	4	2 ,14	1 ,71	0 ,42	0 ,42	1 ,28	4	1 ,14	1 ,14	2	4	ن تردد	
35 ,24	160	23	20	8	14	3	3	7	14	2	6	13	33	تر ص	القرآن
	454	5 ,06	4 ,40	1 ,76	3 ,08	0 ,66	0 ,66	1 ,54	3 ,08	0 ,44	1 ,32	2 ,86	7 ,26	ن. تر	
32 ,25	60	16	5	1	12	0	1	2	8	1	3	3	8	تر ص	أصحاب
	186	8 ,60	2 ,68	0 ,53	6 ,45	0	0 ,53	1 ,07	4 ,30	0 ,53	1 ,61	1 ,61	4 ,30	ن تر	الرسول
	99	20	10	6	15	2	7	2	8	1	2	7	19	تر ص	الإنفاق
30 ,55	324	6 ,17	3 ,08	1 ,85	4 ,62	0 ,61	2 ,16	0 ,61	2 ,46	0 ,30	0 ,61	2 ,16	5 ,86	ن تر	
	109	20	14	3	15	3	5	2	5	5	8	4	25	تر ص	الحياة الدنيا
29 ,94	364	5 ,49	3 ,84	0 ,82	4 ,12	0 ,82	1 ,37	0 ,54	1 ,37	1 ,37	2 ,19	1 ,09	6 ,86	ن تر	
	67	15	5	7	8	3	1	2	3	2	2	4	15	تر ص	الجنة
31 ,90	210	7 ,14	2 ,38	3 ,33	3 ,80	1 ,42	0 ,47	0,95	1,42	0 ,95	0 ,95	1 ,90	7 ,14	ن تر	
	80	17	13	6	9	1	4	3	5	2	5	10	15	تر ص	اليهود
31 ,25	256	6 ,64	5 ,07	2 ,34	3 ,51	0 ,39	1 ,56	1 ,17	1 ,95	0 ,79	1 ,95	3 ,90	5 ,85	ن تر	

الفصل الثاني..... الملون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

	103	29	11	9	9	4	7	5	6	2	5	2	14	ترص	المنافقون
29,42	350	8,28	3,14	2,57	2,57	1,14	2	1,43	1,71	0,57	1,43	0,57	4	ن تر	
	491	99	60	43	62	6	18	16	37	19	28	22	81	ترص	الكافرون
27,67	1774	5,58	3,38	2,42	2,49	0,33	1,01	0,90	2,08	1,07	1,57	1,24	4,56	ن تر	

هـ - دلالة الصوامت في الأمثال القياسية:

تقسم الأصوات الصامتة بحسب وضع الوترين الصوتيين إلى قسمين، أصوات مجهورة وأخرى مهموسة. فقد يقترب الوتران الصوتيان بعضها من بعض في أثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء مع إحداث اهتزازات وذبذبات في الوترين الصوتيين، فتنتج أصوات مجهورة. وقد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمح له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض واهتزاز من قبل الوترين الصوتيين وتسمى هذه الأصوات بالأصوات المهموسة⁽¹⁾.

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم والتي نحن بصدد دراستها يتبين لنا جليا من خلال الجداول المعروضة (1، 2، 3) أن هذه الأمثال القياسية تضمنت أصواتا مجهورة وأخرى مهموسة بنسب متباينة خاصة وأنا قمنا بتصنيف هذه الأمثال القياسية كما سبق وأشرنا إلى حقول دلالية بلغ عددها تسعة حقول كل حقل دلالي ضم مجموعة من الأمثال القياسية.

فقد سجلت الصوامت المجهورة حضورها بكثافة حيث بلغت نسبة ترددها 20, 70 % في حين بلغت نسبة تردد الأصوات المهموسة 29, 80 % وما هذا الشيوع للصوامت المجهورة على حساب الصوامت المهموسة إلا دليل على تنوع المعاني والدقة المتناهية في انتقاء الألفاظ وفقا لمقتضى الحال.

1- الأمثال القياسية المضروبة لوحدانية الله وقدرته:

-لقد كان للصوامت المجهورة النصيب الأوفر والحضور المكثف إذ بلغت نسبة تواترها 42, 70 % مقارنة بـ 29, 57 % من الصوامت المهموسة

صامت اللام:

بالعودة إلى الجدول (2) نجد أن صوت اللام احتل الصدارة بنسبة 14,28 % من مجمل الصوامت المجهورة. بدا في صورة "لا" النافية التي تكررت أكثر من مرة في قوله تعالى:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [النحل: 60].

⁽¹⁾ - أثر الانسجام الصوتي في اللبنة اللغوية في القرآن الكريم، فدوى حسان، ص 44.

- ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل: 75].

- ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: 76].

- ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: 73].

- ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ [إبراهيم: 18].

- ﴿لَا تَعْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ﴾ [يس: 32].

ذكر الله تعالى أن الكفار يعبدون ما لا دليل على عبادته لا من سمع، ولا من عقل، ويتركوا عبادة من خلقهم، فذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء، بل حتى على رد ما أخذه ذلك الأقل منها "الذباب"⁽¹⁾. وقد خص المولى الذباب لأمر أربعة: مهانته، وضعفه واستقداره، وكثرته⁽²⁾ وعن ابن عباس أن العرب كانت تضحخ أوثانها بالزعفران و رؤوسها بالعسل ويغلقون عليها، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله⁽³⁾. ولا يستطيع ذلك الصنم الضعيف رد أضعف مخلوق عنه، فضعف الآلهة أن لا منعة لهم وضعف الذباب في استلابه ما على الآلهة.

فتكرار اللام هنا ما هو إلا مظهر لوني لصورة الإصرار الانحرافي الذي بات تطبعا مؤكدا بتكلف أهله واثبات لفرط عجز ما يدعون من دون الله، وتنبية على ضلالة المشركين وبطلان ما يدعون إليه.

2- صامت النون:

سجل صامت النون حضورا بلغت نسبته 28,10% من الصوامت المجهورة بعد صامت اللام. والنون صوت أنفي مجهور يمتاز بقوة وضوح سمعي جاء تأكيدا لاستحقاق الله للحمد دون ما يعبد من دونه كيف لا وهو الخالق الأحق أن يعبد. وقد اشتملت الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله وقدرته على كلمات سيطرت النون على معظمها، منها ما كان توضيحا لحال الأصنام وضعفها وقلة حيلتها و منها (دون، العنكبوت أو هن). أما ما يتره المولى عما نسب إليه فمنها (إن،

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 637/7

(2) _ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط 2، 1384هـ-1964م. 97/12،

(3) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 538/7.

كن، فيكون) ففضاؤه عزّ و جل هو أمره الكوني إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون... وهذه الأمثال من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بكرة⁽¹⁾. فكأنما العنكبوت رمز للضعف والوهن وسرعة الزوال، وقد أكد المولى ذلك بقوله: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: 41] فالعنكبوت لضعفها وقلة حيلتها لنفسها اتخذت بيتا ليكنها فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه⁽²⁾.

خلاصة ماسبق أن النون عمل على إبراز مظاهر الضعف، والعجز، وقلة الحيلة لكل ما جعل شريكا للمولى عزوجل، وبالمقابل أكد صامت النون قدرة الله وسلطانه الغالب القاهر. والله المثل الأعلى.

-صامت الهاء:

الهاء صامت حنجري رخو مهموس يتم النطق به عند احتكاك الهواء الخارج من الرئتين بالتضييق على مستوى الأوتار الصوتية ويحمل صامت الهاء قيمة دلالية ساهمت في إبراز المعنى الدقيق، وقد تكرر وروده 51 مرة أي ما يعادل 28,7% من مجمل الصوامت المهموسة، فكان أكثر الصوامت المهموسة تردداً، وقد ورد في الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله في:

1/- لفظ الجلالة "الله" الذي تكرر (8) ثماني مرات وفيه دوما تترتبه للذات الالهية.

2/- "هو" ضمير الرفع المنفصل الذي تكرر (6) ست مرات، مرتين كان عائداً فيها على المولى عزّ وجل (وهو العزيز الحكيم)، وكل من العزيز والحكيم أوصاف للمولى عزّ وجل. فالعزيز عزّ وجل ممتنع من أن تدركه الأوهام والصفات والخطرات⁽³⁾، وسمى الله نفسه حكيماً لأنه أحكم ما خلق، فلم يفتته شيء ولم يكن فيه خلل ولم يعجزه شيء من لطيف الخلق وجليله ولم يدع شيئاً مما ينبغي أن يكون مخلوقاً إلا خلقه بحكمته ومنع بعضه أن يفسد بعضاً، فقد أحكم الله كل شيء خلقه⁽⁴⁾.

(1) _التفسير القيم ابن القيم 49/2 .

(2) _جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير أبو جعفر الطبري تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420-2000م). 403/18

(3) _الزينة في الكلمات الإسلامية، أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، علق عليه. حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة، 1957. 76/2

(4) _ الزينة في الكلمات الإسلامية، الرازي، 103/2.

3/- "هل" جاء ذكره ثلاث مرات:

- ﴿هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ [الروم: 28].

- ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [النحل: 75].

- ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: 76].

والاستفهام هنا إنكاري، فقد جاءت هل لإنكار التسوية بين المولى عز وجل وبين ما أشركوه مع الله. فكيف يستوي من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم بمن كان أبكم لا يقدر على شيء وهو كل وعال على من يعيل أمره.

-صامت الكاف:

الكاف صامت مهموس لا تهتز الأوتار الصوتية حال النطق به، فلا حاجة لمجهود أثناء نطقه إذ تلتصق مؤخرة اللسان بالطبق التصاقا تاما يمنع مرور الهواء، و يرتفع الطبقة ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، و يسد التجويف الأنفي ثم يزول السد فجأة، فيخرج الهواء عبر الفم⁽¹⁾. وهذا ما يتناسب مع دلالة الكلمات التي تضمنت صوت الكاف وهي (مملوكا، أبكم، كل، شركاء العنكبوت). وفي كل جاءت الكاف تأكيدا على ضلال المشركين، وفرط حيرتهم، فجاء وصفهم ب"المملوك" تمييزا لهم عن الحر لأن اسم العبد يقع على الجميع من عباد الله، أما الأبكم فهو الذي ولد أخرسا فلا يفهم ولا يفهم، وهو كل على مولاه أي ثقل وعال على من يلي أمره ويعوله، أينما يوجهه ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية لم ينفع⁽²⁾.

وأما كلمة شركاء، فهي جمع شريك وهو المشارك في المال لقوله تعالى: ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

﴿[الروم: 28] فقد زعم المشركون أن الأصنام شركاء الله في التصرف. وقد شبهت هذه الهيئة بهيئة ناس لهم عبيد صاروا شركاء في أرزاق سادتهم شركة على السواء، فصار سادتهم يحدرون إذا أرادوا أن يتصرفوا في تلك الأرزاق أن يكون تصرفهم غير مرضي لعبيدهم⁽³⁾.

(1)-الدراسات الصوتية، حسام البهنساوي، ص 81.

(2) _الكشاف، الزمخشري، 623/2.

(3) _ التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1420-2000م)

وأما كلمة العنكبوت فباجتماعها مع سابقاتها تدل على ملازمة العجز، والاحتياج، وفرط الضعف لتلك الأصنام، والأوثان التي هي أولياء للمشركين في الضعف، والوهن، وعدم النفع لهم ودفع الضرر عنهم⁽¹⁾.

الأمثال القياسية المضروبة للقرآن:

بلغت نسبة الصوامت المجهورة 64,75% في حين كانت نسبة الصوامت المهموسة 35,24%

-صامت اللام:

صامت اللام صامت انحرافي مجهور. وظفه النص القرآني في كلمات هي (السيل، حلية، أنزل، كلمة، أكلها، أصلها، كل، سالت...) وفي كل لفظة إثبات للحق وبقائه واضمحلال للباطل وفنائه، فقد شبه المولى عزّ وجل إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة، وشبه ورود القرآن على أسماع الناس بالسيل يمر على مختلف الجهات يمر على التلال والجبال فلا يستقر فيها ولكنه يمضي إلى الأودية و الوهاد فيأخذ كل بقدر سعته، وتلك السيول في حال نزولها تحمل في أعاليها زبدا وهو رغوة السماء التي تربو وتطفو على سطح الماء فيذهب الزبد غير منتفع به ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس⁽²⁾. فمثل الله الحق بالماء في منفعه وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بزبد السيل الذي يطفو ولا ينفع.

-صامت الميم:

كانت الميم الصامت المجهور الثاني بعد صامت اللام إذ بلغت نسبة تواتره 37,8% من مجمل الصوامت المجهورة في الأمثال المضروبة للقرآن الكريم ووردت في جملة من الألفاظ وهي(السماء، ماء، يمكث، مشكاة، مصباح، مباركة....)

- وكلها توحى بعلو شأن القرآن ونفعه الدائم ونوره الغير المنقطع، وقد سمى الله كتابه نورا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174] كما سمى نبيه نورا في ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ

(1) _الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي، تحقيق مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الاسكندرية.ص 182

(2) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 166/12.

وَكَتَبْتُ مِثْبُتٌ ﴿[سورة المائدة: 15]

-صامت التاء:

التاء صامت مهموس كان أكثر ترددا مقارنة بباقي الصوامت المهموسة في هذه المجموعة فكانت نسبة تردده 7,26 % وبعده كان صامت الهاء بنسبة بلغت 5,06 %

فلقد ارتبط ذلك الانخفاض في الأصوات المهموسة بكل ما تحتويه من خصائص وسمات تدل على دنو المتزلة ووضاعة الشأن ببطان الباطل ومحقه، فقد كانت الكلمة الخبيثة صورة للباطل ومثلت بشجرة خبيثة، وأما الكلمة الطيبة فهي كلمة الإسلام المكتنزة بالمنافع التي لا تنفذ، وقد مثلت بشجرة طيبة. وقد استعير الطيب للنفع الحسن وقعه في النفوس كوقع الروائح الذكية، وكذلك القول في تمثيل حال الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة على الضد بجميع الصفات من اضطراب الاعتقاد وضيق الصدر وكدر التفكير والضرر المتعاقب⁽¹⁾.

- الأمثال القياسية المضروبة لأصحاب الرسول:

بالعودة إلى الجدول (2، 3) نجد بأن نسبة الصوامت المجهورة قد بلغت 74، 67% أما الصوامت المهموسة فكانت نسبة ترددها 25، 32%. واللافت للانتباه أن الصوامت الانفجارية كانت أقل حضورا مقارنة بنظيرتها الاحتكاكية إذا بلغت نسبة تردد الصوامت الانفجارية 31، 34% أما الصوامت الاحتكاكية 68، 65%.

والمأمل للمثل القياسي المضروب لأصحاب الرسول ﷺ - يدرك سر هذا التفاوت في النسب بين ما هو مجهور وما هو مهموس، وبين الانفجاري والاحتكاكي.... وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء أمر الاسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأن النبي قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع⁽²⁾. فقد كان النبي حين بدأ الدعاء إلى دينه ضعيفا فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوي أمره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ نباته⁽³⁾.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 250/12.

(2) _الكشاف، الزمخشري، 348/4، 349.

(3) _تفسير القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض المملكة العربية السعودية، ط1423هـ-2003م 295/16،

البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 502/6، تفسير ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط2، (1420هـ-2000م). 360/7

وهذا ما جسده ألفاظ المثل القياسي إذ كان صامت الميم أكثر الصوامت المجهورة كثافة بنسبة بلغت 67, 9% وهي نسبة تقارب نسبة تردد اللام 14, 9%. ومثلتها الكلمات التالية (محمد، معه، رحماء، سيماهم، آمنوا، عملوا بينهم، مغفرة، عظيما) وكلها تحمل دلالة الاتحاد والنصرة والرحمة وعلو مكانة وشأن أصحاب الرسول ﷺ.

أما الكلمات التي سيطرت عليها اللام (رسول، على، فضلا، استغلظ، ليغيظ، عملوا الصالحات...) فتؤكد قوة وصلابة أصحاب المصطفى وشدتهم على الكفار، وهذا ما يتناسب وقوة صوت اللام ذلك الصوت المجهور الذي تنذبذب الأوتار الصوتية وتهتر أثناء نطقه كما تهتز قلوب الكافرين وترتجف من صلابة وعزم أصحاب المصطفى المختار وسعيهم الحثيث لنصرة الإسلام وتحقيق عدلته. وقد تناسب هذا المعنى واختيار النص القرآني للكلمات، فكانت الأصوات الاحتكاكية أكبر من الأصوات الانفجارية حيث يبقى الهواء في سير متواصل إلى أن يبلغ منتهاه ويتحقق الصوت الاحتكاكي ويتجسد المعنى المبتغى من وراء اختيار هذه الصوامت ويتحقق بذلك إعلاء شأن الإسلام بنصر من الله.

- الأمثال القياسية المضروبة للإنفاق:

لما أحمل الله في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245] فصل بعد ذلك في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]

ولعظم أمر الإنفاق في سبيل الله أتبعه - الله - ببيان الأمور التي يجب تحصيلها حتى يبقى ذلك الثواب⁽¹⁾ والأجر فضرب الله مثلا لمقابل مثل النفقة لمرضاته، مثل نفقة الرياء، ووجه الشبه هو حصول خيبة ويأس في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج⁽²⁾.

فكان اختيار النص القرآني لألفاظه محكما، ولأصواته دقيقا فيما يلاحظ على الأمثال القياسية المضروبة للإنفاق. وبالعودة إلى الجدولين (2و3) يتضح لنا جليا أن الصوامت المجهورة كانت أكثر

(1) _ مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ-2000م)،

حضورا و كثافة بنسبة بلغت 44, 69% أما الصوامت المهموسة فكانت نسبتها 55, 30%. وقد سجل كل من صامت اللام والميم والباء والهاء التاء حضورا ساعد على توضيح المعنى، فقد كانت كل الكلمات التي اشتملت على صامت اللام تحمل دلالة النمو والزيادة ومضاعفة الأجر (سنبله، سنابل، أموال، كل، وابل، ظل...) . وأما اجتماعها مع صامت السين، فكان دليلا على مضاعفة أجر المنفق المبتغي مرضاة الله (سنبله، سبع سنابل، سبيل...).

وأما صامت الصاد، فهو صامت صفيري مهموس شكل حضوره في النص ملمحا مميزا برزت فيه حالة المنفق المرئي حالة الخيبة واليأس، وفقدان الأمل، فقد كانت كل من الكلمات صفوان، أصابه، صلدا) دلالة على صلابه وتحجر ذلك المنفق، ومحق أجره وثوابه، وقسوته، وضلاله. أما صامت الهاء المهموس تجمعها علاقة بالثبات والإيمان واليقين بالله ومضاعفة أجر المحسنين الراضين بحكمة الله وقدره لا تؤثر فيهم النوازع ولا التغيرات.

- الأمثال القياسية المضروبة للحياة الدنيا:

بالنظر إلى الجدولين (2، 3) يتضح جليا أن الصوامت المجهورة نالت القسط الأوفر بنسبة وصلت 05، 29%. وقد سجل كل من صامت اللام والنون والميم حضورا مكثفا إذ تراوحت نسبها بين 63، 12% بالنسبة لصامت اللام و43، 10% لصامت النون و24، 8% لصامت الميم. وأما الكلمات اشتملت على هذه الصوامت هي:

- (مصفرا، حطاما، هشيمًا..)

- (الدنيا، أنزلناه، نبات، الناس، الأنعام، ازينت، ظن، قادرون، لم تغن، زينة).

- (ماء، السماء، أمرنا، الأمس، مغفرة، مقتدرا).

- (اعملوا، لعب، هوى، الأموال، الأولاد، كل، اختلط، يأكل، أهلها، ليلا، جعلناها، نفصل).

فقد دل كل من (مصفرا، حطاما، هشيمًا) على سرعة زوال الدنيا، وفنائها، وهلاكها، وتفلتها من الناس بالرغم من اغترارهم بها وبجسنتها، وبهائتها، فقد ضرب الله مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها، وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرج الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا جاءتها صاعقة أو ريح باردة أبيضت أوراقها وأتلفت ثمارها⁽¹⁾. فشبهت الدنيا

⁽¹⁾ _ تفسير ابن كثير، 260/4.

في سرعة تقضيها بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما وهشيما يابسا متفتتا تذروه الرياح وتفرقه في الهواء⁽¹⁾ بأمر من الله وبقدرته فمن أراد هذا الزوال والفناء فهو له ومن أراد مغفرة ورضوان من الله فالله على ذلك مقتدر.

أما (لعب، هو الأموال والأولاد، يأكل..) فكلها توحى بانحراف اجتماعي يشبه انحراف الهواء عند إحدى حافتي اللسان أثناء النطق بصامت اللام مما يشكل عقبة وسط الفم تعيق مرور الهواء حتى يتحقق صوت اللام، وهذا ما يحدثه كل من اللعب، واللهم، والأموال، والأولاد،.... إذ تشغل الإنسان بديناه وتبعده عن آخرته.

- الأمثال القياسية المضروبة للجنة:

كثيرا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة ويحذر من النار. ولهذا لما ذكر صفة الجنة قال بعدها⁽²⁾: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:35].

وبالنظر إلى الأمثال القياسية المضروبة للجنة في القرآن الكريم نجد غلبة الصوامت المجهورة بنسبة 68,09% أما الصوامت المهموسة فبلغت نسبتها 31,90%، وأما الصوامت الانفجارية والصوامت الاحتكاكية، فتكاد نسبة تواترها تكون متساوية، فقد وصلت نسبة الصوامت الانفجارية 50,47%. أما الاحتكاكية فكانت نسبتها 49,52% وهذا ما يتناسب وما تحمله هذه الأمثال القياسية من دلالات ومعان، فعقبى الكافرين النار وعقبى المتقين الجنان.

- صامت الراء:

صوت الراء مجهور تكراري، يتسم بوضوح سمعي، وهذا التكرار يعطي الكلمات دلالات توحى بالاستمرارية. فقد وردت الراء في كلمة أنهار وتكررت خمس مرات في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الرعد: 35] في موضع آخر: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد:15]. وبدئ من هذه الأنهار بالماء الذي لا يستغنى عنه في المشروبات ثم اللبن ثم بالخمير لأنه إذا حصل الريّ والمطعموم شوقت النفس إلى ما تتلذذ به ثم بالعسل لأن فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 75/15.

(2) _ تفسير ابن كثير، 466/4.

من المشروب و المطعوم⁽¹⁾.

كما ارتبطت صامت الراء بكلمات (تجري، يتغير الثمرات، الشارين، الكافرين النار)، فالنص القرآني يؤكد استحقاق المتقين للجنان ودوام حال النعيم لهم فيها باستخدام الصيغ الفعلية "تجري" "يتغير" الدالة على الحركة والسرعة والاستمرارية.

-صامت الحاء:

الحاء صامت حلقي مهموس أحدث دلالات زادت المثل القياسي وضوحا ودقة تحقق في كلمة "حميما" التي كانت وصفا للماء المعد لسقاية الكافرين الخالدين في النار على عكس المتقين فكان مأوهم غير آسن لم يتغير طعمه فهو لذة لمن شربه. أما الماء الحميم فقد قطع أمعاء الكافرين بدل من أن يروي ظمأهم وهذا ما يستدعي عواطف الخوف، والطمع، الخوف من عقاب المولى عز وجل والطمع في جنته. فتضمنت "حميما" معنى العقاب والعذاب السرمدي للكافرين بدون انقطاع أو اعتراض أي عائق أو حائل.

-الأمثال القياسية المضروبة لليهود:

إن صامت اللام صامت انحرافي مجهور جاء ذكره في الكلمات التالية:(حملوا، لم يحملوها، يحمل، لا، الظالمين، انسلخ، الكلب، يلهث، يظلمون). فالكلمات التي ضمت الميم واللام تشارك في الدلالة على الظلم والجهل وقلة الحيلة وفرط الحيرة لمن آتاه الله كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على آخرته⁽²⁾.

وكما دل اجتماع اللام مع السين والحاء في صيغة "انفعال" انسلخ على حقيقة الانفصال والإقلاع عن العمل بما جاءت به آيات الله. فشبه المولى عز وجل المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه في تحصيلها ولزومه ذلك بالكلب في حالته هذه وهي حالة ملازمة له حالة تهيجه وهي كونه لا يزال لاهثا وهي أحسن أحواله وأرذله⁽³⁾. وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن فاللهث حالة تؤذن بخرج الكلب من جراء عسر تنفسه من اضطراب باطنه⁽⁴⁾.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 467/9.

(2) _ ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط (1402هـ-1982م)، ص 175.

(3) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 224/5.

(4) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 353/8.

-صامت الهاء:

الهاء صامت حنجري مهموس يتم النطق به عند احتكاك الهواء الخارج من الرئتين بالتضييق على الأوتار الصوتية، فلا تهتز ولا تتذبذب لمرور الهواء، وهذا ما يرتبط ارتباطاً عميقاً بوظيفته الدلالية فكل من "هواه"، "يلهث" دالة على الواقع المليء بالمآسي لكل من كذب بآيات الله بعد أن جاءته سواء إن وعظته ضل وإن تركته ضل كحال الكلب، وقد ركزت الصورة الفنية في المثل على خصوصية الطابع الحيواني، فالحيوان لا يملك إرادة الكف والمنع شأن الإنسان ولا يستطيع أن يضبط نوازعه ولا أن يفكر فكل تصرفاته آلية اندفاعية تعمل بدافع غرائزه.. وهنا تنتقى حالة خاصة من تصرفات الكلب لتمثل ديمومة شناعة المرتدين المنافقين وطول ألسنتهم وتلاعبهم بالكلمات وتستمد هذه الانتقائية قوتها من تصوير المنافق المرتد وهو يدلي لسانه كالكلب نتيجة ضرام نار الحقد في دخيلته ويلهث وراء الدمار وذلك في حال الأمن والخوف على السواء⁽¹⁾.

أما ترتيب أفعال الانسلاخ والإتباع والكون من الغاوين بفاء العطف على حساب ترتيبها في الحصول في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف 175]. دليل على ضلال هذا المشرك لأنه لما عاند ولم يعمل بما هداه الله إليه حصلت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من استخدامه وإدامة إضلاله⁽²⁾.

- الأمثال القياسية المضروبة للمنافقين:

بلغت نسبة الصوامت المجهورة في هذه الأمثال 57, 70% أما الصوامت المهموسة فبلغت نسبتها 42, 29% وكان صامت الميم أكثر الصوامت المجهورة حضوراً بنسبة وصلت 14, 13% ويلها صامت اللام بنسبة 28, 12% أما الهاء فكان أكثر الصوامت المهموسة كثافة فكانت نسبة تردها 28, 8% وهذا التفاوت في النسب يتلاءم وما جاء في هذه الأمثال القياسية من معان.

فلما ذكر الله المؤمنين وأحوالهم ذكر الكافرين ومآلهم، فمثل حال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر بمن استوقد النار في الظلام يتطلب رؤية الأشياء فإذا انطفأت صار أشد

(1) _ جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، إشراف وتقديم نور الدين عتر، درا المكتبي، سورية، ط1، (1415هـ-1994م) ص

132.

(2) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 353/8.

حيرة منه في أول الأمر، لأن ضوء النار قد عود بصره فيظهر أثر الظلمة في المرة الثانية أقوى⁽¹⁾. واختير لفظ النور عوض عن النار المبتدأ به للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة وليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين⁽²⁾. وقد أكد هذا المعنى اجتماع السين والتاء في كلمة "استوقد" التي جاءت تأكيداً على فرط حيرة المنافق وما يكابده من مشاعر الخوف والاضطراب.

- وبتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى مثل الله حال المنافقين المختلطة بين جواذب ودوافع، حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير من سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعماق النفس والسخرية من المسلمين بحال صيَّب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأكدار⁽³⁾.... فوصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما حبطوا فيه من الحيرة والدهشة، بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وبحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.... والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر. ولذلك أخرج فصار ارتقاءً من الأهون إلى الأغلظ⁽⁴⁾ لما فيه من تأكيد ضياع المنافق وتذبذب حاله و اضطرابه.

- الأمثال القياسية المضروبة للكافرين:

بالعودة إلى الجدولين (1 و2) يظهر لنا أن الصوامت المجهورة كانت أكثر تردداً من نظيرتها المهموسة إذا وصلت نسبة تواترها 32, 72%. أما الصوامت المهموسة فكانت تشكل ثلث الأصوات المجهورة بنسبة بلغت 67, 27%. وهذا ما يتوافق وما تحمله الأمثال القياسية المضروبة للكافرين من دلالات ومعان تبيّن حال الكافر الضال وحرصه على الاستكثار من عمل الشر.

وقد ضرب المولى عزّ وجلّ للكافر وعمله أكثر من مثل. فعن ابن عباس قال: «مثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت⁽⁵⁾ فهم في غيٍّ وظلال وجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيتها أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل تستمع صوته فقط، فهم في صم عن

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 308/1.

(2) _ التحرير والتنوير ابن عاشور، 304/1.

(3) _ المرجع نفسه، 310/1.

(4) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 139/1 وانظر التفسير القيم، ابن القيم الجوزية، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث

الإسلامية بإشراف الشيخ ابراهيم رمضان، دار الهلال بيروت، ط1، 1410هـ، 185/1.

(5) _ جامع البيان، الطبري، 313/3.

سماع الحق وبكم لا يتفوهون به، بل أكثر من ذلك فهم عمي عن طريق الحق ومسلكه⁽¹⁾ وكل هذا جسده صامت العين ذاك الصامت المجهور الحلقي الذي يدل على خلو الباطن أو الخلو مطلقاً، في كل من الكلمات التالية (ينعق، يسمع، دعاء، عمي...).

وأما بطلان أعمالهم وضياعها هباءً منثوراً، فكان أكثر صامت ممثلاً لها هو صوت الراء ذاك الصوت المجهور التكراري الذي يفيد تكرار الحركة والحدث، وهو يصور كيف تذهب تلك الرياح بذلك الرماد لا تُبقي منه شيئاً. وما الرماد إلا صورة لأعمال الكفار التي لا ينتفع بها صاحبها، ووجه المشابهة بين المثل وبين أعمالهم هو أن الرياح العاصف تُطير الرماد وتُفرق أجزائه بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر⁽²⁾.

وكما شبه الله عزّ وجل هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرها المخيب آخرها حين يحطّبها الكفر بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته⁽³⁾. وما كان صامت أنسب لمثل هذه الصورة من صامت الصاد ذاك الصامت الصفيري المهموس الذي استطاع أن يبرز شدة الرياح وقوة محققها لذلك الزرع حين أتت عليه، وما ارتباط الرياح بالصر إلا إشارة إلى خيبة وإحباط عمل ذلك الضال وخسرانه لأن هلاكه كان عن سخط والهلاك عن سخط أشد وأبلغ⁽⁴⁾. لأنه ما كان يرجو بعمله رضوان الله بل كان يبتغي كسب الثناء وحسن الذكر بين الناس.

وزاد صامت السين دلالة على حيرة الكافر في لفظة السراب ذلك الوهم الذي زاد الكافر ضلالاً وتبهاً. فقد شبه المولى حالة كد الكافر في الأعمال وحرصه على الاستكثار منها مع ظنه أنها تقربه إلى الله ثم تبين له أنها لا تجديه نفعا بل يلقي العذاب في وقت ظنه الفوز، شبه ذلك بحالة الظمان يرى السراب فيحسبه ماءً فيسعى إليه فإذا بلغ المسافة التي خال أنها موقع الماء لم يجده ووجد هناك من يحاسبه على ما سلف من أعماله السيئة.

ومما يدل على ضلال و حيرة الكافر وأن عمله على غير هدى تمثيل الله لعمله-الكافر- بظلمات في بحر لحي، ونسب البحر إلى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه⁽⁵⁾

(1) _ تفسير ابن كثير، 480/1.

(2) _ جامع البيان، الطبري 553/16، وانظر مفاتيح الغيب، الرازي، 81/19.

(3) _ الكشف، الزمخشري 405/1

(4) _ المرجع نفسه، 405/1.

(5) _ جامع البيان، الطبري، 97/19.

وكان صامت الجيم الأنسب للدلالة على الظلمات التي تغشى الكافر وتزيد من حيرته فالبحر اللحي مثل لقلب الكافر تتغشاها الضلال والحيرة وتزيد من حيرته فالبحر اللحي مثل لقلب الكافر كما يغشى البحر اللحي تلك الأمواج بعضها فوق بعض ومن فوقها سحب وعن ابن عباس الظلمات: أعمال الكفار والبحر اللحي قلب الإنسان⁽¹⁾.

كما وظف النص القرآني صامت الهمزة المجهور في كلمات أوحى بإنكار واستهجان ما يأتي به ذلك الكافر الضال الشقي، فكانت الهمزة في كل من ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: 122].

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24].

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ [الكهف: 37] استفهاما إنكاريا المقصود منه تنبيه المشركين لما هم فيه من الضلالة عليهم يتداركو أمرهم⁽²⁾. فضرب الله مثلا لمن هداه بعد الضلالة ومنحه التوفيق واليقين الذي يميز به بين الحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به بين الناس مستضيئا به، ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص⁽³⁾. فالهمزة كانت استفهاما منكرا لتماثل الحالتين حالة الذي أسلموا بعد أن كانوا مشركين وهي المشبهة بحال من كان ميتا مودعا في ظلمات فصار حيا في نور واضح، والحالة الثانية حالة المشرك المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها⁽⁴⁾.

3-2- الصوائت:

أ- تعريف الصائت: وهو القسم الثاني للصوت ويمتاز عن الصامت بميزتين:

- طريقة النطق ففي التلفظ به يمر الهواء عبر جهاز النطق بطلاقة والأمواج الصوتية تحدثها في هذه الحالة الأوتار الصوتية وحدها⁽⁵⁾.

(1) _جامع البيان، الطبري، 97/19.

(2) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 237/11.

(3) _الكشاف، الزمخشري 62/2.

(4) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 33/7.

(5) _الصوت والفتولوجيا، مصطفى حركات ص49.

- أقوى الأصوات وضوحا في السمع⁽¹⁾. فالصائت يحدث نتيجة اندفاع الهواء دون أن يعترضه أي عائق أو تضيق.

ب-أنواع الصوائت:

تصنف الأصوات الصائتة حسب عدة معايير⁽²⁾ هي:

-بالنظر إلى ذلك الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع.

-بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان.

- بالنظر إلى أوضاع الشفتين.

وعلى هذه الأسس تنتج ثلاث مجموعات هي:

-المجموعة الأولى: بالنظر إلى الجزء المرتفع من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع نحصل على

ثلاثة أقسام من الأصوات الصائتة وهي:

1/ الأصوات الصائتة الأمامية: وهي الأصوات التي يرتفع حال النطق بها الجزء الأمامي من اللسان تجاه مقدم الحنك الصلب.

2/ الأصوات الصائتة المركزية: وهي الأصوات التي يرتفع معها مركز اللسان وتضم الفتحة بين المفخمة و المرققة.

3/ الأصوات الصائتة الخلفية: وهي الأصوات التي ترتفع معها مؤخرة اللسان تجاه الحنك اللين أو أقصى الحنك.

- المجموعة الثانية: بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان، وتتحصل على أربع أقسام من الأصوات الصائتة.

1/- الأصوات الصائتة الضيقة: وهي التي ترتفع معها اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة.

2/- الأصوات الصائتة المتسعة أو المنفتحة: وهي الأصوات التي يكون اللسان حال النطق بها منخفضا في قاع الفم إلى أقصى درجة.

(1) _ علم الأصوات، كمال بشر، ص 218. وأنظر مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 76-77.

(2) _ المرجع نفسه، ص 231.

الفصل الثاني.....(المكون الصوتي وأثره اليرلائي في الأمثال القياسية

3- الأصوات الصائئة نصف الضيقة: وهي الأصوات التي يقع اللسان حال النطق بها في ثلث المسافة من الصوائت الضيقة إلى المتسعة.

4- الأصوات الصائئة النصف متسعة: هي الأصوات التي يقع اللسان حال النطق بها في ثلثي المسافة من الصوائت الضيقة إلى الصوائت المتسعة.

-المجموعة الثالثة: بالنظر إلى وضع الشفتين في أثناء النطق بالصوائت وينتج ثلاثة أقسام من الأصوات الصائئة:

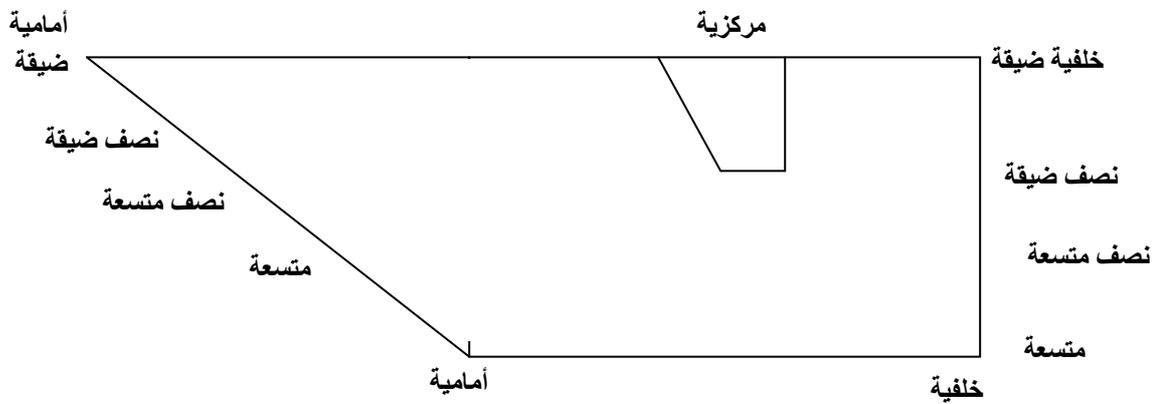
1/ الأصوات الصائئة التي تنفرج معها الشفاه وهي الكسرة.

2/ الأصوات الصائئة تكون معها الشفاه مضمومة وهي الضمة.

3/ الأصوات الصائئة التي تكون معها الشفاه محايدة وهي الفتحة.

وهذا ما يبينه الشكل الآتي:

شكل يبين وضع الحركات المعيارية (الصوائت) الثماني الرئيسية على مربع دانيال جونز⁽¹⁾.



ج- نسبة تردد الأصوات الصائئة:

⁽¹⁾ _علم الأصوات، كمال بشر، ص234.

أ- الصوائت القصيرة:

الجدول رقم (4): يمثل نسبة تردد الصوائت القصيرة في الأمثال القياسية في القرآن الكريم

المجموع	الكافرون	المنافقون	اليهود	الجنة	الحياة الدنيا	الاتفاق	أصحاب الرسول	القرآن	وحدانية الله	الحقول الدلالية الصوائت القصيرة	
										تردد الصائت	نسبة التردد%
1666	806	112	116	70	144	118	73	173	227	تردد الصائت	الفتحية
43,69	45,74	42,58	52,72	41,42	46,75	44,86	%45,62	46,63	48,29	نسبة التردد%	
759	371	47	35	34	42	50	27	75	78	تردد الصائت	الكسرة
19,90	21,05	17,87	15,90	20,11	13,63	19,01	16,87	20,21	16,59	نسبة التردد%	
531	179	43	23	30	53	41	27	55	80	تردد الصائت	الضمة
13,92	10,15	16,34	10,45	17,75	17,20	15,58	16,87	14,82	17,02	نسبة التردد%	
2956	1356	202	174	134	239	209	127	303	385	المجموع	
77,52	76,94	76,80	79,07	79,28	77,58	79,46	79,36	81,66	81,90	نسبة التردد العامة%	

ب-الصوائت الطويلة:

جدول رقم (5): يمثل نسبة تردد الصوائت الطويلة في الأمثال القياسية في القرآن الكريم.

المجموع النسبة الكلية	الكافرون	المنافقون	اليهود	الجنة	الحياة الدنيا	الاتفاق	أصحاب الرسول	القرآن	وحدانية الله	الحقول الدلالية الصوائت الطويلة	
										تردد الصائت	نسبة التردد%
546	254	37	31	21	56	34	17	47	49	تردد الصائت	الفجالة
14 ,31	14 ,41	14 ,06	14 ,1	12 ,42	18 ,18	12,92	10 ,62	12 ,66	10 ,42	نسبة التردد%	
184	101	12	7	10	8	13	09	11	13	تردد الصائت	الكسرة
4 ,82	5 ,73	4 ,56	3 ,18	5 ,91	2 ,6	4,94	5 ,62	2,96	2,76	نسبة التردد%	
127	51	12	8	4	5	7	7	10	23	تردد الصائت	الضمة
3 ,33	2 ,90	4 ,56	3 ,63	2 ,36	1 ,62	2 ,66	4 ,37	2 ,69	4 ,89	نسبة التردد%	
857	406	61	46	35	69	54	33	68	85	المجموع	
22 ,47	23 ,03	23 ,18	20 ,91	20 ,69	22 ,40	20 ,52	20 ,61	18 ,31	18 ,08	نسبة التردد العامة%	

د- 1 دلالات الصوائت القصيرة:

بالعودة إلى الجدول (5) والذي يمثل نسبة تردد الصوائت القصيرة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم، نجد أن الفتحة قد شكلت النسبة المئوية المهيمنة حيث وردت 1666 مرة بنسبة قدرت بـ 43,69% من مجموع الصوائت، وتليها الكسرة نسبة 19,90%. أما الضمة فكانت أقلها تواترا بنسبة وصلت 3,92%.

وللصائت القصير دور بارز في تحديد المعنى والتمييز بين المتقاربات دلاليا وبين كثير من الكلمات التي تتفق صورتها وتختلف معانيها، إذ يقوم الصائت القصير بدور الوحدة (الفونيم) الذي يتغير المعنى بتغيره إن على المستوى الصوتي أو المستوى الصوفي أو التركيبي.

أ- صوتيا:

كثيرا ما يفرق الصائت القصير بين معان يصعب وضع فاصل بينها. ومن أمثلة ذلك نورد ما يلي:

1- كلمة "المن": في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوءَ صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾

[البقرة: 264]. فقد فرقت الصوائت بين:

-المن: مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع⁽¹⁾ في قوله تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلَٰوِيَّ﴾ [البقرة: 75]

-المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتفريع بها، والتحدث بما يعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه⁽²⁾.

- المنّة: النعمة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 164] أي أثقلهم

بالنعمة الثقيلة⁽³⁾.

المن: إشارة إلى الإطلاق بغير عوض⁽⁴⁾.

(1) _ تفسير القرطبي 406/1.

(2) _ المرجع نفسه 308/3.

(3) _ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت، 526/5. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم، كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ-1984، ص597.

(4) _ بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، 526/5.

2- كلمة الجنة:

- الجنة: بكسر الجيم. بمعنى الجن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13].

- الجن: الستر عن الحاسة، وجنّ عليه فجنّ عليه فجنّ: ستره والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة.

- الجنة، الثرس العريض الوسيع الذي يحتفي الرجل وراءه في قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ﴾ [المنافقون: 2].

- الجنة: مكان من الأرض ذو شجر كثيف بحيث يجن أي يستر الكائن فيه⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ [البقرة: 265].

- الولاية:

الولاية: بكسر الواو من الملك والسلطان⁽²⁾.

الولاية: الموالة لله في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف: 44].

ب- صرفيا:

من مظاهر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ذاك التنوع في توظيف الصيغ المشتقة من أصل واحد. ومما يساعد على تنوع المعاني وتنمية الألفاظ تلك الصوائت القصيرة التي عادة ما تكون عاملا مهما في تحديد المعنى المراد، وخذ على سبيل الذكر لا الحصر:

أ- التضعيف. في (فَحْمُلُوا، حَمَلُوا)

فصيحة فعل للمبالغة والتكثير وهذا ما يتناسب و سياق الآية نحو قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ

حَمَلُوا النَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: 5].

⁽¹⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 524/2.

⁽²⁾ _ جامع البيان، الطبري: 28/18، 29.

-قَطَعَ، قَطَع.

وقوله عز شأنه: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

ب- التحول في بناء الفعل من المعلوم إلى البناء للمجهول والعكس:

- في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15].

- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

فـ "وعد" فعل تحدد دلالاته تلك الصوائت القصيرة إن كان فاعله معلوماً أو غير معلوم فوعد دال على فاعله وهو المولى عز وجل، ووعد مبني للمجهول ولكن نعلم الفاعل الحقيقي، أما اجثت فنجهل حقاً من الفاعل الحقيقي (غير المجازي).

ج/ نحوياً:

يقوم الصائت بدور بارز على مستوى التركيب إذ بتغيره يتغير معنى الكلمة ومن ثم معنى الجملة بأكملها ومن ذلك نورد مايلي:

1- من: وبتغير حركة الميم يتغير معناها، فبفتح الميم تكون "من" اسم استفهام أو شرط أو موصولة حسب ورودها في السياق، وإن تغيرت الفتحة إلى الكسرة فتصبح "من" حرف جر قد يفيد معنى ابتداء الغاية أو التبويض أو الظرفية...

- ففي قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾

[الكهف: 32] كانت من حرف الجر.

- أما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: 76] كانت من موصولة

2- وكذلك تحول الفعل إلى اسم وتحول المعنى من الدلالة على الزمن والحدث إلى الدلالة على

الحدث فقط والتجرد من الزمن الذي يدل عليه، كما في

حَرَثَ ← حَرَثَ / زَرَعَ ← زَرَعَ

في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ﴾ [الفتح: 29]

فقد خرجت كل من كلمة "حرت" و"زرع" من الدلالة الفعلية إلى الدلالة الاسمية، فكانت لكل منهما مساحة دلالية تتميز بها، فالتعبير بالفعل إشارة إلى الحدث وتركيز عليه وتنبه على زمن وقوعه، في حين تبقى دلالة الاسم على الحدث دون تعيين وتحديد لزمانه.

د-2- دلالة الصوائت الطويلة في الأمثال القياسية:

- بالنظر إلى الجدول رقم (06) والذي يمثل نسبة تردد الصوائت الطويلة في الأمثال القياسية نجد أن الفتحة الطويلة كانت أكثر ترددا في كل الحقول الدلالية حيث بلغت نسبة ترددها 31,14% أي بتعدد قدره (546 مرة) وأما الكسرة الطويلة فبلغت نسبة ترددها 82,4% في حين وصلت نسبة تردد الضمة الطويلة 3,33% لتكون أقل الصوائت الطويلة ترددا في الأمثال القياسية.

وتتعدد الصوائت الطويلة وتتنوع من حقل دلالي إلى آخر وجلّها من الفتحة الطويلة لتليها الكسرة الطويلة وبعدها الضمة الطويلة، فكانت نسبة تردد الفتحة الطويلة أكبر في الحقل الدلالي الذي يشتمل على الأمثال القياسية المضروبة للحياة الدنيا لتدل الفتحة الطويلة بما لها من سمة الامتداد والاتساع على تعلق قلوب الناس بالدنيا واغترارهم بها وإقبالهم عليها وطول أملمهم. فجاءت الأمثال حاملة تشبيها لحال الدنيا، وسرعة انقضائها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعم الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم⁽¹⁾.

أما الكسرة الطويلة فقد سجلت أكبر نسبة تردد في الأمثال القياسية المضروبة للكافرين وأعمالهم، وصلت 73,5% لتظهر حال المنافقين والكفار المنفقين أموالهم رياء لا رغبة في سبيل رضوان الله، فكان جزاؤهم أن أصابهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

فعلو الصوت وقوته متناسب وضلال المشركين وما ينتظرهم من عذاب أليم جراء ما اجترحته ألسنتهم واقترفته أيديهم.

⁽¹⁾ _ الكشاف، الزمخشري، 478/4.

أما الضمة الطويلة فكانت حصيلة تردها 89, 4% في الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله، فكانت بنسبتها أكثر ترددا من باقي الأمثال القياسية لتناسب بما تتسم به من وضوح سمعي عال وتدوير للشفتين حال النطق بها مع ما تحمله هذه الأمثال من أغراض. ولعل أول هذه الأغراض تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام أو عن الهجرة مع من هاجر. فوعد الله بنصر المؤمنين وحذل أهل الشرك وأنصارهم⁽¹⁾.

فكانت هذه الأمثال إثباتا لعجز ما يعبد من دون الله وضعفه وقلة حيلته ومهاتته وتزيها للمولى عز وجل مما نُسب إليه.

4/المقاطع الصوتية :

أ-تعريف المقطع: Sylabel: وحدة صوتية مركبة من بداية لها قوة إسماع ونهاية تفصله عما بعده⁽²⁾ ويعرفه رمضان عبد التواب بأنه « كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها أو الوقوف عليها»⁽³⁾. ويشير مصطفى حركات إلى أن المقطع يحتوي على حركة واحدة هي النواة وعلى حرف أو حرفين أو ثلاثة تكون في المواقع الهامشية التي تكون حدود المقطع⁽⁴⁾.

ويتميز المقطع الصوتي في اللغة العربية بجملة من المميزات أهمها:

- 1- المقطع في اللغة العربية يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر احدهما حركة فلا وجود لمقطع من صوت واحد أو مقطع خال من الحركة (صائت).
- 2- لا ينتهي المقطع العربي بصوتين صامتين إلا في سياقات معينة، أي عند الوقف أو إهمال الإعراب.
- 3- لا يبدأ المقطع العربي بصامتين كما لا يبدأ بحركة.
- 4- يتشكل المقطع في اللغة العربية من أربع وحدات صوتية كحد أقصى⁽⁵⁾.
- 5- أقل ما تتركب منه الكلمة العربية هو مقطع واحد وأكثر تتكون منه هو سبعة مقاطع⁽⁶⁾.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 176/20.

(2) _ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص282.

(3) _ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، (1985). ص 101

(4) _ مصطفى حركات، الصوت والفتولوجيا، ص62.

(5) _ علم الأصوات، كمال بشر، ص 510

(6) _ الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 214.

ب-أنواع المقاطع الصوتية:

- تقسم المقاطع الصوتية وفق اعتبارين هما:

1-2- طول المقطع أو مدة النطق به: وتنقسم المقاطع الصوتية على أساسه إلى:

أ-مقطع قصير: ويتكون من صوت صامت وصوت صائت قصير، فهو مقطع لا يزيد عن صوتين.

ب- مقطع متوسط وهو ذو نمطين.

ب1- ماتكون من صوت صامت+ صائت قصير+ صوت صامت.

ب2- ماتكون من صوت صامت + حركة طويلة.

-وعليه فالمقطع المتوسط ما تكون من ثلاثة أصوات أو صوتين أحدهما طويل

ج- مقطع طويل وهو ذو أنماط ثلاث:

ج1- هو ما تكون من صوت صامت+ حركة قصيرة+ صوت صامت+ صوت صامت هذا

المقطع ومشروط وقوعه بالوقف أو عدم الاعراب.

ج2- ما تكون من صوت صامت+ حركة طويلة+ صوت صامت+ صوت صامت.وهذا

المقطع مشروط وقوعه بالوقف أو عدم الإعراب.

ج3- ما تكون من صوت صامت+ حركة طويلة + صوت صامت وهذا المقطع مشروط

وقوعه بواحد من اثنين أن يكون الصوت الصامت الأخير مدغما في مثله أو في حال

الوقف أو عدم الإعراب.

الجدول رقم (6): يبين نسبة تردد المقاطع القصيرة والمتوسطة والطويلة في الأمثال القياسية.

المقاطع	نسبة التردد	عدد ورودها	نسبة تردها %
القصيرة	47,75	1730	
المتوسطة	50,70	1837	
الطويلة	1,54	56	
المجموع الكلي	100	3623	

2-2- نهاية المقطع:

يسمى المقطع الصوتي المنتهي بصوت صائت (قصير أو طويل) بالمقطع المفتوح، وذلك لأنه يقبل زيادة أصوات أخرى، أما المقطع المنتهي بصوت صامت فأطلق عليه المقطع المغلق⁽¹⁾.

ج- أشكال المقاطع:⁽²⁾

حدد علماء اللغة أشكال مقاطع اللغة العربية وجعلوها خمسة أنماط أساسية:

- الشكل الأول: صوت صامت + صوت صائت قصير ومثاله ثلاثة مقاطع في: كتب: ك-ت-ب

- الشكل الثاني: صوت صامت + صوت صائت طويل ومثاله المقطع الأول في كاتب.

- الشكل الثالث: صوت صامت + صوت صائت قصير + صوت صامت. مثاله المقطع الأول في يك تب والثاني في كتبت.

- الشكل الرابع: صوت صامت + صوت صائت طويل + صوت صامت ومثاله المقطع الثاني في

مهام- مهام-

- الشكل الخامس: صوت صامت + صوت صائت قصير + صوتين صامتين ومثال بر بفتح الباء أو

كسرهما أو ضمهما وهذا المقطع مشروط وقوعه بالوقف.

(1) _ مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص 94، علم الأصوات، كمال بشر، ص 510.

(2) _ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 261. علم الأصوات، كمال بشر، ص 511. الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 141.

الجدول رقم (7): يبين عدد مرات ورود المقاطع بأشكالها ونسبة ورودها في كل حقل دلالي

المجموع الكلي		ش5		ش4		ش3		ش2		ش1		شكل المقاطع الحقول الدلالية
%	ع	%	ع	%	ع	%	ع	%	ع	%	ع	
12,69	460	00	00	2,17	10	32,17	148	14,56	67	51,08	235	وحدانية الله
9,90	359	00	00	0,55	02	32,86	118	16,71	60	49,86	179	القرآن
4,49	163	00	00	00	00	29,00	48	17,79	29	52,76	86	أصحاب الرسول
7,23	262	00	00	1,14	03	29	76	19,84	52	50	131	الإنفاق
8,36	303	00	00	0,66	2	33,66	102	19,80	60	45,87	139	الحياة الدنيا
4,69	170	00	00	0,58	1	40,58	69	18,82	32	40	68	الجنة
5,05	183	00	00	00	2,18	04	31,69	58	18,57	34	47,74	اليهود
7,72	280	00	00	2,5	07	30	84	20	56	47,5	133	المنافقون
39,82	1443	00	00	1,87	27	33,05	477	18,50	267	46,56	672	الكافرون

د/- دلالة المقاطع في الأمثال القياسية:

لقد تنوع التشكيل الصوتي للنص القرآني في توظيفه لأنواع المقاطع في الأمثال القياسية بطريقة موحية ساهمت في توليد الدلالة.

د/1- دلالة المقاطع القصيرة:

إن المقاطع القصيرة مقاطع لا تزيد عن صوتين، وقد مثلها تكرار بعض الأصوات من مثل (ضرب، مثل، شجرة...) و قد بلغ تواترها 1730 مرة بنسبة وصلت 47,75 أي حوالي النصف.

فكانت المقاطع القصيرة أكثر دلالة على عجز وضعف ووهن الكافر وما يعبده من أصنام، وكما دلت تلك المقاطع على سرعة زوال الدنيا وفنائها مع حسنها وبهائها واغترار الناس بذلك، فهاهي بسرعة تنقضي وتزول وتنفلت من أيدي الناس.

وكما ارتبطت المقاطع القصيرة بدلالات الخوف والذعر والحيرة التي سيطرت على قلوب المنافقين، فكان ضوء النار مثلاً لإيمانهم ثم ما لبث أن زال ذلك الضوء قبل الانتفاع به فصاروا أشد حيرة مما كانوا عليه، وكذلك أعمالهم تصير ضائعة باطلة بعد أن تذهب بها تلك الريح العاصف وتفرقها بعد أن ظنوا أنها نافعة لهم ومنجية لهم من العذاب.

د/2- دلالة المقاطع المتوسطة:

كانت المقاطع المتوسطة أكثر شيوعاً مقارنة بباقي المقاطع الصوتية بتواتر قدره 1837 مقطع بنسبة بلغت 50,70 % لتتوافق مع ما تحمله الأمثال القياسية من دلالة وإيحاءات فاستأثرت بمعظم الأمثال من مثل (لم، لن، لو، إذ، من، من، في، لا...) مجسدة جملة من المعاني لعل أهمها:

- مهانة وضعف الكافر وعجز ما يدعو من دون الله.
- ثبات الحق وبقائه وانتصاره و اضمحلال الباطل وفنائه.
- ضيق وكدر حياة المنافق والضرر المتعاقب الذي يلاحقه وانتفاء المنافع مما يعمل وينفق.
- ثبات المنفق المخلص في إنفاقه وانتفاعه بعمله.
- حصول الخيبة واليأس للمنفق المرائي وقت الرجاء.

د/3- دلالة المقاطع الطويلة:

كانت المقاطع الطويلة أقل حضورا في الأمثال القياسية إذ شكلت نسبة وصلت 1,54% بتواتر قدره 560 مرة كانت الأمثال القياسية الأقل تواتر هي الأمثال المضروبة لوحداية الله والقرآن والأمثال القياسية المضروبة للحياة الدنيا والجنة والإنفاق في مثل (أموالهم، سنابل الأمس، العزيز الحكيم) فأوحت بعظمة الله وقدرته واستحقاقه للحمد لأنه المنعم الخالق كما أوحت بفرط عجز الأصنام وقلة حيلتها وضعفها.

كما جاءت هذه المقاطع موضحة لعظم أمر الإنفاق في سبيل الله وما ينتظر المنفق المخلص من جنات ورضوان من الخالق عز وجل وما ينتظر المنفق المرائي من إحباط عمل في الدنيا وعذاب وجحيم في الآخرة.

-أما الأمثال القياسية المضروبة للمنافقين والكافرين فسجلت المقاطع الطويلة فيها نسبة حضور تمثلت في (الغاويين، الكافرين، المنافقين مستهزئون، لا يهتدون، لا يبصرون، يعمهون...) وارتبطت هذه المقاطع بدلالات التيه والضلال فقد دلت على ما يعتري المنافق من الوحشة وفرط الحيرة وهوان الأمر فهم كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها فهم في ظلمات ما بعدها ظلمات.

5-النبر:stress:

أ-تعريفه:

يقصد بالنبر القوة أو الجهد النسبي الممنوح لنطق مقطع معين ليسمع أوضح من المقاطع الأخرى⁽¹⁾. أو هو وضوح نسبي للصوت أو المقطع إذا قورن بغيره من الأصوات المجاورة⁽²⁾ وهذا يعني أن المقاطع في الكلمة تتفاوت بعضها عن بعض قوة وضعفا فالصوت المنبور أو المقطع المنبور يقتضي النطق به طاقة أكثر نسبيا ويتطلب مجهودا أشد من أعضاء النطق الإنساني، والضغط أحد عوامل النبر إن لم يكن أهم عوامل وجوده إذ صار النبر يعرف بدرجة الضغط على الصوت⁽³⁾.

(1) _ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 220.

(2) _ الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، ص 160.

(3) _ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، 188، انظر الصوت والمعنى تحسین عبد الرضا، ص 380.

ب- أنواعه:

يتفرع النبر إلى نوعين: نبر الكلمة ونبر الجملة⁽¹⁾.

1- نبر الكلمة أو الصيغة الصرفية المفردة: وهو النبر الذي يقع على مقطع من مقاطع الكلمة وتتفاوت درجته حسب صفة النطق وتجاور المقاطع ودلالاتها على المعنى.

- ولنبر الكلمة قيمة صرفية تتمثل في تقديم القيم الخلافية التي تُفرق بين معنى صرفي ومعنى آخر. وبواسطة النبر يفرق بين طوائف من الصيغ مثل: فَعَلَ، فَعَّلَ، فاعَلَ، فَعَّلِلَ، حيث يفرق بين الكلمات الأربع بالكمية وبين الثلاثة الأولى وبين الرابعة بالنبر حيث يقع النبر في الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول، في حين يقع النبر في الكلمة الرابعة على المقطع الثاني⁽²⁾.

- وينقسم النبر بحسب درجة الصوت إلى: ⁽³⁾.

1/ النبر الأولي أو النبر القوي ويرمز له بالرمز (\).

2/ النبر الثاني ويرمز له بالرمز (/).

3/ النبر المتوسط ويرمز له بالرمز (^).

4/ النبر الضعيف ويرمز له بالرمز (v).

- ويمثل نبر كلمة في الجملة الآتية: كيف حالك؟ إذ تحتوي هذه الجملة على أربعة مقاطع تحمل أربع درجات من مستويات النبر، فكلمة "كيف" تتكون من مقطعين:

1- كيف ← ص ح ص.

2- ف ← ص ح

و يلاحظ أن المقطع الأول منها يتحمل نبرا أقوى من النبر الواقع على المقطع الثاني بل يمثل أعلى مستويات النبر في الجملة (كيف حالك)، ويسمى بالنبر الأولي القوي والمقطع الثاني منبور نبرا متوسطا.

- وتتكون كلمة حالك من مقطعين :

⁽¹⁾ _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة محمود عكاشة، ص 44، الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص 178.

⁽²⁾ _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 171.

⁽³⁾ _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 44.

- 1- حا ← ص ح. }
2- لك ← ص ح ص.

- فالمقطع الأول منبور نبرا ثانويا في حين أن النبر الواقع على المقطع الأخير (لك) يمثل أقل درجات النبر قوة ولهذا يطلق عليه النبر الضعيف ويمثل كآتي:

كـ / ^ / \ + ف + حا + لك (1).

2- نبر الجملة أو السياق:

- يعرف نبر الجملة عند بعض العلماء بالنبر السياقي أو ارتكاز الجملة (2)، وهو النبر الذي يقع في الجمل وليس على الكلمات، ويتمثل في عنايتنا بنطق لفظ أو حرف في التركيب وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيدا من قوة الصوت في الأداء ليؤدي دورا وظيفيا في التركيب يؤثر في دلالاته ويساهم في دلالة التركيب.

ج- دلالة النبر في الأمثال القياسية:

يؤثر النبر تأثيرات هامة على مستوى الصيغة الصرفية من جهة وعلى مستوى السياق اللغوي والجملة والتراكيب اللغوية على اختلاف صورها (3). ويعد النص القرآني الكريم النص اللغوي الوحيد الذي ورد إلينا متواتر نطقا ومشافهة كما أنزل على النبي محمد ﷺ وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم نحاول أن نتبين مواضع النبر بنوعيه (نبر الكلمة، نبر الجملة).

- ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 116]. وقع النبر على "لن" التي تؤكد خسرة الكافرين وبطلان ومحق أعمالهم وإحباطها، فلا أموالهم تغني ولا أولادهم. وكان النفي ب"لن" دون "لا" ذلك لمناسبة السياق زد على ذلك أن من خواص "لن" نفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معنى النفي في حرف "لا" (4).

(1) _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 44.

(2) _ مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب 1986، ط1، ص163. وانظر علم اللغة، محمود السعران، ص 209.

(3) _ الدراسات الصوتية، البهنساوي، ص192

(4) _ ابن القيم وحسه البلاغي، عبد الفتاح لاشين، ص 55.

وقد اختار النص القرآني النفي ب"لا" في مواضع التنبيه والتحذير لمن يتبع إنفاقه بالمن والأذى وقد كانت "لا" موضعا للنبر في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَابْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264]. فامتداد لفظ "لا" يؤذن بامتداد معناها، فالنفي بـ "لا" أبلغ منه ب"لن"، فالبطول والمد الذي في لفظها طال النفي بها واشتد⁽¹⁾. وكانت لا هنا ناهية، والنهي طلب الكف عن فعل الشيء وقد جاءت الآية ناهية عن إلحاق الصدقة بالمن والأذى.

وكان النبر في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُ ءَايِينَ فَآسَلَخَ مِنْهَا فَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ ءَخَذَ إِلَيَّ الْأَرْضَ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَكَيْفَ كَانَ الْقَلْبُ عَلَى حَالِ الضَّالِّينَ﴾ [الأعراف: 176]. واقعا على إن "لأن" السياق يفرض ذلك فكانت إن معبرة على حال الضال المعاند المعرض عن الهداية فحاله هذه شبيهة بحال الكلب فهو يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال المرض.... فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته⁽²⁾ ولم يعمل ما جاء به القرآن.

أما نبر الكلمة (الصيغة) فله أهمية بالغة في إبراز المعنى وتأكيده فقد كان مؤكدا لقدرة الله وعظمته وحكمته لما وقع على بعض المقاطع المغلقة من أمثلة ذلك: العزيز، القدير، الحكيم، فقد وقع النبر في كل الكلمات السابقة على المقطع الأخير.

وأما ضعف وعجز ما يعبد من دون الله ويشركه الكفار للمولى عز وجل فأكدته النبر الواقع على الكلمات: الطالب، السوء، المطلوب. وكما أكدته المقاطع المفتوحة المتوالية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِيكُمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ [البقرة: 14-18].

وقد وقع النبر على المقاطع المفتوحة (ذا، نا، ما، كا) ودل على ضياع الكافر المنافق وتبدل حاله كما دلت على اضطرابه فهو يبطن عكس ما يظهر فهو في حال من لا استقرار ولا وجود يظن أنه ناج وما هو من العذاب بناج.

(1) - تفسير القرطبي 329/7

(2) - المرجع نفسه 329/7

6- التنعيم:

أ- تعريفه:

- يعرف تمام حسان التنعيم بأنه "ارتفاع للصوت وانخفاضه في أثناء الكلام"⁽¹⁾. فهو تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة منها وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس لكلمات المنعزلة⁽²⁾.

ويستطيع المتكلم بفضل هذه التنوعات الموسيقية في الكلام التعبير عن مشاعره وأفكاره كما يستطيع التفريق بين المعاني لارتباط التنعيم بالأداء الصوتي، فتنعيم الفرح غير تنعيم الحزن وتنعيم الغضب غير تنعيم الرضى. وليس التنعيم هو النبر كما قد يظن البعض، فالنبر وضوح نسبي من نطق مقطع من المقاطع... وهو عامل من عوامل التنعيم⁽³⁾ فالصلة بينهما وثيقة فكلاهما يعد ملمحا تمييزيا للمعاني الدقيقة أحدهما على مستوى الكلام والآخر على مستوى الجملة، فحينما يكون الضغط على الكلمة المفردة أو في سياقها فهذا نبر، أما حينما يكون الضغط بمستوى ما في تشكيل صوتي معين للجملة أو العبارة كلها فهو تنعيم⁽⁴⁾.

إن التنعيم هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام⁽⁵⁾. ويبيّن على هذا الاختلاف في درجة الصوت أن يتميز منه نوعان⁽⁶⁾.

1- النغمة: أو التون: وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة ولذا تسمى تونات الكلمة.

2- التنعيم: وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو مجموعة الكلمات.

فما كان على مستوى الكلمة فهو نغمة وما كان على مستوى الجملة فهو التنعيم. وكما يرتبط التنعيم بالأداء الصوتي يرتبط في الأداء بالحركات الجسمية ارتباطا أكيدا لما لها من مشاركة

(1) _مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 164.

(2) _دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 194.

(3) _علم الأصوات، كمال بشر، ص 533.

(4) _الصوت والمعنى، تحسين عبد الرضا، ص 397.

(5) _علم اللغة، محمود السعران، ص 210.

(6) _دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 191.

فعالة في معاونة التنغيم في تحقيق الدلالة المقصودة، فالحركات الجسمية تشارك في النبر على نحو ضيق ولكن ذلك يتسع في التنغيم.

وقد أشار ابن جني إلى ذلك: «... وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا وتزوى وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك إنسانا لثيما أو تحزا أو مبخلا...»⁽¹⁾.

ومما سبق يتضح أن التنغيم تغييرات موسيقية تنتاب الصوت من صعود إلى هبوط ومن هبوط إلى صعود، تحدث في اللغة المنطوقة لغاية وهدف ويقابل التنغيم في الخطاب المكتوب علامات الترقيم مثل الفواصل (الوقفات) التي وضعها العلماء بين الكلمات لمعرفة دلالات الجمل غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة⁽²⁾.

ب/أنواع التنغيم:

-يمكن حصر أنواع التنغيم بالرغم من اختلاف صورته في نعمتين اثنتين وذلك بالنسبة إلى نهاياتهما فقط.

1- التنغيم ذو النغمة الهابطة: Falling tone

وتسمى هذه النغمة بالهابطة للاتصاف بالهبوط في نهايتها على الرغم مما قد تنتظمه من تلوينات جزئية داخلية، وأمثلة النغمة الهابطة كثيرة، وتظهر بوجه خاص فيما يلي:

أ- الجمل التقريرية: ويقصد بها تلك الجمل التامة المعنى غير المعلقة.

ب- الجمل الاستفهامية: وهي الجمل التي تحتوي أداة استفهام خاص.

ج- الجمل الطلبية: وهي الجمل التي تحتوي على فعل أمر أو نحوه.

2/ التنغيم ذو النغمة الصاعدة:

سميت بذلك لصعودها في النهاية بالرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية ومن أمثلتها.

أ- الجمل الاستفهامية التي تستوجب الإجابة "لا" أو "نعم".

ب- الجمل المعلقة: ونفي بها الكلام غير التام لارتباطه بما بعده ويظهر ذلك بوجه خاص في

⁽¹⁾ _ الخصائص، ابن جني. 371/2

⁽²⁾ _ اللغة العربية مبناها ومعناها، تمام حسان، ص236.

الجزء الأول من الحمل الشرطية⁽¹⁾.

وللتنعيم وظائف متنوعة في التحليل اللغوي وفي عملية الاتصال الاجتماعي بين المتكلمين.

1-وظيفة نحوية: وتعد أهم وظائف التنعيم لما لها من دور في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية، فالتنعيم هو الفيصل في التصنيف.

2- وظيفة دلالية سياقية: حيث ينبئ اختلاف النغمات وفقاً لاختلاف المواقف الاجتماعية عن حالات أو وجهات نظر شخصية في عملية الاتصال بين الأفراد، ويظهر ذلك مثلاً في حالات الرضا والقبول والزجر والتهكم والغضب والتعجب والدهشة والدعاء.

3- وظيفة اجتماعية: يشير علماء اللغة الاجتماعيون إلى دور التنعيم وأنماطه في تعرف الطبقات الاجتماعية والثقافية المختلفة في مجتمع معين حيث تختلف هذه الطبقات الاجتماعية في طرائق أداء الكلام كما أن إطاره سيبقى الكلام عندهم يختلف وفقاً لمواقع كل طبقة في المجتمع ومحصولها الثقافي⁽²⁾.

ج- دلالة التنعيم في الأمثال القياسية:

يعد التنعيم جزء من النظام اللغوي وله دور فاعل في التحليل اللغوي ولاشك في أن التنعيم الذي يتجسد في الكلام المنطوق دون المكتوب له أثر واضح في إبراز المعنى، فهو المفصح عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات النفسية التي تنتاب الإنسان من حين إلى آخر تبعاً لتغير مشاعره. وللتنعيم في النص القرآني وظيفة بيانية، فالنغمة القرآنية ليست مجرد صوت بل إنها تشارك في كشف المعنى وإبرازه، وهذا ما يحس به كل قارئ متقن ومؤد بارع للنص القرآني، فالتنعيم الذي يصاحب نطق الجمل الخبرية في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا

تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد: 35]

﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي

أَحَدًا﴾ [الكهف: 42].

(1) _ علم الأصوات، كمال بشر، 534.

(2) _ المرجع نفسه، 539.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]. اتجهت حركة النغمة في كل الجمل السابقة باتجاه هابط يتناسب و غرض الإخبار.

- أما قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: 20].

وقوله عز شأنه: ﴿يَقْوِمُوا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿[يس: 20-21]. فكان التنعيم المصاحب بنطق هذه الجمل الطلبية ذا نغمة هابطة.

- وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 170]

- وقوله عز وجل: ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ﴾ [النحل: 76].

- قوله عز شأنه: ﴿حَقَّ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتَ وَظَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يونس: 24]. فكان التنعيم المصاحب لنطق هذه الجمل ذا نغمة صاعدة كون تلك الجمل معلقة والكلام فيها غير تام لارتباطه بما بعده، لأنها باختصار جمل شرطية تتطلب جوابا لها.

ويمكن تلخيص ما سبق ذكره في النقاط الآتية:

- إن القرآن وحدة تركيبية مترابطة متلاحمة في وحده فنية رائعة أعطت صوت النفس والعقل والحس عصبها النفسي فاجتمعت في القرآن موسيقى الطبيعة مع موسيقى النفس في موسيقى الحرف والكلمة والجمل⁽¹⁾.

- كثيرا ما يكون في جرس الصوت ما يساعد على تحديد المقصود بالكلمة نظرا للعلاقة الطبيعية التي تجمع بين الصوت والمعنى تلك العلاقة التي تساهم في التفسير والإيحاء وأداء الدلالة المقصودة واضفاء الحياة والحركة في ألفاظ القرآن، تلك الحركة التي تكون عنيفة قوية وتارة هادئة، ولكنها عميقة في دلالتها وتساهم فيها الصيغة ونطقها وجرسها وإيقاعها ويأخذ فيها التصوير طابع الدقة والإحكام وهي في كل ذلك تخلع الحياة على الكائنات الطبيعية والمتحركة التي تزيد حركتها فوق حركتها⁽²⁾.

(1) - الإعجاز الفني، عمر السلامي، ص 225.

(2) - المرجع نفسه، ص 90.

-تكشف دراسة الصوت في القرآن الكريم جانبا من جوانب إعجاز إذ أن الوقوف على صفات الأصوات من شأنه أن يسهم في تجلية الجانب الدلالي لكثير من الكلمات..

-يقوم البناء الصوتي للأمثال على التكامل وجمال التعبير ووضوح المعاني. فجاءت الأصوات الواردة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم متنوعة بين الجهر والهمس والشدة والرخاوة وبين الانفجار والاحتكاك مما أضفى على ذلك البناء الصوتي إيقاعا صوتيا متميزا.

- طغت الأصوات المجهورة بصورة جليلة على الأصوات المهموسة حيث سجلت تواتر قدره 70,20% في حين بلغت نسبة الأصوات المهموسة 29,80% أي ما يعادل حوالي النصف تقريبا، ولهذا التواتر العالي للأصوات المجهورة على حساب الصوامت المهموسة مايرره.

-احتل صامت (اللام) الصدرية بنسبة 14,28% من مجموع الصوامت المجهورة الواردة في الحقل الدلالي المشتمل على الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله، ويليه صامت الميم بنسبة 10,71% ثم النون بنسبة 10,28%.

-وقد احتل صامت النون المرتبة الثالثة بعد صامت الميم بنسبة تكاد تكون متساوية في كل الحقول الدلالية. وجاء صامت النون مؤكدا استحقاق لله الحمد دون مايعبد من دونه، كما عمل على إبراز مظاهر الضعف وقلة الحيلة لكل ما جعل شريكا لله.

-ومن أكثر الصوامت المهموسة ترددا صامت الهاء فقد احتل نسبة 7,14% من مجموع الصوامت المهموسة الواردة في الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله، ويليه صامت التاء بنسبة 4%.

-كما لعب الصائت القصير دورا بارزا في تحديد المعنى، كما ساهم في التمييز بين المتقاربات دلاليا وبين كثير من الكلمات التي تتفق صورتها وتختلف معانيها إن على المستوى الصوتي أو الصرفي أو التركيبي.

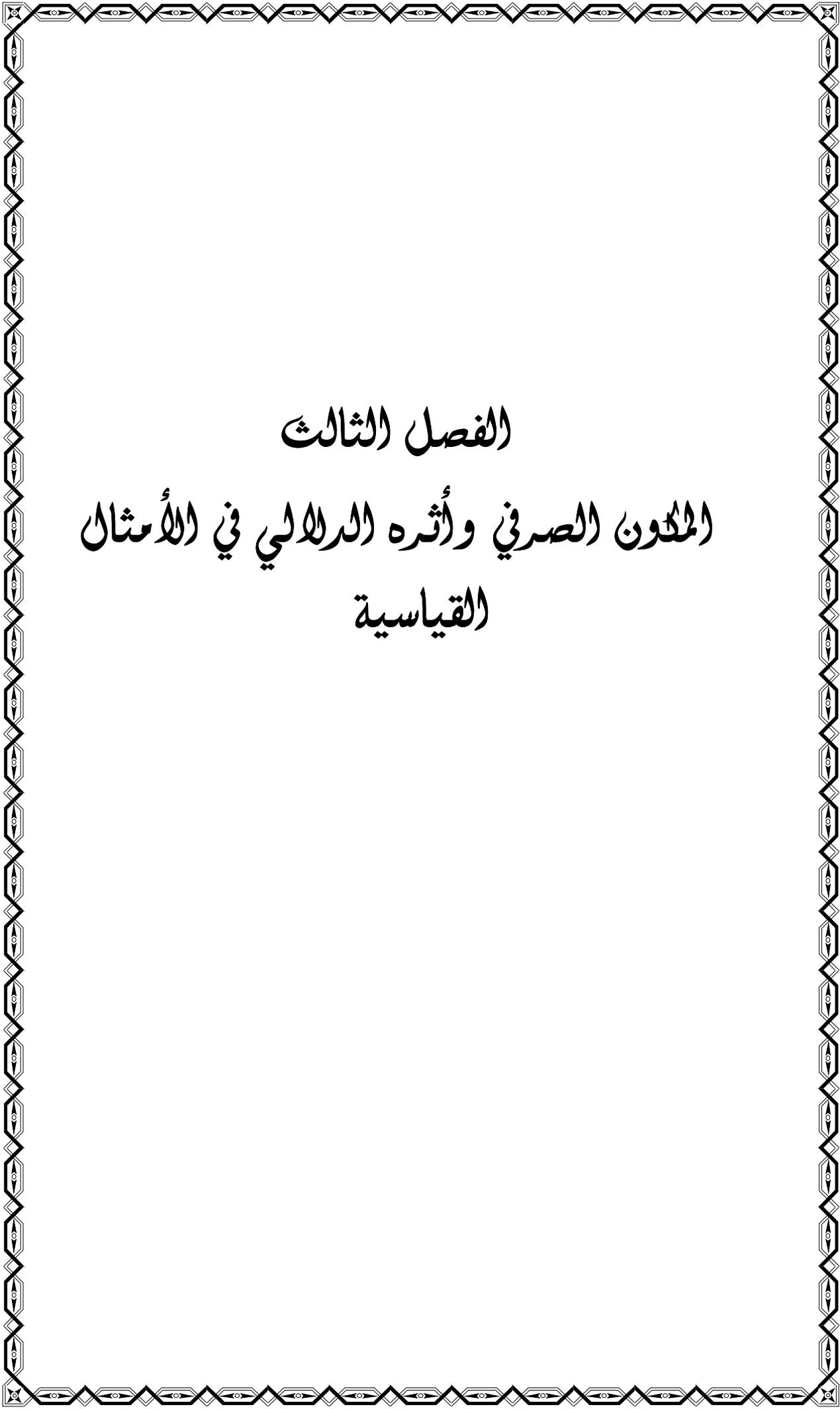
-وكما تعددت الصوائت الطويلة وتنوعت من حقل دلالي إلى آخر وقد سيطرت الفتحة الطويلة لتليها الكسرة الطويلة ثم الضمة الطويلة، فكان نسبة تردد الفتحة الطويلة أكبر في الحقل الدلالي الذي يشتمل على الأمثال القياسية المضروبة للحياة الدنيا، لتدل الفتحة الطويلة لما لها من سمة الامتداد والاتساع على تعلق قلوب الناس بالدنيا واغترارهم بها وطول أملهم.

-يستخدم القرآن الكريم المقاطع الصوتية استخداما قياسيا بارعا، فقد جاء توظيفه متنوعا بين مقاطع قصيرة (ص ح) ومتوسطة (ص ح ص) بشكل ملحوظ نظرا لما يرافقها من سهولة في الأداء

الفصل الثاني..... (المكون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية)

وسرعة في النطق. فكانت المقاطع القصيرة أكثر دلالة على عجز وضعف ووهن الكافر وما يعبده من أصنام، كما دالت على سرعة زوال الدنيا وفنائها مع حسنها وبهائها واغترار الناس بها، كما ارتبطت المقاطع القصيرة بدلالات الخوف والذعر التي سيطرت على قلوب المنافقين.

وأما المقاطع المتوسطة فكانت أكثر المقاطع الصوتية شيوعا بتواتر قدره 50,70% لتتوافق وما تحمله الأمثال القياسية من دلالات وإيحاءات. أما المقاطع الطويلة فكانت أقل المقاطع الصوتية حضورا بنسبة بلغت 1,54% من مجموع المقاطع الصوتية في الأمثال القياسية في القرآن الكريم.



الفصل الثالث

المكون الصرني وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

إن ما يبدو لنا من حقيقة على مسرح واقعنا المادي ينعكس في القرآن بألفاظه التي ترسم صورة مجسدة متحركة بشتى أنواعها. ولئن كانت الحياة المادية تمثلها الطبيعة وكائناتها، فإنها في القرآن تتحرك من تلقاء ذاتها وتشتع بالحياة. وتقوم اللفظة التي اصطلح على وضعها الإنسان لتؤدي أكثر مما تؤديه الحياة نفسها. فالفكر الحي بألفاظه الحية يحرك جميع الحواس والحياة قد تشغل حاسة، فتتشغل بها عن الأخريات وإن ما تملكه لفظة القرآن من مقدرة على تحريك النفس والوجدان والعقل والمخيلة يشهد لخصائصها بالتفرد في مميزاتها⁽¹⁾.

وقد فطن لغويونا إلى تلك العلاقة التي تربط بين المبنى والمعنى وقرروا في معرض الحديث عن التصريف: «... من فاته علمه فاته المعظم، لأننا نقول: وجد، وهي كلمة مبهمه فإذا صرفت أفصحت فقلت في المال: وجدًا، وفي الضالة وجدانا، وفي الغضب: موجدة، وفي الحزن: وجدًا، ويقال القاسط للجائر والمقسط للعادل، فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل»⁽²⁾.

وذكر الزركشي الأهمية الجليلة لعلم التصريف في قوله: «إن العلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها»⁽³⁾. وأشار في موضع آخر لما تحدثه صيغة الكلمة من تغيير في المعنى فقال: «... واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإن زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعنى ضرورة. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 42]، فمقتدر أبلغ من قادر لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة لا يُرد شيء عن اقتضاء قدرته، ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى»⁽⁴⁾.

وإن كانت مهمة الصرف- التصريف- قد اقتصرت على بيان أحكام بنية الكلمة فإن ما نعني به هنا هو ذلك الأثر الدلالي الذي يترتب عن تنوع بُنى الكلمات داخل سياقها في الأمثال القياسية في القرآن الكريم. وقبل تحديد ذلك الأثر لابد من تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات.

(1) _ الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، ص 88.

(2) _ المزهري في علوم اللغة، السيوطي، 260/1. وانظر الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1418هـ، 1998م)، ص 309.

(3) _ البرهان، الزركشي، 297/1.

(4) _ المرجع نفسه، 34/3.

– الميزان الصرفي:

هو لفظ يوتى به لبيان أحوال أبنية الكلمات في الحركات والسكنات والأصول الزوائد والتقدم والتأخير والحذف وعدم الحذف⁽¹⁾. ويتألف الميزان الصرفي من ثلاثة أحرف هي "الفاء والعين واللام" ويجب أن يكون الميزان مطابقاً للموزون حركة وسكوناً وزيادة أحرف⁽²⁾. وفائدة وزن الكلمات هي تمييز الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة ثم بيان ما يطرأ عليها من الصحة والاعتلال والزيادة والحذف والقلب والإبدال ومعرفة الأصل من الأفعال والمزيد منها⁽³⁾.

ولما كان أكثر كلمات اللغة العربية ثلاثياً اعتبر علماء الصرف أن أصول الكلمات ثلاثة أحرف، وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام، ويسمون الحرف الأول فاء الكلمة والثاني عين الكلمة والثالث لام الكلمة⁽⁴⁾. فإن زادت الكلمة عن ثلاثة أحرف، وكانت زيادتها ناشئة من أصل وضع الكلمة على أربعة أحرف أو خمسة زدت في الميزان لاما أو لامين على أحرف "ف ع ل" فتقول في وزن دحرج: فَعْلَل. وإن كانت الزيادة ناشئة من تكرير حرف من أصول الكلمة كررت ما يقابله في الميزان فتقول في قَدَم فَعْل وفي جَلِب فَعْلَل. وإن كانت الزيادة ناشئة من زيادة حرف أو أكثر من حروف "سألتمونيها" قابلت الأصول بالأصول وعبرت عن الزائد بلفظه فتقول في "قائم" فاعل وفي "تقدّم" فَعْلَل. وإن حصل حذف في الموزون حُذِف ما يقابله في الميزان، فتقول في "قل"، فل وفي "قاضي" فاع. وإن حصل قلب في الموزون حصل أيضاً في الميزان فيقال في "جاه" عفل بتقديم العين على الفاء⁽⁵⁾.

ويختلف الميزان الصرفي عن الصيغة، وقد فرّق أحمد الحملاوي بينهما فقال: "الصيغة مبنى صرفي يمثل القوالب التي يصّب فيها الصرفيون المادة اللغوية ليدلوا بها على معان معينة ومحددة لما يدور بخلدكم وما تتفق عليه أذهانهم وأفكارهم. أما الميزان الصرفي فهو مبنى صرفي يناط به أمر بيان الصورة

(1) _ شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الرحمن محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (686هـ). دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، 10/1.

(2) _ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلايني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2007م، ص164.

(3) _ شرح الشافية، رضي الدين، 13/1، 12.

(4) _ شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، شرحه وفهرسه واعتنى به عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1419هـ-1998م)، ص 18.

(5) _ شذا العرف في الصرف، أحمد الحملاوي، ص 20-21.

الصوتية النهائية التي آلت إليها المادة اللغوية⁽¹⁾.

فالميزان الصرفي هو مجموعة صوتية تعمل على تحويل المباني الإفرادية الصرفية إلى مبانٍ مردّها وقياسها الصوت بعنصره الصوامت والصوائت⁽²⁾.

-وتحدد ماهية الصيغة بأمر أربعة:

1/- هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها.

2/- كون هذه الهيئة مثالا يحتذى ويصاغ على هيئة.

3/- كونها متصرفة ودالة على أصل اشتقاقي صيغت منه.

4/- كونها دالة على معنى وظيفي⁽³⁾.

وكما تختلف الصيغة مع الميزان الصرفي، تختلف مع البنية في كون هذه الأخيرة تعنى معنى الضم والثبوت لا الهيئة و الصورة ، فالبنية تشبه القالب الذي يضم أجزاء ما يصب فيه ويجعله متماسكا. لكن الصيغة هي ما يخرج من القالب منظورا فيه إلى الشكل الذي خرج عليه والمعنى الذي يشير إليه.

فالصيغة هي البنية بحركاتها التي تحدها وتمكن من وزنها. بأن توضع في قالب من قوالب الأبنية المقررة في اللغة فإذا لم يكن ذلك اعتبرت الكلمة بنية وليست صيغة⁽⁴⁾.

وثمة فارق آخر بينها وهو الفاصل بين الصيغة والبنية، وهو أن الصيغة لا بد أن تدل على معنى وظيفي، أما البناء و البنية كالظرف والضمير والحرف فهو و إن دل على معنى وظيفي فإنما يدل عليه بمادته ولفظه...فكل صيغة بنية وليس كل بنية صيغة⁽⁵⁾. وقد اشترط تمام حسان لاعتبار المبنى صيغة أن ينتمي إلى أصول اشتقاقية وأن يتصرف إلى صيغ غير صيغتها⁽⁶⁾. وأشار في موضع آخر إلى أن الصيغ الصرفية مبانٍ فرعية وأن أصولها هي المباني التقسيمية الثلاثة الاسم والفعل والصفة دون غيرها

(1) _ شذا العرف في الصرف، أحمد الحملاوي، ص 18.

(2) _ التحولات الصوتية والدلالية في المباني الإفرادية، سعاد بسناسي، ص 10.

(3) _ الإعجاز الصرفي في القرآن، عبد الحميد أحمد هنداوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ، 2008م، ص 14.

(4) _ المرجع نفسه، ص 21.

(5) _ الإعجاز الصرفي في القرآن، عبد الحميد هنداوي، ص 21.

(6) _ اللغة العربية معناه ومبناها، تمام حسان، ص 131

من أقسام الكلام⁽¹⁾.

وخلص ما سبق ذكره أن للميزان الصرفي فائدة عظيمة إذ يبيّن حال الكلمة وما يطرأ عليها من تغيرات لها أثر واضح في الدلالة على المعنى المعجمي والتركيبى للكلمة التي تعد الأساس في الدرس الصرفي.

1/ الفعل:

أ/ التجرد الزيادة:

عرّف النحاة الفعل بأنه: "ما دلّ على حدث وزمن. ودلالته على الحدث تأتي من اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة، والمعروف أن المصدر اسم الحدث فما شاركه في مادة اشتقاقه كالفعل والصفة لا بد أن يكون على صلة من نوع ما بمعنى الحدث كالدلالة على اقتران الحدث بالزمان أو على موصوف بالحدث أو على مكان الحدث أو زمانه أو آتته"⁽²⁾.

- وأما من حيث المبنى فينقسم الفعل إلى مجرد ومزيد. فالجحد: "ما كانت جميع حروفه أصلية لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة". والمزيد: "ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية"⁽³⁾.

وأقل ما يكون عليه الفعل المجرد ثلاثة أحرف وأكثر ما يكون عليه أربعة أحرف وأكثر ما ينتهي بالزيادة إلى ستة أحرف، وحروف الزيادة عشرة يجمعها قولك (سألتمونيها)⁽⁴⁾.

والأبنية المزیدة أكثر دلالة لما تحقّقه من زيادة في المعنى فزيادة المبنى تأتي لزيادة في المعنى فهناك تناسب طردي بين الصيغة والدلالة، وكلما زاد المبنى قويت الدلالة، وقد استدل ابن جني على ذلك بأمثله مثل، حشن واحشوشن، فمعنى حشن دون معنى احشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو⁽⁵⁾.

(1) _ اللغة العربية معناه ومبناها، تمام حسان، ص 136.

(2) _ اللغة العربية ومعناها ومبناها، تمام حسان، ص 104.

(3) _ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 29.

(4) _ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 43-44.

(5) _ الخصائص، ابن جني، 264/3، وانظر التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 96. وانظر المفتاح في

الصرف أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، حققه علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1987-1407). ص36

- والجدول رقم (8): يبين تردد كل من صيغة (فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ) في الأمثال القياسية.

الصيغة	فَعَلَ			فَعُلَ			التردد
	فَعَلَ	فَعِلَ	فَعُلَ	فَعَلَ	فَعُلَ	فَعِلَ	
تردد الصيغة	1	12	25	52	55	23	168
نسبة التردد %	0,32	3,87	8,06	16,77	17,74	7,41	54,18

الجدول رقم (9): يبين نسبة تردد الصيغ: فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ، فاعل، أفعَلَ، أفعل، تفَعَّلَ، انفعَلَ، استنفعَلَ، افتعل.

الوزن	فعل	فَعَلَ	أفعل	فاعل	انفعَلَ	تفَعَّلَ	استنفعَلَ	افتعل	المجموع الكلي
تردد الوزن	168	18	56	1	1	6	5	25	310
نسبة التردد %	54,19	5,80	18,06	0,32	0,32	1,93	1,31	8,06	100

1- صيغة أفعَلَ:

ذكر الصرفيون أن هذا البناء يأتي للدلالة على معانٍ كثيرة منها:

1-التعدية: وهي نقل الفعل من اللزوم إلى التعدية، وقد تنقله من التعددي إلى مفعول به واحد

إلى مفعولين: وتنقل التعددي إلى مفعولين إلى التعددي إلى ثلاثة مفاعيل⁽¹⁾.

والشائع عند الصرفيين أن همزة التعدية تأتي حين يكون الفعل لازماً فتحوِّله إلى فعل متعد

بنفسه لا بغيره نحو خرج أخرج، وجلس وأجلس⁽²⁾.

(1) _ تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، صالح سليم فخري، عصمى للنشر والتوزيع، 1996، ص 129.

(2) _ الكتاب، سيبويه، 55/4، 65، 279، 280.

وقد ورد هذا المعنى في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم، وأدى هذا المعنى كل من الأفعال:

- "أضاء" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17].

والإضاءة جعل الشيء مضيئاً نيراً، ولا تتسبب الإضاءة عن الطلب وإنما تتسبب عن الإيقاد والنار⁽¹⁾.

- "أنزل" في قوله عز وجل: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17] وقوله أيضاً: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [يونس: 24] وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا لِحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: 45].
- فقد جاء الفعل أنزل متعدياً في كل الآيات السابقة وأسند إلى المولى عز وجل فشبه إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة⁽²⁾.

وكما شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أفضل وأرفأ ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن، وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مُقتدراً⁽³⁾. كما ضرب الله مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرج الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء⁽⁴⁾، فكان سبباً للحياة.

- "أخرج" في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

فقد شبّهت أعمال الكفار بالظلمة في حيلولتها بين القلب وما يهتدي إليه⁽⁵⁾، فإذا أخرج

(1) _ روح المعاني، الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ، 2000م)، 166/1.

(2) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 165/12، وانظر الكشاف، الزمخشري 523/2.

(3) _ تفسير ابن كثير، 260/4.

(4) _ الكشاف، الزمخشري، 725/2.

(5) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 53/8.

المخرج يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لم يكدرها وهي أقرب شيء إليه⁽¹⁾.

- "أنفق" في قوله عز شأنه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوءًا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 264]. ولعظم أمر الإنفاق في سبيل الله أتبعه الله ببيان الأمور التي يجب تحصيلها حتى يبقى ذلك الثواب ومنها ترك الأذى، والإنفاق قد يكون من المال وفي غيره⁽²⁾. وفي الآية السابقة كان إنفاقا للمال.

2- الصيرة: وهو أن يصير الفاعل إلى حال غير الحال التي كان عليها مثل: ألين الرجل صار ذا لين، و أفلس صار ذا فلوس⁽³⁾. وقد أدى هذا المعنى كل من الأفعال:

- "آمن" في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: 25]. والإيمان التصديق وأصله من الأمن أو الأمانة ومعناها الطمأنينة، أمنه صدقه وأمن به وثق به⁽⁴⁾. فقد انتقل من حال الكفر والغي إلى نور الإيمان والهداية.

- "آمن" وقوله تعالى أيضا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

- "أنفق" في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: 75].

فبعد ما رزق صار ذا إنفاق سرمدى ينفق سرا وجهرا، ليلا ونهارا.

3- الاستحقاق: أي أن شيئا استحق شيئا ما مثل: أحصد الزرع-استحق الحصاد، وأحمد الرجل-استحق الحمد⁽⁵⁾. وقد أدى هذا المعنى كل من الفعلين :

(1) _ روح المعاني، الألويسي، 375/9.

(2) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 40/7، المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 819.

(3) _ شذ العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 45، تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 129.

(4) _ البحر المحیط، أبو حيان الأندلسي، 38/1.

(5) _ تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 130.

- "أهلك" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: 117].

شبه المولى عز وجل هيئة إنفاقهم (الكافرين) المعجب ظاهريا المخيب آخرها حين يبطها الكفر بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته⁽¹⁾. فكان الهلاك جزاءً استحقه الكافرون لكفرهم فكان هلاكهم عن سخط مستحقا، والهلاك عن سخط أشدّ وأبلغ⁽²⁾.

- "أتبع" في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: 175].

وأتبعه أحص من اتبعه، و أتبعه الشيطان صيره لنفسه تابعا ينتهي إلى أمره في معصية الله ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن⁽³⁾. وقد استحق تبعيته للشيطان بعدما أغواه وصار له تابعا، وقد رتبت أفعال الانسلاخ والإتباع والكون من الغاوين بفاء العطف على حسب ترتيبها في الحصول، فلما عاند ولم يعمل بما هداه الله إليه حصلت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من استخدامه وإدامة إضلاله⁽⁴⁾. فاستحق تبعيته للشيطان.

2/ صيغة فَعَّلَ:

ورد فَعَّلَ بتضعيف العين، ثمانية عشر مرة وكان دالا على المعاني الآتية:

- 1- تكثير الفعل والمبالغة فيه، نحو جرحته: أكثر الجروح في جسده⁽⁵⁾. وقد أدى هذا المعنى

كل من الأفعال:

- "فَصَّلَ" في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [يونس: 24].

أي نكث في تفصيلها وتبيينها كما وكيفا، لتوضح حقيقتها وتوهج، ليكون ذلك أدهى

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 315/3.

(2) _ الكشاف، الزمخشري، 405/1.

(3) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 353/8 وانظر جامع البيان، الطبري، 261/13.

(4) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 353/8.

(5) _ الزوائد في صيغ العربية، زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص 574.

للإيمان⁽¹⁾. والتفصيل و التبيين يأتي على فصول الشيء كلها⁽²⁾.

• "قطع" في قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد 15].

فقد سقي من هم خلود في النار ماء قد انتهى حره فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعاءهم⁽³⁾.
تقطيعا.

• "قلب" في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42].

وتقلب كفيه ظاهره أنه يقلب كفيه ظهرا لبطن، وهو أن يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته متأسف على فقدانه⁽⁴⁾. ومن فرط حيرته لم يجد تعبيراً صادقا لحية أمله وخسارته البائنة سوى تقلب كفيه.

2-التعدية: ومن الأفعال التي دلت على هذا المعنى الفعل.

• "وفى" في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتَهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: 39].

3-نسبة المفعول إلى صفة الصفات: نحو جهلت فلان ← نسبته إلى الجهل وكذبتة نسبته إلى

الكذب⁽⁵⁾. وقد جاء بهذا المعنى كل من الأفعال:

- كذب في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا﴾ [الأعراف: 176].

وقوله أيضا: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس: 14].

4-صيرورة الفاعل إلى أصل ما أخذ منه الفعل: وقد ورد بهذه الدلالة الفعل صدق في قوله

تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا

⁽¹⁾ _ تجليات الدلالة الابدائية في الخطاب القرآني، فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، (1432هـ-)

2001م)، ص 225.

⁽²⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 21/11، روح المعاني، الألوسي، 96/6.

⁽³⁾ _ جامع البيان، الطبري، 168/22.

⁽⁴⁾ _ البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 181/7.

⁽⁵⁾ _ تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 13.

وَكُتِبَهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٣﴾ [التحریم: 12].

فقد ضرب الله مثلا للذين صدقوا الله ووحده امرأة فرعون التي آمنت بالله و وحدته وصدقت رسوله موسى وهي تحت عدو من أعداء الله⁽¹⁾. وضرب مثلا لمريم ابنت عمران وصبرها على أذى اليهود⁽²⁾. فكانت صادقة ومُصدّقة بكلمات ربها وكتبه كما كانت من القانتين.

3/صيغة استفعل:

وردت "استفعل" 5 خمس مرات بدلالات متنوعة منها.

1-الطلب حقيقة: ⁽³⁾. في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: 17] فالاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله⁽⁴⁾.

2- الصيرورة: على صفة معينة في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾ [الكهف: 41]. أي لن تستطيع رد الماء الغائر ولأن تقدر عليه بجيلة ولن تستطيع طلب غيره بدلا منه⁽⁵⁾.

واستطاع الشيء: أطاقه وقدر عليه وأمكنه، والاستطاعة أخص من القدرة⁽⁶⁾.

3-الدلالة على بلوغ الغاية: في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ﴾ [الفتح: 29].

4-مجيئه بمعنى (فعل) الثلاثي: نحو استقر أي قرّ، واستمر أي مرّ⁽⁷⁾. وقد ورد هذا المعنى في

(1) _ جامع البيان، الطبري، 499/23.

(2) _ تفسير القرطبي، 203/18.

(3) _ التفسير القيم، ابن القيم، 181/1، التحرير والتنوير، ابن عاشور، 304/1.

(4) _ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 54.

(5) _ تفسير القرطبي، 409/10، النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت، 308/3.

(6) _ المعجم الوسيط، ص 597. الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص 150.

(7) _ الزوائد في صيغ العربية، الخويسكي، ص 643.

- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُوكُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: 73]. فقد ذكر الله ما عليه المعبودات التي تعبد من دونه من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء بل على رد ما أخذ ذلك الأقل منها- الذباب⁽¹⁾. والظاهر أن استنقاذ بمعنى نقد إذ لا يستطيع ذاك المعبود الضعيف على استنقاذ ما أخذ منه مع غاية ضعف الآخذ (ألا وهو الذباب).

- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبٌ مِّثْلُ مَا سَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73]، فاستمعوا له أي تدبروه حق تدبره لأن نفس السماع لا ينفع وإنما ينفع التدبير⁽²⁾.

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15]. فالفعل استهزاء جاء بمعنى هزئ إذا سخر والهزاء السخرية⁽³⁾. ومعنى استهزاء الله بهم أي ينتقم منهم ويعاقبهم ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم، فسمى العقوبة باسم الذنب⁽⁴⁾.

4/ صيغة تفعل:

وردت صيغة "تفعل" ستة مرات (6) بنسبة وصلت 1,93% وأفادت عدة معان منها:

1-مطاوعة فعل مصغف العين: وقد أدى هذا المعنى كل من الأفعال.

• "تذكر" في قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25].

وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مِثْلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24].

-لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلاً من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات وبهذا ورثوا الجنات...ثم ذكر الله تعالى مثل الكافرين والمؤمنين فقال: (مثل الفريقين) أي من وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء فأولئك كالأعمى والأصم وهؤلاء كالبصير والسميع فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 537/7، انظر روح المعاني، الألويسي، 192/9.

(2) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 60/23.

(3) _ لسان العرب، ابن منظور، 183/1.

(4) _ تفسير القرطبي، 207/1.

ينتفع به، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يروج عليه باطل فهل يستوي هذا وهذا.... أما قوله تعالى: « أفلا تذكرون» أي أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء⁽¹⁾.

• "تفكر" في قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176].

فالفكرة تردد القلب في الشيء يقال تفكر ورجل فكير كثير الفكر. والتفكر: التأمل والنظر⁽²⁾. والفكرة قوة مطرفة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب⁽³⁾.

-وأما قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ﴾ يريد قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم لعلهم يتفكرون يريد يتعظون⁽⁴⁾، ويعتبرون بما في القصص من أخبار وأحداث من سبق من الأمم.

• "تفكر" في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [يوسف 24] وقد خصّ

الله أهل الفكر لأنهم أهل التمييز والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور فهم كثيرون التدقيق في الأمور لأنهم أهل حكمة وعلم بالأمور وبصيرة نافذة.

• "تغير" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ [محمد: 15].

التغيير-يقال على وجهين:

أ/ لتغيير صورة الشيء دون ذاته ويقال غيّرت داري: إذا بنيتها بناءً غير الذي كان.

ب/ لتبديله بغيره نحو: غيّرت غلامي ودابتي إذا أبدلتها بغيرها⁽⁵⁾.

وأما تغير في قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ [محمد: 15]. فقد أفاد المعنى الأول

الذي ذكره الراغب وهو: تغيير صورة الشيء دون ذاته، فهو لبن لا يتغير طعمه ولا لونه.

(1) _ تفسير ابن كثير، 315/4.

(2) _ تفسير القرطبي، 314/4 والتحرير والتنوير، ابن عاشور، 62/11.

(3) _ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 643.

(4) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 406/15.

(5) _ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 619.

2-التكلف: وقد أدى هذا المعنى الفعل "تطير" في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ

تَنْهَوْا لَنَرَجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ [يس: 18].

وتطير الشيء: تفرّق، واستطار الفجر انتشر⁽¹⁾. والتطير التشاؤم. و أطلق عليه التطير لأن أكثره ينشأ من الاستدلال بحركات الطير، وقد كان التطير من أوهام العرف⁽²⁾ وعادة العرب في الجاهلية التي تنم عن جهل وضلال وتمسك بالخرافات.

5/صيغة انفعال:

و قد سجلت صيغتا انفعال وفاعل تواترا ضعيفا مقارنة بباقي الصيغ. إذ ترددت كل من الصيغتين مرة واحدة فقط وأفادت كل منهما دلالة ارتبطت بالسياق الذي وردت فيه. ومثل الفعل "انسلخ" هذه الصيغة-انفعال- في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ [الأعراف: 175].

وقد أفاد الفعل "انسلخ" معنى المطاوعة ذلك أن صيغة انفعال تأتي لمعنى واحد وهو المطاوعة ولا يكون فعلها إلا لازما كقطعته فانقطع وكسرته فانكسر⁽³⁾.

-وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]، فيها وجهان.

أ/ فانسلخ من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية.

ب/ أنه انسلك منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء عمله بالآيات⁽⁴⁾.

وحقيقة الانسلاخ خروج جسد الحيوان من جلده حينما يسلك عنه جلده. واستعير في الآية للانفصال المعنوي وهو ترك التلبس بالشيء أو عدم العمل به. ومعنى الانسلاخ عن الآيات الإقلاع عن العمل بما تقتضيه⁽⁵⁾ والانسلاخ من الآيات مبالغة في التبري منها والبعد أي لم يعمل بما اقتضته نعمتنا عليه من إتيانه آياتنا، جعل كأنه كان ملتبسا كالثوب فانسلخ منها⁽⁶⁾.

(1) _مقاييس اللغة، ابن فارس، 436/3.

(2) _التحريير والتنوير، ابن عاشور، 273/19. وانظر روح المعاني، الألوسي، 395/11.

(3) _ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 51.

(4) _ النكت والعيون، الماوردي، 280/2.

(5) _ التحريير والتنوير، ابن عاشور، 353/8.

(6) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 222/5.

6/صيغة فاعل:

ارتبطت صيغة "فاعل" بالفعل ضاعف، وقد وردت هذه الصيغة مرة واحدة أفاد فيها الفعل "ضاعف" في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 261]. معنى المبالغة والتكثير، والتضعيف لما جعل مثلين والمضاعفة لما زيد عليه أكثر. والمضاعفة درجات كثيرة لا يعلمها إلا الله لأنها تترتب على أحوال المتصدق عليه وأوقات ذلك وأماكنه⁽¹⁾.

7/ صيغة افتعل:

سجلت هذه الصيغة تواترا بلغ 25 مرة بنسبة حددت بـ 8,06% ودلت على معان عدة منها:

1-التشارك: ومثله كل من الأفعال:

- "استوى" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24].

-فجملته "هل يستويان مثلا"، واقعة موقع البيان للغرض من التشبيه وهو نفي استواء حال الفريقين، ونفي الاستواء كناية عن التفضيل والمفضل منهما معلوم من المقام أي معلوم تفضيل الفريق الممثل بالسميع والبصير على الفريق الممثل بالأعمى والأصم⁽²⁾. والاستواء يقتضي شيئين فأكثر أو أمرين فأكثر.

- "اجتمع" في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: 73].

إن هذا المثل من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش و استركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه... وكما دل على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا، وأدل من ذلك على عجزهم انتفاء قدرتهم إذا أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيء فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا⁽³⁾ ولو تشاركوا جميعا.

(1) _ البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، 559/2، التحرير التنوير، ابن عاشور، 514/2.

(2) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 237/11.

(3) _ الكشاف، الزمخشري، 171/3.

• "اختلط" في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [الكهف: 45].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: 24].

عن ابن عباس ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض و البقول والثمار وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي⁽¹⁾. ومعنى الاختلاط تشبته به وتلقفه إياه وقبوله له، وقال الكرماني فاختلط به اختلاط مجاورة لأن الاختلاط تداخل الأشياء بعضها في بعض⁽²⁾.

2- مطاوعة فعل: وقد أدى هذا المعنى الفعل "اتخذ" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ

دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41].

لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده، مثل اتخاذ ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير أويا ولا يُريح ثاويا... وبيت العنكبوت إذا هبت عليه ريح لا يرى من عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا فكذلك أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَتَّأ إِلَى مَاعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]. والاتخاذ افتعال من الأخذ وأما قوله تعالى: (اتخذت بيت) أي صنعت وعملت⁽³⁾. فكل بيت فيه إما فائدة الاستضلال أو غير ذلك. أما بيت العنكبوت يضعف عن إفادة ذلك لأنه يخرب بأدن شيء ولا يبقى منه عين ولا أثر⁽⁴⁾.

3- التحويل: أي تحويلك إياه وإن كان على نحو الاستلاب نحو: انتزع، اقتلع، واجتذب⁽⁵⁾

(1) _ جامع البيان، الطبري، 55/15، تفسير ابن كثير، 260/4.

(2) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 37/6.

(3) _ المرجع نفسه، 581/1.

(4) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 58/2، جامع البيان، الطبري، 403/18.

(5) _ الكتاب، سيبويه، 74/4.

وجسد هذا المعنى الفعل "اجتثت" في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ﴿٢٦﴾ [إبراهيم: 26].

يقال اجتثت الشيء أجتته اجتثانا إذا استأصلته. وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها⁽¹⁾ وأما قوله « كشجرة خبيثة اجتثت» أي اقتلعت جثتها بترع الأصول وبقيت في غاية الوهن والضعف فتقلبها أقل ريح. فالكافر يرى أن بيده شيئا وهو لا يستقر ولا يبغي عنه كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد الجاهل أنها شيء نافع وهي خبيثة غير نافعة.

4- مطاوعة للمضعف: وأدى هذا المعنى الفعل "احتمل" في قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ [الرعد: 17]. وفي هذا مثل ضربه الله لما احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله⁽²⁾.

5- الإظهار: وأدى هذا المعنى الفعل "ازينت" في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا

وَأَزْيِنَتْ ﴾ [يونس: 24].

والزينة اسم جامع لكل شيء يتزين به، ويقال ازينت الأرض بعشبتها وازينت مثله، وازينت الأرض إذا حسنها عشبتها⁽³⁾. وازينت كلام فصيح أي جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فلبستها وتزيتت بغيرها من ألوان الزينة⁽⁴⁾ فظهرت زينتها لكل من يراها.

6- الاتخاذ: ومثل هذا المعنى الفعل "انقى" في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ ﴿٣٥﴾ [الرعد: 35] ووقاه الله وقيا ووقاية صانه ووقاه الله وقاية بالكسر أي حفظه⁽⁵⁾ واتقوا في الآية معناه- اتخذوا وقاية لأنفسهم من النار ومن عذاب أليم وجحيم محقق.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 433/6.

(2) _ تفسير ابن كثير 448/4.

(3) _ لسان العرب، ابن منظور 21/13. مقياس اللغة، ابن فارس 42/3

(4) _ الكشاف، الزمخشري، 340/2.

(5) _ لسان العرب، ابن منظور، 401/15، مقياس اللغة، ابن فارس، 131/6.

8-صيغة فَعَلْ: ارتبطت صيغة "فعل" في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم بمجموعة من الأفعال وبلغت نسبة تردها 93, 41 % بتواتر قدره 130 مرة أي بأعلى نسبة وأعلى تواتر، ومن الأفعال التي ارتبطت بهذه الصيغة.

- "لهث" الذي ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: 176].

وهنا تنتقى حالة خاصة من تصرفات الكلب لتمثل ديمومة شناعة المرتدين المنافقين وطول ألسنتهم وتلاعبهم بالكلمات. ولعل هذه الانتقائية تستمد قوتها من تصوير المنافق المرتد، وهو يدلي لسانه كالكلب نتيجة ضرام نار الحقد في دخيلته، ويلهث وراء الحصار ذلك في حال الأمن والخوف على السواء، فالتودد لا يجدي معه⁽¹⁾.

وكما ينفي القرآن عن المشركين صفة التفكير عندما يقرنهم بالجماد، فهناك عملية تخنيط وتحميد لهم. ويأتي الحيوان في الدرجة الثانية من التدرج لأنه يتسم بالحركة. والقرآن باستخدام الحيوان يبيث الحركة فيهم ويؤكد تسلط الغرائز وكل ذلك لأجل توصيل صورة القبيح في أسمى شكل مؤثر⁽²⁾.

- "حمل": في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]

ضرب الله مثل الذين أتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحُمِّلوا العمل بها ثم لم يعلموا بما فيها وكذَّبوا بمحمد، وقد أمروا بالإيمان به فيها وإتباعه والتصديق به كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم لا ينتفع بها ولا يعقل ما فيها⁽³⁾.

والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه أنهم يكونون عنه ويرغبون عن التصريح به، فيقولون الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقدرة وقد عدَّ من مساوى الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة⁽⁴⁾.

- "ترك" في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: 264].

(1) _ جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص 132.

(2) _ المرجع نفسه، ص 134.

(3) _ جامع البيان، الطبري، 377/23.

(4) _ الكشف، الزمخشري، 498/3.

وهذا من أبلغ الأمثال و أحسنها، فإنه يتضمن تشبيه قلب المنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر بالحجر لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به، وكما تضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر، والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر، فأذهب بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها كما يُذهب الوابل التراب الذي على الحجر، فيتركه صلدا فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله⁽¹⁾.

• "ظلم" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117].

كثر ورود الظلم في القرآن الكريم وتعددت معانيه بحسب السياقات، ولكن هذه المعاني المتعددة كلها تدور حول معنى واحد هو منع الحق ومجاوزته ووضع الشيء في غير موضعه. والظلم على ثلاثة أقسام:

1- ظلم بين الإنسان وبين الله. وأعظمه الكفر والشرك والنفاق.

2/ ظلم بين الإنسان وبين الناس.

3/ ظلم بين الإنسان ونفسه⁽²⁾.

والصورة التي تعرضها الآية تشخص الذين ينفقون في هذه الحياة باذلين في ذلك الجهد وليس في إنفاقهم نفع ولا فائدة. لأن قلوبهم خلت من روح القرآن، فكأنما ينفقونه بمثابة زرع أهلكته ريح عاتية، فبوغت أصحابه وشهد عليهم القرآن بأنهم ظلموا أنفسهم إذا لم يعطوا حق الله في الحرث وحث نفوسهم في التعب والكد⁽³⁾.

• "رجع" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17-18].

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 17] إخبار من الله من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى وصممهم عن سماع الخير والحق وبكمهم عن القيل وبهما وعماهم

(1) _ التفسير القيم، ابن القيم، 264/1، 265.

(2) _ معجم الفروق الدلالية في القرآن، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، 2008، ص 145-146.

(3) _ الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، ص 202.

عن إبصارهما، إنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم ولا يتوبون إلى الإنابة من نفاقهم، فأيس المؤمنون من أن يبصر هؤلاء رُشداً، أو يقولوا حقاً، أو يسمعوا داعياً إلى الهدى، أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم، كما أيس من توتبه قادة أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم الذين وصفهم بأنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم⁽¹⁾.

9/ صيغة فَعَلَ:

وردت صيغة فعل في الأمثال القياسية 37 مرة بنسبة بلغت 33, 11 % فكانت أقل تواتراً من صيغة "فَعَلَ"، ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على الفرح وتوابعه والامتلاء والخلو والألوان والعيوب كفرح وحزن وغضب⁽²⁾، وقد مثل هذه المعاني كل من الأفعال: سمع، علم، حسب، عمه، سلب، نعق.

- "سمع" في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 171].

مثل الله للكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه من كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به، مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها ولا تعقل ما يقال لها⁽³⁾.

وقيل: «مثل الذين كفروا في قلة فهم عن الله وعن الرسول كمثل المنعوق به من البهائم الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت، وذلك أنه لو قيل له: اعتلف أو رد الماء لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله، فكذلك الكافر مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهي عنه بسوء تدبره إياه، وقلة نظره وفكره فيه مثل هذا المنعوق به فيما أمر به، ونهي عنه، فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج على الناعق⁽⁴⁾.

- "عمه": في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15].

فالعمه: التردد والتحير، وهو شبيه بالعمى إلا أن العمى توصف به العين التي ذهب نورها.

(1) _جامع البيان، الطبري، 330/1-331.

(2) _شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 32، المفتاح في الصرف، الجرجاني، ص 47.

(3) _جامع البيان، الطبري، 308/3.

(4) _المرجع نفسه، 318/3.

والعمه العمى عن الرشد⁽¹⁾. وأما قوله تعالى: ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا، لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها، فأعمى أبصارهم عن الهدى و أغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا⁽²⁾ فهم يتخبطون في ضلام الجهل والكفر والنفاق.

• "حَسِبَ" في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: 39].

إن حال الكافرين بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئا، لأنه كان عمله على كفر بالله، و وجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه الله يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا⁽³⁾. بعد ما ظن الكافر أن ما عمله من خير منجيه .

10/ صيغة فَعَلْ:

يكثر استخدام فَعَلْ لأفعال الطباع ونحوها كحَسُنَ وَقَبِحَ وكَبُرَ⁽⁴⁾، ولم ترد هذه الصيغة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن إلا مرة واحدة بنسبة 32, 0% من مجمل الصيغ، وجسد هذه الصيغة الفعل ضَعَفَ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج 73].

لقد مثلت هذه الصورة القرآنية الضعف في أقوى صورة، وجسمت المهانة تجسيما صادقا واعيا وأبرزت عجز هؤلاء الذين ادّعى المشركون أنهم قادرون يمنحون ويمنعون⁽⁵⁾.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 104/1.

(2) _ جامع البيان، الطبري، 310/1.

(3) _ جامع البيان، الطبري، 195/19.

(4) _ المفتاح في الصرف، الجرجاني، ص48.

(5) _ الأمثال في القرآن، محمود بن الشريف، ص 107.

وجاء في جامع البيان للطبري: يقول تعالى ذكره: كيف يجعل لي مثلاً في العبادة ويشترك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا خالق ما في السماوات والأرض ومالك جميع ذلك، والمحیی من أردت والممیت مآ أردت ومن أردت. إن فاعل ذلك لاشك أنه في غاية الجهل⁽¹⁾ والضعف.

ب/ الدلالة الزمانية للفاعل:

أدرك النحاة ما يشغله الفعل في اللغة العربية من مكانة هامة فهو أحد أقسام الكلمة وقد نال قسطاً وافراً من الاهتمام والدراسة، فاختلقت تعريفاتهم للفعل، فهو عند سيبويه: «فأمثله أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»⁽²⁾.

وعرّفه الزمخشري بقوله: «إن الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان»⁽³⁾، فحد الفعل ما دل على زمان والزمن أصل في الفعل فرع في الاسم، فالفعل للزمن مطلقاً والاسم يدل عليه بمعناه الذي خُصص له فقط⁽⁴⁾.

والزمن من الموضوعات الفعالة والمؤثرة في الفكر النحوي لما له من أبعاد زمانية كثيرة ولما له من أثر كبير في حيوية اللغة ونشاطها، وتحديدته في اللغة مشكلة مصطلحات، فهناك فرق بين استعمال مصطلح ما بمفرده و استعماله في واقع لغوي، وهذا ما أكده إبراهيم أنيس بقوله: «وليست العربية بدعا في ذلك بين اللغات، فلا بد أن يدل الزمان في أبنيتها الفعلية، غير أن الصعوبة في هذا الأمر أن أبنية الفعل لا تفصح عن الزمان كما تشير إلى ذلك مصطلحاتها»⁽⁵⁾. فهناك فرق كبير بين استعمال الفعل بمفرده واستعماله داخل السياق الذي يفرض عليه تحولا يفضي إلى تحقيق أغراض بيانية تزيد من قيمة توظيفه في أي نص لغوي. وفي هذا الصدد يقول إبراهيم السامرائي: «ومن هنا فإن الفعل العربي لا يفصح عن الزمن بصيغته وإنما يتحصل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تُعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة»⁽⁶⁾، وهذا يؤكد قول إبراهيم أنيس: «

(1) _ جامع البيان، الطبري، 686/18.

(2) _ الكتاب، سيبويه، 12/1.

(3) _ المفصل في علم العربية، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دراسة وتحقيق فخر صالح قدارة، دار عمار، الأردن، ط1، (1425هـ-2004م)، ص 243.

(4) _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 101.

(5) _ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 23.

(6) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط3، (1403-1983م)، ص 24.

الفصل الثالث.....(المفهوم الصرفي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية)

ولاشك أن ربط الصيغة بزمن معين: يحملنا في اللغة على كثير من التكلف والتعسف في فهم أساليبها ومن الواجب أن نفصل بينهما وأن ندرس أساليب الصيغ مستقلة عن الزمن دراسة لغوية لا منطقية لنذكر ما فيها من جمال وحسن...⁽¹⁾.

وقد فصل تمام حسان حين جعل الزمن نوعان: صرفي ونحوي فقال: «وأما معنى الزمن فإنه يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة. ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السياق، أن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل، لأن الفعل الذي على صيغة فعل قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل على الماضي»⁽²⁾.

ب-1 الفعل الماضي:

أشار النحويون إلى أن الزمن في اللغة ماض، ومضارع، وأمر. ونبدأ أولاً بالبحث عن الدلالة الزمانية للفعل الماضي في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم والتي سجلت تواتراً قدره 155 مرة.

والجدول رقم (10): يمثل تردد الأفعال الماضية ونسبة تواترها في كل حقل من الحقول الدلالية التي تمثل الأمثال القياسية الواردة في القرآن.

الحقل الدلالي نسبة التردد	وحدانية الله	القرآن	أصحاب الرسول	الإنفاق	الحياة الدنيا	الجنة	اليهود	المنافقون	الكافرون	المجموع الكلي
تردد الفعل	14	05	07	07	12	05	15	19	71	155
نسبة التردد%	35,89	22,72	63,63	38,88	52,17	71,42	57,69	67,85	52,98	50

أفرد معظم النحاة صيغة "فعل" للدلالة على الزمن الماضي وذلك باعتبار الوضع والأصالة أي أن "فعل" تدل في صيغتها الفردية على الماضي، وتتلون بألوان زمنية عندما تندرج في السياق أو

⁽¹⁾ _ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 172.

⁽²⁾ _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 104.

تعتبرها عوامل التبديل من زمن لزمان آخر، كأدوات النصب، والجزم، والشرط، وغيرها⁽¹⁾.

يعرف سيبويه الفعل الماضي، بقوله: «وأما بناء ما مضى: فذهب وسمع ومكث وحمد» ثم قال: «إن الفعل يتعدى إلى الزمان نحو قولك: ذهب، لأنه بني لما مضى منه وما لم يمض، فإذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قيل سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان»⁽²⁾. أما الزمخشري، فقال: «الفعل الماضي هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك»⁽³⁾.

وقال ابن الحاجب: «الفعل الماضي ما دل على زمن قبل زمانك»⁽⁴⁾. وفي هذا الصدد يقول إبراهيم السامرائي: «إننا نستطيع أن نقرر أن صيغة (فعل) وإن دلت دلالات عدة في الإعراب عن الزمان، فهي في أغلب الأحوال تدل على حدث أجز وتم في زمن ماض»⁽⁵⁾.

وينصرف الفعل الماضي إلى دلالات عدة تخرجه من الدلالة على الماضي إلى الدلالة على الحال والاستقبال بواسطة قرائن تساهم في تحديد الزمن هذا ما أكدته تمام حسان بقوله: «أن الزمن وظيفته في السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً، وإنما تختار الصيغة التي تتوافر لها الضمائم والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق، فلا يهم إن كان الزمن الماضي آتياً من صيغة "فعل" أو صيغة "يفعل" مادام يمكن بالتمييز بالضمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة أن تختار من بين الصيغتين أصلحهما للدلالة على المعنى الزمني المراد في سياق بعينه»⁽⁶⁾.

ومن المعاني التي تتضمنها صيغة فعل و ماشأها:

أ/ التعبير بالفعل الماضي عن الزمن الماضي:

اتفق النحاة العرب على أن صيغة الفعل الماضي وُضعت للدلالة على الزمن الماضي مطلقاً وهذا ما أكدته سيبويه بقوله: «فأما بناء ماضي فذهب وسمع ومكث وحمد»⁽⁷⁾.

(1) _ الزمن في القرآن، بكرى عبد الكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع، د.ت، ص50.

(2) _ الكتاب، سيبويه، 12/1، 35.

(3) _ المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص 244.

(4) _ شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين، 224/2.

(5) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص 24.

(6) _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 24.

(7) _ الكتاب، سيبويه، 12/1.

ومن الأفعال الماضية الواردة في الأمثال القياسية والدالة على الزمن الماضي مايلي:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

- قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ نُّوحٌ وَأَمْرَاتٌ لُوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: 10].

قال تعالى: ﴿كَرَزِعَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغَلَطَ فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ [سورة الفتح: 29].

فكل من الأفعال (خلقه، كفروا، كانتا، خانتا، أخرج، آزر، استغلط، استوى). كانت مُعبِرة عن الزمن الماضي ولم تخرج عنه إلى دلالة أخرى. فقد كانت في سياق سردٍ لأحداث وقعت أو أحداث وقعت متتالية فعبرت عن مدى التناسق الدقيق بينهما وهي كل من الأفعال (أخرج، آزر، استغلط، استوى).

فكل من هذه الأفعال تؤدي معنى قائما بذاته وإن المعنى لم يكتمل في حد ذاته إلا بعد استغراق مدة زمنية، وبعد انتهاء المدة يأخذ شكلا جديدا، وتعبر عنه لفظة جديدة وهكذا إلى أن يكتمل نهائيا، وفترة الزرع تبتدئ بأن يشطأ وتكتمل بأن يستوي على سوقه⁽¹⁾.

- ومن الأفعال الماضية التي جيء بها للتعبير عن الماضي:

- قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِجَدْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16].

- قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117].

إن التركيب (ما فعل)، من المعلوم أن "ما" النافية تنفي الفعل كما تنفي الاسم، تنفي الفعل المضارع كما تنفي الفعل الماضي، وهي عند ابن هشام تشابه "لم" في دلالتها على النفي والزمن الماضي⁽²⁾، وجاء في كتاب الجني الداني في حروف المعاني "أن": «"ما" النافية غير العاملة، إذا دخلت

(1) _ الإعجاز الفني في القرآن، عمر سلامي، ص 87.

(2) _ معني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6،

على الفعل الماضي بقي على مضيه»⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17].

ويستعمل بناء "فعل" مع الظرف "لما" في جملة وجد فيها حدثان وقعا في الماضي بحيث يتم الأول في اللحظة التي بدأ فيها الثاني نحو: لما جاءني أكرمته⁽²⁾ وبناء لما أضاءت في الآية جاءت للدلالة على الماضي.

-قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13].

و"إذ" من الظروف التي ينصرف مدخولها إلى الماضي وهو من البناء نفسه⁽³⁾. وهي مع الفعل "جاء" ساهمت في التعبير عن الزمن الماضي بالفعل الماضي ولم تحد عن الدلالة الزمانية الأصلية للصيغة (فعل).

ب/ التعبير بالماضي عن المستقبل:

ينصرف الفعل الماضي في بعض المواضع إلى الدلالة على المستقبل، ومن المواضع التي انصرف فيها الفعل الماضي إلى الدلالة على المستقبل في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم:

-قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتَ وَظَنَّتْ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قُلُدْرُونَ عَلَيْهَا أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: 24].

-قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا﴾ [النور: 38-40].

-وقوله عز شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73].

⁽¹⁾ _ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسين قاسم المرادي، تحقيق فخر الدينا قباوة، محمد ندم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1413هـ-1992م)، ص 329.

⁽²⁾ _ الفعل زمانه وأبنية، إبراهيم السامرائي، ص 27، الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 592.

⁽³⁾ _ الفعل زمانه وأبنية، إبراهيم السامرائي، ص 250.

-وقوله أيضا: ﴿ قَالُوا طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: 19].

إن المتأمل للآيات السابق ذكرها يجد تنوعا في التراكيب الفعلية بين: (إذا فعل، وإن فعل، ولو فعل). وكل هذه التراكيب دالة على الاستقبال. وفي هذا الصدد يقول إبراهيم السامرائي: «يستعمل بناء فعل للإعراب عن الزمان المستقبل وذلك في الظرف الشرطي إذا»⁽¹⁾.

ويقول بكرى عبد الكريم: « ينصرف فعل للاستقبال بدخول إن الشرطية ومع أغلب الأدوات التي تتضمن معناها»⁽²⁾. وجاء في كتاب الجنى الداني في حروف المعاني « أن لو الشرطية التي بمعنى "إن" تصرف الماضي إلى الاستقبال»⁽³⁾. فكل من "إذا" و"إن" و"لو" صرفت الأفعال (أخذت، جاءه، اجتمعوا ، ذكرتهم) على الترتيب من الدلالة على الماضي إلى الدلالة على المستقبل.

ج/ الدلالة على الماضي والاستقبال:

يحتمل الفعل الماضي في بعض الحالات الدلالة على الماضي والاستقبال بعد:

- حرف تحضيض⁽⁴⁾ نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

﴾ [الكهف: 39].

وفي هذه الآية يعود المؤمن على الكافر بالنصح والإرشاد بعد أن كشف له عن موقفه وأعلن ثباته على إيمانه فيقول له كما حكى القرآن عنه ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿ فلو أنصف الكافر نفسه لآمن بربه وسبح بحمده وأسند إليه أمره كله واعتمد على حوله وقوته عز وجل. وقد يكون المؤمن في قلة وفاقه والكافر في عزة ومنعة بالمال والرجال فيغير الله الحال وتدور الدائرة على من بغى وتكبر، ويسلبه الله أعز ما لديه ويجرمه أحوج ما يكون إليه هكذا يفعل الله بكل متكبر جبار، إنه قادر على أن يُعَوِّضَ الْمُؤْمِنَ فِي الآخرة أضعاف أضعاف ما فقدته في الدنيا⁽⁵⁾.

(1) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص 29.

(2) _ الزمن في القرآن، بكرى عبد الكريم، ص 54.

(3) _ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 272.

(4) _ الزمن في القرآن الكريم، بكرى عبد الكريم، ص 56.

(5) _ الأمثال القرآنية، دراسة تحليلية، محمد بكر إسماعيل، ص 167.

- مع كلاً: أما دلالتها على الاستقبال فتكون مع إفادة الشرط معها⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخَطِّفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: 20].

ب-2 الفعل المضارع:

يعرّف الفعل المضارع بأنه: «ما يدل على حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده»⁽²⁾.

وقد يخرج الفعل المضارع من الدلالة على الحاضر إلى الدلالة على الماضي أو الدلالة على المستقبل بحسب القرائن والأدوات، وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن يتبين لنا أن الفعل المضارع سجل نسبة تواتر قدرها 51,44% بتردد قدره 138 مرة.

والجدول التالي يبين نسبة تردد الفعل المضارع في كل حقل من الحقول الدلالية المتمثلة على الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم.

- الجدول رقم (11): يبين نسبة تردد الفعل المضارع في الأمثال القياسية.

المجموع الكلي	الكافرون	المنافقون	اليهود	الجنة	الحياة الدنيا	الإنفاق	أصحاب الرسول	القرآن	وحدانية الله	الحقل الدلالي / نسبة التردد
138	52	09	09	02	09	11	04	17	23	تردد الفعل
44,51	38,80	32,14	34,61	28,57	39,13	61,11	36,36	77,27	58,97	نسبة التردد %

قد انصرف الفعل المضارع في الأمثال القياسية للتعبير عن الماضي تارة وعن المستقبل تارة أخرى، وكما حافظ على دلالاته الأصلية في بعض المواضع، لعل أهمها:

1/ الدلالة على الحاضر:

تعبّر الصيغة (يفعل) في كثير من المواطن عن الحال إذا كانت مجردة من الأدوات الخاصة بالاستقبال. يقول إبراهيم السامرائي: «يأتي للإعراب عن حدث جرى وقوعه عند التكلم واستمر

(1) - الزمن في القرآن الكريم، بكرى عبد الكريم، ص 6.

(2) - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة ص 103، شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 24.

واقعا وهذا ما ندعوه الحال»⁽¹⁾. ومن بين الأدوات التي توضح هذه الدلالة: إذا الفجائية، يقول سيبويه: «وأما إذا فلما يستقبل من الدهر وفيها مجازاة وهي ظرف وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها وذلك قولك: مررت فإذا زيد قائم»⁽²⁾. وكذلك لام الابتداء تخلص يفعل للحال⁽³⁾. ومن بين الآيات التي تضمنت أفعالا مضارعة دالة على الحاضر:

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 261].

-وقوله أيضا: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 261].

2/ الدلالة على الاستقبال:

ينصرف الفعل المضارع من الدلالة على الحاضر إلى الدلالة على الاستقبال مع⁽⁴⁾:

-أدوات نصب المضارع: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ

وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران 116].

وقوله أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾

[الحج: 73].

وقوله أيضا: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: 41].

والملاحظ أن لن في الآيات السابقة صرفت الفعل المضارع بعدها إلى الاستقبال كما دلت على استحالة وقوع مدلولها (خلق الذباب، رد الماء الفائز، نفع المال والأولاد).

-أدوات النهي: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ

وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264].

(1) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص 32.

(2) _ الكتاب، سيبويه 232/4.

(3) _ شرح الشافية ابن الحاجب، رضي الدين، 277/2.

(4) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص 32، الزمن في القرآن الكريم، بكرى عبد الكريم، 66، 116، المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص 244، الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 270. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين 228/2.

-مع نون التوكيد: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجْدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 36].

وقوله أيضا: ﴿لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لِرَجْمِكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: 18].
فقد دلت كل من "لنرجمكم" و"لنمسنكم" على المستقبل وكانتا مؤكدين باللام والنون الثقيلة وهي تشير إلى القوة والعنف اللذين سيطرا على المكذبين لما جاء به المرسلون.

-أفعال الرجاء (عسى، لعل) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِصِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: 40].

وقوله أيضا: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25].

-أدوات النفي: (ما، لا) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

وقوله عز شأنه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 18].

-وقوله أيضا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل 76].

3/ الدلالة على الماضي:

تخرج "يفعل" من دلالة الحال أو المستقبل لتدل على الماضي وذلك بفضل سياقها واقتراها ببعض الأدوات، يقول إبراهيم السامرائي «قد يأتي بناء يفعل دالا على الماضي وذلك لقرينة ترشحه إلى الزمان الماضي»⁽¹⁾. ومن أهم الأدوات التي تصرف الفعل المضارع إلى الدلالة على الماضي مايلي:

-لم ولما:

يقول ابن فارس: «لم تنفي الفعل المستقبل وتنقل معناه إلى الماضي نحو "لم يقيم زيد" تريد "ما

⁽¹⁾ _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص 34.

قام زيد⁽¹⁾. ويرى بكري عبد الكريم: «أن يفعل مع "لم" تركيب يدل على الزمن الماضي ويستمر معناه إلى الحال»⁽²⁾. ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا الْجِنِّينِ ءَأَنْتَ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: 33].

- وقوله عز شأنه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: 5].

- وقوله عز شأنه: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الكهف: 43].

وقد يأتي "يفعل" مسبوقة ب"كان" للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في زمان ماضٍ، ومجيء كان إلى جوار الفعل يؤلف مركبا يؤدي هذا الفائدة نحو: كان النبي ﷺ يوصي بمعاملة الجار بالحسنى⁽³⁾، ومما ورد في الأمثال القياسية من هذا التركيب:

- قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 177].

- وقوله عز شأنه: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122].

- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41].

فقد دل التركيب (كان يفعل) في كل من (كانوا يظلمون) و(كانوا يعملون) (لو كانوا يعلمون) على أن صيغة يفعل جاءت دالة على الماضي تأكيدا لظلم المكذبين أنفسهم وهم لا يشعرون مع استمرارية هذا الفعل ذلك أن التركيب "كان يفعل" يدل على الماضي المستمر⁽⁴⁾.

كما تأتي صيغة يفعل مسبوقة بفعل المقاربة "كاد" فيفيد هذا التركيب خصوصا في القرآن الكريم اقتراب وقوع الفعل⁽⁵⁾. أو أن الحدث اقترب من الوقوع ولكنّه لم يقع كما تدل على شدة

(1) _ الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس. ص 168.

(2) _ الزمن في القرآن، بكري عبد الكريم ص 63.

(3) _ الفعل زمانه وأبنيته، ابراهيم السامرائي، ص 34.

(4) _ الزمن واللغة، مالك يوسف المطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 247.

(5) _ الزمن في القرآن، بكري عبد الكريم، ص 64.

قرب الفعل من الوقوع⁽¹⁾، ومما ورد في الأمثال القياسية من هذا التركيب:

-قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة:20].

إن الله ضرب الصيب لظاهر إيمان المنافق مثلاً، ومثل ما فيه من ظلمات بضالته وما فيه من ضياء برق بنور إيمانه واتقائه من الصواعق بتصيير أصابعه في أذنيه لضعف جنابه ونخب فؤاده من حلول عقوبة الله بساحته، ومشيئه في ضوء البرق باستقامة على نور إيمانه وقيامه في الظلام بحيرته في ضالته وارتكاسه في عمه⁽²⁾، فدل التركيب "يكاد يفعل" على قرب وقوع الفعل.

-قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: 35].

-قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: 40].

جاء في لسان العرب: «كاد تفيدي نفي الفعل وهي مجردة وتفيد وقوع الفعل عندما تكون مقرونة بالحجد»⁽³⁾. وأما كاد عند الجرجاني فهي «دالة على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى أنه شارف الوجود فإذا وجدت قرينة دالة على وقوع الفعل كانت إشارة إلى أنه لم يقع إلا بعد الجهد وهو أن كان بعيدا في الظن أن يقع»⁽⁴⁾، وأشار ابن عاشور إلى أن «ما كاد يفعل يقتضي بحسب الوضع نفي مدلول كاد لأن مدلولها المقاربة ونفي مقاربة الفعل يقتضي عدم وقوعه»⁽⁵⁾.

فشبهت أعمال الكفار بالظلمة في حيلولتها بين القلب وما يهتدي إليه فإذا أخرج الكافر يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لم يكدرها وهي أقرب شيء إليه⁽⁶⁾، والمعنى انتفاء مقاربة الرؤية ويلزم من ذلك انتفاء الرؤية ضرورة⁽⁷⁾.

ب-3- فعل الأمر:

يشكل الزمن أحد أهم دعامتين في هيكل الفعل إلى جانب الحدث الذي يجري وينبسط فيه

(1) _الزمن واللغة، مالك يوسف المطلبي، ص 243

(2) _جامع البيان، الطبري، 373/1.

(3) _لسان العرب، ابن منظور، 282/3.

(4) _دلائل الإعجاز، الجرجاني، 312، 313.

(5) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 539/1.

(6) _روح المعاني، الألوسي، 375/9.

(7) _البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 54/8.

فلا يكاد الفعل يأتي في الجملة إلا والزمن جزؤه ومعناه⁽¹⁾.

واتفق النحاة البصريون والكوفيون على عد صيغة (فعل) و(يفعل) دالة على الزمن ولكنهم اختلفوا في صيغة (افعل)، فذهب الكوفيون على أن أصول الفعل: الماضي والمضارع فقط، أما الأمر فهو مقتطع من المضارع إذ أصل (افعل) ليفعل كأمر الغائب ولما كان أمر المخاطب أكثر على ألسنتهم استقلوا مجيء اللام فيه فحذفوها مع حرف المضارع طلبا للتخفيف مع كثرة الاستعمال. وذهب البصريون إلى أن الأمر أصل برأسه وما ذكر في أصله فهو ممنوع⁽²⁾.

ويرى إبراهيم السامرائي: «أن النحاة الكوفيين كانوا على حق عندما أبعدوا الأمر أن يكون قسيما للماضي والمضارع لأن فعل الأمر طلب وهو حدث كسائر الأحداث غير أن دلالة الزمنية غير واضحة لأن الحدث فيه غير واقع إلا بعد زمان التكلم وربما لم يترتب على هذا الطلب وقوع حدث من الأحداث»⁽³⁾.

ويشاطر مهدي المخزومي السامرائي الرأي، فهو يرى بأن: «الفعل يتميز بشيئين أولهما: أنه مقترن بالدلالة على الزمان، وثانيهما أنه يبني على المسند إليه ويحمل عليه وبناء وافعل خلو من هاتين الميزتين، فلا دلالة له على الزمان بصيغته ولا إسناد فيه. أما كونه خلوا من الزمن فلأن المدلول عليه بالفعل هو الزمن الذي يتلبس فيه الفاعل بالفعل ودلالة له على شيء من هذا إن الذي يدل عليه هو طلب الفعل فحسب، فليس هناك من فعل ولا زمان يتلبس فيه الفاعل بالفعل»⁽⁴⁾.

و رد عبد الجبار توأمة على ما ذهب إليه المخزومي من عدّ فعل الأمر غير محتوي على زمان يتلبس فيه ومسند يحمل عليه، فقال بأنه غير صحيح لأنه جاء في الاستعمال الفصيح أن صيغة افعل مقترنة بالزمان مقيدة بالظروف كقوله تعالى: ﴿فَأَلْكَنَ بِشْرُوهُنَّ﴾ [البقرة: 187]. وأما إسنادها فهو موجود بدليل اقترانها بالضمائر واختلاف ذلك بحسب الأشخاص المخاطبين كافعلي وافعلوا وافعلن⁽⁵⁾.

(1) _ زمن الفعل في اللغة العربية، عبد الجبار توأمة، قرائنة وجهاته دراسات في النحو العربي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 2.

(2) _ همع الموامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تعليق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوظيفية، مصر، د ت، 45/1.

(3) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص 21.

(4) _ في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، (1406هـ-1986م)، ص 120.

(5) _ زمن الفعل في اللغة العربية، عبد الجبار توأمة، ص 6.

الفصل الثالث.....المثون الصرني وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

وذكر عبد الجبار تومة في موضع آخر: «أن النحويين اتفقوا على أن زمن الأمر هو المستقبل»⁽¹⁾، ولخصّ القضية بكري عبد الكريم، بقوله: «أن زمن "افعل" يحدده السياق والقرائن الزمنية التي تصحبه»⁽²⁾.

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن يتبين لنا أن فعل الأمر كان أقل الأفعال تواترا وحضورا إذ بلغت نسبة تردده 80, 5% بتواتر قدره 17 مرة.

الجدول رقم (12): يوضح نسبة تردد فعل الأمر في كل حقل دلالي.

الحقل الدلالي	وحدانية الله	القرآن	أصحاب الرسول	الإنفاق	الحياة الدنيا	الجنة	اليهود	المنافقون	الكافرون	المجموع الكلي
تردد الفعل	2	00	00	00	02	00	02	00	11	17
نسبة التردد%	5,12	00	00	00	8,69	00	7,69	00	8,20	5,80

ومن أهم المواضع التي سجل فيها فعل الأمر حضوره ليتوافق مع مقام وسياق الآيات بصفة خاصة والأمثال القياسية التي تضمنها بصفة عامة.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يس 20-21].

-قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

-وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: 175].

-وقوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: 20].

وقوله عز وشأنه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَاتٍ فَرَعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي

⁽¹⁾ -زمن الفعل في اللغة العربية، عبد الجبار تومة، ص 34.

⁽²⁾ -الزمن في القرآن الكريم، بكري عبد الكريم، ص 78.

عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ [التحریم: 11].

إن كل من أفعال الأمر الواردة في الآيات السابقة الذكر تتوافق والسياق والمقام الواردة فيه فتكرار الفعل "اتبعوا" في سورة يس دل على وجوب إبلاغ دعوة الحق والهداية إلى سبيل الرشاد لما كان لأهل القرية من تكذيب للرسول وعناد وإصرار.

أما فعل الأمر "كن" فجاء بيانا وتأكيدا لقدرة الله في خلقه. ويعني جل ثناؤه في ذلك المثل إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل، فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران - عندي كشبه آدم الذي خلقته من تراب ثم قلت له كن فيكن من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى كان بقولي وأمري إذا أمرته أن يكون فكان، فكذلك خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان⁽¹⁾.

جاء فعل الأمر "اتل" مناسبا لمقام التحذير من انشغال الإنسان عن القرآن، وترك تلاوته والتدبر فيه، وعدم العمل به. وأما الفعل "اعلموا" فكان هو الآخر محذرا من انشغال الناس عن الآخرة واغترارهم بالدنيا.

ج- البناء للمعلوم والبناء للمجهول:

إن ثراء أية لغة بالأفعال المبنية للمجهول دليل على رقيها وحيويتها لما تؤديه هذه الأفعال من أغراض تعبيرية دقيقة يحتاج إليها الإنسان في تطور حياته وبالمقابل فإن قلة هذه الأفعال أو انعدامها أو انحسارها دليل فقر وتراجع⁽²⁾.

وجاء في الكتاب لسببويه: « هذا باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولا تعدى فعله إلى مفعول آخر، فالفاعل والمفعول في هذا سواء يرفع المفعول كما يرفع الفاعل لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل»⁽³⁾.

ويعرّف الزمخشري الفعل المبني للمفعول بقوله: « هو ما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه معدولا عن صيغة (فَعَلَ) إلى (فُعِلَ) ويسمى فعل ما لم يسم فاعله»⁽⁴⁾.

(1) _جامع البيان، الطبري، 467/6.

(2) _الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية أهميته مصطلحاته وأغراضه، عبد الفتاح محمد، مجلة جامعة دمشق، مجلد 22، العدد 1، 2006، ص5.

(3) _الكتاب، سببويه، 14/1.

(4) _ المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص 259.

وأما ابن جني فذهب إلى أن الفعل إذا بني للمفعول لم يلزم أن يكون للجهل بالفاعل، بل ليعلم أن الفعل قد وقع به، فيكون المعنى هذا لا ذكر للفاعل. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿النساء: 28﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37] وهذا مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ [ق: 16]، وقال أيضا: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [علق: 2]، والغرض في نحو هذا معروف الفاعل إذا بُني للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به فحسب وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه⁽¹⁾.

وبناء "فعل" أي ما يسمى بالجهول بناء كسائر أبنية الفعل يصار إليه في حالات عدة، وذلك إذا وقع الفعل على الفاعل واتصف به وهو بذلك كأنه صادر منه⁽²⁾. فصيح المبني للجهول تلاشت أو كادت تلاشى في لهجات العامة ونابت عنها صيغة "انفعل" وهذا ما أكده إبراهيم السامرائي بقوله: «من المفيد أن نشير أن المبني للجهول لم يبق منه شيء في لهجاتنا العربية الدارجة، وقد عدل عنه إلى ما يسمى بالمطواع، فيقال (انهمز) ولا يقال (هزم) ويقال (انكسر) ولا يقال (كسر)⁽³⁾».

و استعملت في القرآن الكريم بعض الأفعال التي طوي ذكر فاعليها للجهل بهم. والاهتداء إلى هذا النوع من الأفعال لا يكون إلا بقريظة تبين أن الجهل بالفاعل قد يكون من المتكلم، كحال بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِي إِلَهُكَ﴾ [النمل: 29]. وقد يكون من السامع وحده، وهذا ما لوحظ في الأفعال التي جاءت على (فعل) وكانت في صفة اليوم الآخر وأحداثه⁽⁴⁾. وتقدير الفاعل المحذوف في بعض التراكيب موجب للحيرة والتردد خاصة وأثناء التعامل مع القرآن الكريم الذي لا مجال فيه للتأول، لأنه كلام الله ولا بد فيه من الدقة والحذر في استنباط أغراض تغييب الفاعل في مواضع وذكره صريحا، أو مضمرا، أو مؤولا في مواضع أخرى، ولا تكاد تخفى حيرة المفسرين في تقدير الفاعل في الأفعال المبينة للجهول وخير دليل على ذلك تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿قَالِقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ [الشعراء: 46] فقال: «فإن قلت فاعل الإلقاء ما هو لو طرح؟ قلت: هو الله عز وجل لما خوّلهم من التوفيق أو إيمانهم بما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ألا تقدر فاعلا لأن ألقوا

(1) _ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، 1420هـ-1999م، 1/135.

(2) _ الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم فاضل السامرائي، ص 94.

(3) _ المرجع نفسه، ص 97.

(4) _ الفعل المبني للجهول في اللغة العربية، عبد الفتاح محمد، ص 34.

بمعنى خروا وسقطوا⁽¹⁾.

وقد ذكر النحاة الأغراض المتعددة التي يخرج إليها استعمال الفعل المبني للمجهول أو تغييب الفاعل، فقال ابن الأنباري: «إذا قال قائل لم لَمْ يسم الفاعل قيل لأن الغاية قد تكون بذكر المفعول كما تكون بذكر الفاعل وقد يكون للجهل بالفاعل وقد يكون للإيجاز والاختصار إلى غير ذلك»⁽²⁾.

وجاء في شرح قطر الندى وبل الصدى⁽³⁾: «يُحذف الفاعل إما للجهل به أو لغرض لفظي أو معنوي، فالأول كقولك: سُرِقَ المتاع، والثاني كقولهم: " من طابت سريرته حَمَدت سيرته " فإنه لو قيل حَمَدَ الناس سيرته اختلفت السجعة، والثالث كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا﴾ [المجادلة: 11]

وفصل السيوطي في الأغراض في كتابه همع الهوامع، فذكر أغراضا أخرى فقال: « ويجذف الفاعل لغرض، كعلم، وجهل، وضعة، ورفع، وخوف، وإيهام، ووزن، وسجع، وإيجاز، فينوب عنه المفعول به...»⁽⁴⁾.

وقد يحذف الفاعل، لأنه لا يتعلق غرض بذكره، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا أَسْتَيْسِرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: 196]. فإنه لا يتعلق غرض بذكر المحصر. إذا لو ذكر فاعلا بعينه لتوهم أن هذا الحكم مختص بهذا الفاعل دون غيره، أو كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: 264].

فإن الحكم لا يتغير بتغير المخرج، وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَتَّزُّنُ أَلْبَعَى مَاءِكِ وَيَسْمَأُ أَقْلَعِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: 44] فإن في ستره تعظيما للفاعل الذي يأمر السماء والأرض من وراء حجاب فيطاع⁽⁵⁾.

(1) _ الكشاف، الزمخشري، 113/3.

(2) _ أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، دار الجليل، بيروت، (1995م)، ص 95.

(3) _ شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط11، (1383هـ)، القاهرة، ص 186.

(4) _ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحميد هندواوي، المكتبة الوقفية، مصر، د.ت، 583/1.

(5) _ معاني النحو، صاح فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفكر، عمان، ط1 (1420-2000م)،

من خلال إحصاء الأفعال الواردة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم بناء على الحالة الفعلية للفعل من حيث بناءه للمعلوم وبناءه للمجهول، تبين أن الفعل المبني للمعلوم كان أوفر حظا وسجل نسبة بلغت 77, 96 % بتواتر قدره (300 مرة) أما الفعل المبني للمجهول فكان أقل ترددا بكثير إذ لم يرد إلا في عشرة مواضع بنسبة بلغت 22, 3 % ويمكن تفسير ذلك بأن:

1- الفاعل في غالبية الأفعال المبنية للمعلوم هو "الله" ظاهرا أو مضمرا ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِتَارًا قَحْشًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: 75].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَاتٍ فَرَعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: 11].

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]

فذكر الفاعل وعدم تغييبه يتناسب والحدث المذكور وعظمة المحدث سبحانه وتعالى، وكما تناسب مع سرد الأحداث في بعض المواضع من الأمثال القياسية المذكورة سابقا، و كان دالا على صدق الأخبار كيف لا ومصدرها المولى عز شأنه، وهذا ما يبعث في النفس راحة واطمئنان لما تضمنته من أخبار صادقة، ومواعظ، وحكم.

2/تغيب الفاعل في بعض المواضع من الأمثال القياسية له دلالات وإيحاءات تختلف من موضع لآخر يحددها السياق العام، ومن أمثلة ذلك:

-قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73].

وقد فصل ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية فقال: «... وبني فعل "ضرب" بصيغة النائب فلم يذكر له فاعل بعكس ما في المواضع الأخرى التي صرح فيها بفاعل ضرب المثل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: 26] و ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾

[النحل: 75]. وقوله ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ [الزمر: 29]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [النحل: 76] إذا أسند في تلك المواضع وغيرها ضرب المثل إلى الله ونحو قوله ﴿فَلَا تَصْرِيحُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: 47] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: 78] إذا أسند الضرب إلى المشركين، لأن المقصود هنا نسج التركيب على إنجاز صالح لإفادة احتماليين:

-أحدهما: أن يُقدر الفاعل "الله" تعالى وأن يكون المثل تشبيها تمثيلا، أي أوضح الله تمثيلا يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات كما هو مشاهد لكل أحد.
-والثاني: أن يقدر الفاعل "المشركين" ويكون المثل بمعنى المماثل أي جعلوا أصنامهم مماثلة لله تعالى في الإلهية⁽¹⁾.

ب/- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الرعد: 35].

وقوله أيضا: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد 15].

إن حذف الفاعل في الفعل «وعد» كان لوضوح الفاعل وظهوره وهو "الله" عز وجل.

ج- وتغيب الفاعل في بعض المواضع دعوة صريحة إلى التركيز على الحدث دون المحدث، ومن أبرز تلك المواضع في الأمثال القياسية مايلي:

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: 5]. فالصورة التي يصورها

لنا هذا المثل تجسد حملة التوراة وهم اليهود يدعون العلم ولا يفقهون ما بالتوراة، وبالتوراة تبشير بالرسول محمد ﷺ، وتجسيد لصفاته وإذا جوها بحقيقة ذلك، تنكروا وادعوا أنهم أعلم من غيرهم... وصيغة "حملوا" المبنية للمجهول والمشددة الميم تشعر بأنهم حملوا التوراة عن ثقل في أرواحهم ونفوسهم « وهذا تعبير صادق عن نفوس اليهود المخزي»⁽²⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: 42].

ومعنى "أحيط بثمره" أي أهلك ماله كله، وهذا أول ما حقق الله تعالى به إنذار أخيه⁽³⁾.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور 244/17.

(2) _ الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، ص 148.

(3) _ تفسير القرطبي، 410/10.

فحذف الفاعل هنا كان تنبيها للتركيز على الحدث دون المحدث، ولما حل بالكافر من هلاك ماله وإبادة جنته بأسرها.

-قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كِمَّةٍ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

قال الضحاك: «ضرب الله مثلا للكافر شجرة اجتنت من فوق الأرض ما لها من قرار. يقول ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة، كذلك الكافر لا يعمل خيرا ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة». وقال ابن عباس «ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الكافر اجتنت من فوق الأرض ما لها من قرار يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يقبل الله مع الشرك عملا فلا يقبل عمل المشرك ولا يصعد إلى الله فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء»⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ [النور: 35]، فحذف الفاعل هنا دليل على ما ملأ قلب المؤمن من إيمان. وقال الطبري: «فمثل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة والمشكاة صدره، (وفيها مصباح) والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره (المصباح في زجاجة) قال الزجاج: قلبه ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ﴾ قال، فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري يوقد أي مضيء»⁽²⁾. فبناء الفعل "يوقد" للمجهول جاء تركيزا على الحدث و تأكيدا على امتلاء قلب المؤمن بنور الإيمان والقرآن.

2-1 المصدر:

يعد المصدر من بين المسائل اللغوية التي شغلت اهتمام النحاة اللغويين قدماء، ومحدثين، فعرفوا المصدر، ووقفوا على أنواعه ومبانيه، ومن أهم تعريفاتهم للمصدر: «أنه اللفظ الدال على حدث مجردا من الزمن متضمنا أحرف فعله تحقيقا أو تقديرا»⁽³⁾.

والمقصود من تقديرا أنه في بعض الأحيان تنقص بنية المصدر عن بنية الفعل، نحو: ناضل نضالا، وجاهد جهادا، فقد سقطت من المصدر الألف الواقعة بعد فاء الفعل. ويقرر التصريفيون أنها

(1) _ التفسير القيم، ابن القيم، 4/2.

(2) _ جامع البيان، الطبري، 181/19.

(3) _ تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 172. وانظر معاني الأبنية السامرائي، ص 17 وما بعدها.

مقدرة فيه تقديرا، وأن الأصل نيزالا وقد قلبت الألف في الفعلين ياء لسكونها وانكسار ما قبلها⁽¹⁾.

فالمصدر هو الحدث المجرد ويستعمل أحيانا استعمال الفعل، فيكون له فاعل ومفعول به،

كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البلد: 14-15]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ [البقرة: 54].

ويؤتي بالمصدر الصريح لإرادة الحدث وحده دون إرادة صاحبة، أو إرادة زمنه، نحو قوله

تعالى: ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 1] فإنه يراد بالحمد مجرد الحدث، لا صاحبه، ولا زمنه⁽²⁾.

ودلالة المصدر على الحدث دلالة عرفية ذاتية وليست حرفية. بمعنى أن المصدر اسم للحدث، وليس لصيغته وشكله أية دلالة. لذلك فهو يدل على حدث مجرد عن الزمان، والمكان، والفاعل والعدد، والجنس، فالمصدر "ضرب" لا يدل إلا على الحدث المعروف، ذلك انه لا يدل على زمن وقوعه في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ومكانه أين وقع ولا فاعله- من قام به -ولا عدد الضارين ولا على جنسه أذكر هو أم أنثى يضاف إلى ذلك أن الحدث عملية ذهنية لا تدرك بالحواس⁽³⁾.

ويتسم المصدر بأنه غير محدد النوع والماهية والكمية، وحين يدخل مضمار التراكيب، فإنه يشير إلى دلالات التوكيد، والنوع، والعدد، ويختلف المصدر عن الفعل في:

أ- كون المصدر حدث مجرد من الزمان، والفعل حدث مقترن بزمان معين.

ب- المصدر اسم مبهم يقع على الأحداث، يقع على القليل والكثير، والفعل حدث بلفظه.

ج- المصدر يعرف بـ "أل". والفعل لا يعرف.

د- المصدر ينون ويضاف. والفعل لا ينون، ولا يضاف.

ه- المصدر يثنى ويجمع ويصغر وينسب إليه. والفعل غير ذلك⁽⁴⁾.

وعليه فالمصدر ما دل على حدث مجرد من الزمن، بخلاف الفعل الذي يحمل الدلالة على

(1) _ تصنيف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 172.

(2) _ معاني النحو فاضل صالح السامرائي، 146، 147/3.

(3) _ تصنيف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 174.

(4) _ الصرف الوافي هاد نهر دار دروب، النشر والتوزيع، ط 2011، ص 67.

الحدث والزمن معا. كما تسلك المصادر سلوك الأسماء في التعريف، والتنوين، والإسناد، وغيرها من العلامات التي تميز الاسم عن الفعل.

و من خلال ترصدنا لأبنية المصادر في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم تبين أن أكثر أبنية المصدر تعود إلى الثلاثي فهو الأوفر حظا. ولعل السبب ما ذكره السيوطي في قوله « الثلاثي أكثرها استعمالا وأعد لها تركيبا وذلك لأنه حرف بيتدأ به، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه»⁽¹⁾، وتليها أبنية الثلاثي المزيد بحرف أو حرفين ثم تليها أبنية الرباعي المجرد.

وقد كانت أبنية الثلاثي المجرد أكثر الأبنية تواتر، ويعود سبب كثرتها إلى أنها أخف الأبنية، فقد وردت 13 مرة وكانت أبنيتها (فَعَلٌ، فَعَلٌ، فَعِلٌ، فَعَالٌ، فَعَلَةٌ، فِعْلٌ، فِعَالٌ، فِعَالَةٌ، فُعْلَانٌ، فُعَالٌ، فُعْلَانٌ، فُعُولٌ). وكانت الغلبة في هذه الأبنية كلها إلى بناء (فَعَلٌ) الذي ورد 17 سبعة عشر مرة ويليهما بناء (فَعَلٌ) بتواتر قدره خمس (5) مرات والجدول الآتي يوضح عدد مرات ورود كل بنية.

⁽¹⁾ _ الأشباه و النظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1985، 1م،

الجدول رقم (13): يبين أبنية المصادر في الأمثال القياسية في القرآن الكريم

فُعُول	فُعْلَان	فُعَال	فُعَل	فِعْلَان	فِعَالَة	فِعَال	فِعَل	فِعَالَة	فِعَال	فِعَل	فَعْلُ	فَعَل
سجود	طغيان	دعاء	هدى	رضوا ن	تجارة	نداء	رزق	الولاية	ضلال	لعب	حذر	الموت
عرور						رثاء حساب			قرار نبات		الأذى الهوى القصص الطلب	السمع المن الحرث الرعد البرق السوء الحسن الجهد الحمد الحق عمل الهو الأجر العدل الغور المفضل
2	1	1	1	1	1	3	1	1	4	1	5	17

- من بين نماذج مصادر الفعل الثلاثي المجرد ودلالاتها الواردة على بناء (فعل) المصادر التالية:

1- "الجهر" في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آرِزْقًا

حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴿[النحل: 75]. وأصل الجهر: الظهور⁽¹⁾، وهو في اللغة وكما جاء في مقاييس اللغة: «الجيم والهاء والراء أصل واحد وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه، يقال جهرت بالكلام أعلنت به»⁽²⁾.

والجهر مصدر سماعي للفعال جهر يجهر باب فتح وزنه فعل بفتح فسكون⁽³⁾. قال ابن القيم: «هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه وللأوثان. فالله هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبده سرا وجهرا ليلا ونهارا. يمينه ملاءه لا ينقصها نفقة سحاء الليل والنهار. والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف يجعلونها شركاء لله ويعبدونها من دونه مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين، هذا قول مجاهد وغيره»⁽⁴⁾.

فالجهر إعلان وإظهار للنفقة، ولا يستوى من ينفق سرا وجهرا، ومن لا ينفق، ولا يقدر على شيء.

2- "المن" في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264].

والمن لغة من الفعل "منن" والميم والنون أصلان أحدهما يدل على قطع وانقطاع والآخر على اصطناع خير⁽⁵⁾ والمن مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع قال تعالى: ﴿وَوَدَّعَيْنَا لَكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 57] والمن ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتفريع بها، وقال بعضهم المن: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطي فيؤذيه.

والمن من الكبائر وقد نهي المولى عز وجل عن المن والأذى، ذلك أن الأذى هو السب والتشكي، وهو أعم من المن لأن المن جزء من الأذى، وإنما يكون المن في الإنفاق في سبيل الله بالتناول على المسلمين والرياء بالإنفاق⁽⁶⁾. فالمن مذموم لأنه ذكر للمنة للمنع عليه على سبيل

(1) _ النكت والعيون، الماوردي، 123/1.

(2) _ مقاييس اللغة، ابن فارس، 487/1.

(3) _ الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، ط4، (1418)، 222/6.

(4) _ أعلام الموقعين ابن القيم، 160/1-161.

(5) _ مقاييس اللغة، ابن فارس، 267/5.

(6) _ تفسير القرطبي، 406/1، 308/3، التحرير والتنوير ابن عاشور 514/2.

الفخر عليه بذلك والاعتداد عليه بإحسانه⁽¹⁾.

3/- "الحرث" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ

أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾ [آل عمران: 117].

والحرث أصله مصدر حرث الأرض إذا شقها بآلة ليزرع فيها أو يغرس. وأطلق هذا المصدر على المحروث وصار يطلق على الجنات، والحوائط، وحقول الزرع⁽²⁾، وقد جاء ذكر الحرث في هذا المثل الذي ضربه الله لنفقة الكافرين في بطلائها، وذاهبها، وعدم منفعتها، كما مثل زرع أصابه ريح باردة أو نار محرقة، فأحرقته وأهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء بعدما كانوا يرجون فائدته ونفعه، وقدمت الريح على الحرث لأنها مثل للعذاب. وقد ذكرها المولى عز وجل في سياق الوعيد والتهديد⁽³⁾. فقد دلّ هلاك الحرث على بطلان العمل الصالح بالشرك، فلن يغني المال عن المرء الجاحد الكافر.

ومن نماذج مصادر الفعل الثلاثي الجرد الوارد على بناء فعل المصادر التالية:

- "الحذر" في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة 19].

يدل الحذر على التحرز والتهيؤ، حذر، يحذر، حذرا، فهو حاذر وحذِر أي مُتَيَقِّظ من الخوف والحذر والحذر: الخيفة⁽⁴⁾، والحذر شدة الخوف، ويأتي بمعنى اجتناب الشيء خوفا منه⁽⁵⁾.

ويدل المصدر "حذر" هنا على شدة الجبن في تمثل الموت للكافرين وإحساسهم بكمونه في كل موقف، وتمسكهم الشديد بما يظنون به حياة، وهو البقاء على الكفر والنفاق، وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وإسناد الإحاطة إلى اسم الجلالة المفخم فيه من الجلال، والرغبة، وتهديد الكافر بسعة علمه، وهول عذابه⁽⁶⁾. ففي "حذر" وصف للمنافقين بالخوف، والهلع، وضعف القلوب، والجبن فهم في حال من الرعب، والذعر من قوارع القرآن، وزواجه لا مثيل لها.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 226/2.

(2) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 41/3.

(3) _ تفسير القرطبي 178/4، الكشاف الزمخشري، 405/1.

(4) _ مقاييس اللغة، ابن فارس، 37/2، لسان العرب، ابن منظور 45/2.

(5) _ الكليات، أبو البقاء الكفوي، 409.

(6) _ التصوير البياني في آيات الأمن والخوف، زينب عبد اللطيف الكردي، دار غراس، (1429هـ، 2008 م)، ص 239.

- "الهوى" في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الأعراف 176]

عرّف ابن فارس الهوى بقوله: «الهوى هوى النفس. وهو خال من كل خير ويهوى بصاحبه فيما لا ينبغي»⁽¹⁾. والهوى مصدر اللذة والشهوة. ولذلك يختص بالآراء، والأفكار، والاعتقادات، وهو مذموم دائماً، لأنه يهوي بصاحبه⁽²⁾.

من بين نماذج مصادر الفعل الثلاثي المجرد الوارد على بناء (فَعَال) المصادر التالية:

- "ضلال" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ

عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 1]

والضلال في اللغة: ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، وكل جائر عن القصد ضال⁽³⁾. وأصل الضلال الغيبوبة، يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب وضل الكافر إذا غاب عن الحجة وظل الناس إذا غاب عنه حفظه⁽⁴⁾. وجاء في الكلبيات أن الضلال كل عدول عن النهج عمداً أو سهواً قليلاً كان وكثيراً⁽⁵⁾. والضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق⁽⁶⁾. ووصف الضلال هنا ب"البعيد" إشارة إلى بعد ضلالهم (الكفار) عن طريق الحق.

- "قرار" في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ

قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26].

جاء في مقاييس اللغة قر: القاف والراء أصلان صحيحان يدل أحدهما على برد والآخر على تمكن وقرار هنا من التمكن، قررت بالمكان اقر قرارا وقررت أقر قرارا من الثبات⁽⁷⁾ وفي قوله تعالى:

﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ وجهان:

أحدهما: ما لها من أصل.

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، 16/6.

(2) معجم الفروق الدلالية، محمد داوود، 307.

(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، 356/3.

(4) لسان العرب، ابن منظور 390/11.

(5) الكلبيات، أبو البقاء الكفوي، ص 984.

(6) تفسير القرطبي، 150/1، الكشاف، الزمخشري، 547/2.

(7) مقاييس اللغة، ابن فارس، 7/5، لسان العرب، ابن منظور، 82/5.

الثاني: ما لها من ثبات. وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى ولا ثمر يجتنى أن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى، ولا ذكر في السماء يرقى⁽¹⁾. وفي قوله تعالى: « اجتثت من فوق الأرض» وهذا تأكيد آخر على أن هذه الشجرة لم يكن لها قرار في الأرض أصلاً. وقد نفى المولى عز وجل أن تكون شجرة لها أصل. وهذا حال كلمة الكفر. وهي كلمة خبيثة لا تأتي بخير ولا بحق.

ومن بين نماذج مصادر الفعل الثلاثي الجرد الوارد على بناء فُعول المصادر التالية:

- "السجود" في قوله تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح 29]

وأصل السجود في اللغة ما دل على تطامن وذل، وسجد يسجد سجوداً وضع جبهته بالأرض⁽²⁾. والسجود في كلام العرب التذلل، والخضوع، والانقياد، وحقيقة السجود طائفة الجسد أو إيقاعه على الأرض بقصد التعظيم⁽³⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿أَثَرِ السُّجُودِ﴾ ثلاثة وجوه:

-الأول: أنها أثر محسوس للسجود.

-الثاني: أنها من الأثر النفسي للسجود.

-الثالث: أنها أثر يظهر في وجوههم يوم القيامة⁽⁴⁾ وليس المراد أنهم يتكلفون حدوث ذلك في وجوههم، فلا حرج على من حصل له ذلك إذا لم يتكلفه ولم يقصد به رياء⁽⁵⁾.

فقد بين (السجود) وما يتركه من أثر ما كان عليه رسول الله وأصحابه من أخلاق، وصفات ترفع وتعلي من شأنهم، وتدعو إلى التأسى بهم والافتداء بما يفعلونه طلباً لرضوان المولى عز وجل.

ومن نماذج مصادر الفعل الثلاثي المزيد بحرفين المصادر التالية:

- "تثيبت" على بناء "تفعيل" وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: 265]

(1) _النكت والعيون، الماوردي 135/3، التحرير والتنوير، ابن عاشور، 250/12.

(2) _مقاييس اللغة، ابن فارس 133/3، لسان العرب، ابن منظور 204/3.

(3) _تفسير القرطبي 293/1، التحرير والتنوير، ابن عاشور 407/1.

(4) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 173/26-174.

(5) _المرجع نفسه، 174/26.

والمصدر تثبينا قياسي وزنه تفعيل⁽¹⁾، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَتَثْبِينًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ تثبينا على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقا من قول القائل ثبت فلانا في هذا الأمر إذ صححت عزمه وحققته وقويت فيه رأيه، وتثبينا معناه تصديقا وبقينا. لأن تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله بخلاف المنافق الذي لا يحتسب الثواب⁽²⁾. فالتثبيت من أنفس القوم تصديق بوعد الله تعالى لهم بخلاف المنافقين الذين لا يحتسبون الثواب.

- "تكاثر" و"تفاخر" على بناء تفاعل وقد وردا في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ﴾ [الحديد: 20].

والتفاخر هو التعاضم والتكاثر خلاف القلة⁽³⁾. والتكاثر التباري في الإكثار من شيء مرغوب في كثرته، فمنه تكاثر في الأموال ومنه تكاثر في العدد من الأولاد، والأحلاف، والاعتزاز بهم⁽⁴⁾. يقول تعالى ذكره: «اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم ما هو إلا لعب ولهو تتفكهون به وزينة تترينون بها وتفاخر بينكن، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياستها ويباهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد (كمثل غيث) وذلك مطر (أعجب الكفار نباته ثم يهيج) ثم يبس ذلك النبات (فتراه مصفرا) بعد أن كان أخضر نظرا، ثم يكون ذلك النبات حطاما يابساً متهشما، وفي الآخر عذاب شديد للكفار، ومغفرة من الله، ورضوان لأهل الإيمان بالله ورسوله»⁽⁵⁾.

فقد دلّ كل من "تفاخر" و"تكاثر" على اغترار الإنسان بالحياة الدنيا، وتعلق قلبه بها، وانشغاله عن الآخرة، والسعي في كسب الكثير من الأموال، والأولاد، والأحلاف، والاعترار بهم، ومآل هذا كله في الآخرة، إما عذاب شديد، وإما مغفرة ورضوان من الله.

2-2-أبينة المشتقات و دلالاتها:

تتسم اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية تتميز بشاء مفرداتها وتنوع صيغها، والفضل في هذا يعود إلى الاشتقاق الذي يعد من العوامل التي بها نمت العربية، وتكاثرت مفرداتها، وتولدت صيغ متعددة

(1) _ الجدول في إعراب القرآن، صافي، 52/3.

(2) _ تفسير القرطبي 315/3.

(3) _ مقاييس اللغة، ابن فارس، 408/4، لسان العرب، ابن منظور، 48/5.

(4) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 457/30.

(5) _ جامع البيان، الطبري، 416/22.

تؤدي دلالات وإيحاءات مختلفة . والاشتقاق هو «أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ»⁽¹⁾. وفي تعريف آخر يذكر بأنه «أخذ الفرع من الأصل بإضافة زائدة وأكثر إلى هذا الأصل. وهذه الزائدة تكون في صورة سابقة، أو داخلية، أو لاحقة، بشرط أن يتفق الأصل والفرع في المعنى الجامع»⁽²⁾.

والأسماء المشتقة في اللغة هي اسم الفاعل، صيغة المبالغة، اسم المفعول، الصفة المشبهة واسما الزمان والمكان، اسم الآلة واسم التفضيل....) التي نحاول رصدها والبحث في دلالاتها في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم.

أ/ اسم الفاعل:

يعد اسم الفاعل من أكثر المشتقات أهمية في الدرسين التصريفي والنحوي على حد سواء وترجع أهميته إلى كثرة استخدام صيغته في الكلام⁽³⁾. واسم الفاعل كل «وصف مشتق من فعل لازم أو متعد، مجرد أو مزيد، صحيح أو معتل، يدل على ذات ووصف قائم بهذه الذات التي قامت بالفعل أو صدر منها الفعل بشرط أن يكون الوصف قابلاً للمفارقة أو متغيراً»⁽⁴⁾.

وتجمع صيغة اسم الفاعل بين خصائص كل من الاسم والفعل معاً، ويعد سيبويه على رأس الذين أجزوا اسم الفاعل مجرى الفعل المضارع لفظاً ومعنى وأنزلوه منزله حين قال: «هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى. فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منونا، وذلك قولك هذا ضارب زيدا غداً، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيدا غداً فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك، وتقول: هذا ضارب عبد الله الساعة فمعناه وعمله ممثل: هذا يضرب زيدا الساعة»⁽⁵⁾.

وعرف النحاة واللغويون اسم الفاعل بأنه «اسم يشتق من الفعل للدلالة على وصف من قام بالفعل، فكلمة (كاتب) مثلاً اسم فاعل تدل على وصف الذي قام بالكتابة. واللغويون القدماء يقولون إن اسم الفاعل يشبه الفعل المضارع، بل يقولون إن الفعل المضارع سمي مضارعاً لأنه يضارع

(1) _ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص 83.

(2) _ علم الصرف العربي، صبري المتولي، دار غريب، القاهرة، 2002، ص 118.

(3) _ تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم الفخري، ص 194.

(4) _ علم الصرف العربي، صبري المتولي، ص 44.

(5) _ الكتاب، سيبويه، 164/1، وانظر شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ص 487.

اسم الفاعل أي يشابهه»⁽¹⁾.

ويختلف اسم الفاعل عن الفعل في كون اسم الفاعل دالا على ثبوت الوصف، أمّا الفعل فإنه يدل على الحدث، ولكن اسم الفاعل يدل على الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة. فاسم الفاعل الدال على الماضي يدل على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه فيه بخلاف الفعل الماضي الذي يدل على وقوع الفعل في الزمن الماضي لا على ثبوته ودوامه⁽²⁾.

كما يدل الوصف باسم الفاعل على التجدد، مثل: الحاذر. ونظير هذا قولك هذا سيد قومه لمن يسودهم، وتقول لمن يتوقع منه هذا: هذا سائد قومه ومثل هذا رئيس وهذا راشي، فربيس لمن له الرئاسة ورائس لمن سيكون خلفا له. ويوصف باسم الفاعل من كان فيه الوصف متقلبا غير دائم⁽³⁾. وهذا ما أكدته تمام حسان حين قال: «وصفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعا متجددا. والصفة المشبهة تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت»⁽⁴⁾.

وعليه فاسم الفاعل يدل على الحدوث ولا يدل على الثبوت بدرجة ثبوت الصفة المشبهة ولا يدل على الحدوث أو التجدد بدرجة الفعل. ولكنه أدوم وأثبت في المعنى من الفعل ودون قوة ثبات الصفة المشبهة في صاحبها، فالصفات مثل: طويل، ذميم، قصير، تلازم من وصف بها ولا تفارقه ولكن اسم الفاعل مثل قادم، قائم، صائم، يزول عن صاحبه بزوال ما وصف به من القدم، والقيام، والصيام⁽⁵⁾.

واسم الفاعل واقف وسطا بين الفعل والصفة المشبهة، فلا هو دال على الحدوث والتجدد بدرجة الفعل، ولا هو دال على الثبوت بدرجة الصفة المشبهة. والسياق هو من يتكفل بتحديد ذلك. وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتضح لنا أن اسم الفاعل وُظِف بصورة مكثفة مقارنة مع بقية المشتقات الأخرى، وقد عبّرت عنه صيغته المأخوذة من الثلاثي ومن غير الثلاثي بتواتر قدره 38 مرة، وكانت أغلب صيغته مأخوذة من الفعل الثلاثي على وزن فاعل إذ

⁽¹⁾ _التطبيق الصرني، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص 58.

⁽²⁾ _معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط2، (1428هـ-2007م)، ص 42، 44.

⁽³⁾ _التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 72.

⁽⁴⁾ _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص 97.

⁽⁵⁾ _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 71-72. وانظر الإعجاز الصرني في القرآن الكريم، عبد الحميد

أحمد هندواوي، ص 233.

وصلت عدد مرات ورودها 25 مرة. أما باقي صيغ اسم الفاعل فكانت من غير الثلاثي بقلب ياء المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر. وتم التعبير عن صيغ اسم الفاعل الواردة في الأمثال القياسية بالجمع تارة وبالأفراد تارة أخرى. ولهذا التعبير ما يبرره والسياق يقرر ذلك خاصة وأن مرات ورود اسم الفاعل بصيغة الافراد وصلت 17 مرة. أما صيغة الجمع فبلغت 21 عشرين مرة ويمكن تصنيفها إلى مجموعتين، إحداهما تعود على جماعة الضالين الكافرين الظالمين لأنفسهم والغاوين، أما الأخرى فهي تمثل فئة المتقين الصالحين القانتين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ مُخِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19].

﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 35].

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [أنعام: 122].

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 116].

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ [الزمر: 29].

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [جمعة: 5].

﴿وَيَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11].

﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ﴾ [التحریم: 12].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد: 15].

﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: 15].

فكل من (الكافرين، متشاكسون، مستهزؤون، ظالمين....) تمثل لحالة الكفر والكذب والنفاق والاستهزاء بالمؤمنين. وقد مثل حال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الأيمان، وبواطن الكفر، فجعل وجه الشبه ظهور أمر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به⁽¹⁾، حين ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهزِءُونَ﴾ (١٤) ﴿اللَّهُ يَسْتَهزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

⁽¹⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 308/1.

﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عَمَىٰ فَهَمٌ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴿البقرة: 14، 15، 16، 17، 18﴾. دلت كل من (القانتين، المتقون، الشاربين... على رسوخ الصفات لديهم وثباتها عليهم. وهذا ما أكدته جُلّ الأمثال القياسية التي وردت فيها كل من أسماء الفاعلين بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَرُ دَائِمًا وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ [الرعد: 35]. وقوله ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15]. فكثيرا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب في الجنة ويجذر من النار، وبهذا لما ذكر صفة الجنة⁽¹⁾ قال بعده ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ [الرعد: 35].

وكما يدل اسم الفاعل على ثبوت الوصف⁽²⁾، ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19].

- ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45].

فكل من "محيط" "واسع" و"مقتدرا" مبان صرفية دالة على ثبات الوصف، وعدم تحوله، فقدره الله مطلقة لا حدود لها.

وقد جاءت صيغة اسم الفاعل بصيغة الأفراد في الأمثال القياسية للدلالة على أغراض عدة منها:

أ/ الدلالة على ثبوت الصفة في الموصوف وذلك في قوله تعالى:

- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَرُ دَائِمًا﴾ [الرعد: 35].

- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15].

(1) - تفسير ابن كثير، 4/466.

(2) - معاني الأبينة، فاضل السامرائي، ص 42.

- ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42].

- ﴿وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73].

ب- الدلالة على تأكيد وقوع الحدث وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 36].

- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35].

ب- اسم المفعول:

اسم المفعول «اسم مشتق من الفعل المضارع المتعدي المبني للمجهول. وهو يدل على وصف من يقع عليه الفعل»⁽¹⁾، و«هو كل وصف مشتق من فعل مبني للمجهول لازم أو متعد، مجرد أو مزيد، صحيح أو معتل، ويدل على ذات ووصف قائم بهذه الذات التي وقع عليها الفعل»⁽²⁾.

ويتميز اسم المفعول عن غيره من المشتقات بأنه:

- يؤخذ من المضارع اللازم أو المتعدي المجرد أو المزيد الصحيح أو المعتل

- يؤخذ من فعل مبني للمجهول.

- يدل على من وقع عليه الفعل.

فاسم المفعول هو ما دلَّ على من وقع عليه الفعل. وهو من الثلاثي على وزن مفعول لفظاً أو تقديراً كمنصور ومقول، ومن الرباعي تضع موضع حرف المضارعة ميماً مضمومة وتفتح ما قبل آخره كمدحرج ومكرم⁽³⁾.

ويختلف اسم الفاعل عن اسم المفعول في كون هذا الأخير ما دل على الحدث والحدوث وذات المفعول⁽⁴⁾. كمتقول ومأسور، فهو كما نرى- لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات

(1) _ التطبيق الصرني، عبده الراجحي، ص 62.

(2) _ علم الصرف العربي، صبري متولي، ص 101.

(3) _ المفتاح في الصرف، الجرجاني ص 58.

(4) _ المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص 224.

المفعول كمْصَوْرٍ، ويقال في اسم المفعول ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالته على الحدوث والثبوت فهو يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة⁽¹⁾. وهذا ما ذكره تمام حسان في قوله: «اسم المفعول يدل على وصف المفعول بالحدث منقطعا متجددا»⁽²⁾.

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتضح جليا أن اسم المفعول كان أقل تواتر إذا ما قارناه باسم الفاعل إذ بلغ تواتر 13 مرة فقط، عشرة منها كانت على وزنه الأصلي بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر⁽³⁾ وثلاث مرات فقط على صيغ أخرى ساهم السياق في تحديد مدلولها ذلك أن اسم المفعول كغيره من المشتقات قد يرد على أبنية أخرى هي (فَعْلٌ، فَعْلٌ، فَعَلٌ، فُعْلَةٌ، فُعْلٌ)⁽⁴⁾.

ومما ورد في الأمثال القياسية من صيغ اسم المفعول على نمطه المعتاد:

- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِتِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16].

والاهتداء ضد الضلال⁽⁵⁾ ومهتدين اسم مفعول من اهتدى، وقد دل على ثبات الوصف لمن حرصوا على الضلالة وزهدوا في الهدى... و"ما كانوا" أبلغ في النفي. لأن انتفاء الاهتداء عنهم أمر متأصل سابق قديم⁽⁶⁾.... ونفي الاهتداء كناية عن إضاعة القصد أي أنهم أضاعوا ما سعو له ولم يعرفوا ما يوصل لخير الآخر ولا ما يضر المسلمين... وهي كناية عن الخسران، وإضاعة كل شيء لأن من لم يكن مهتديا أضاع الربح وأضاع رأس المال بسوء سلوكه⁽⁷⁾.

- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: 75].

(1) معاني الأبنية، فاضل صالح السامرائي، ص 52.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 99.

(3) شذا العرف في الصرف، الحملاوي، ص 96.

(4) معاني الأبنية، السامرائي، ص 58.

(5) تفسير القرطبي، 211/1.

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 295/1.

(7) المرجع نفسه، 297/1.

ومملوك اسم مفعول، قال قتادة مملوكا هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيرا⁽¹⁾. وجاء في الكشاف للزمخشري: «فإن قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء، وكل عبد مملوك غير قادر على التصرف، قلت: أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما من عباد الله، وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون لأنهما يقدران على التصرف»⁽²⁾.

- ﴿بَيَّأَيْهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿﴾ [الحج:73]

فقد أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها تقريرا منه بذلك عبدتها من مشركي قريش⁽³⁾.

ومما ورد ذكره في الأمثال القياسية من صيغ اسم المفعول على أبينة أخرى:

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا ﴿﴾ [الرعد:35].

و"أكل": اسم ما يؤكل وهو من الصيغ في اللغة التي تدل على مفعولها⁽⁴⁾. والأكل بالضم على وزن فُعْل بمعنى المأكول⁽⁵⁾.

- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴿﴾ [الكهف:45].

- و"هشيمًا" اسم مفعول على وزن فعيل، ومعناه هشيمًا متكسرًا من اليبس مفتتا بانقطاع الماء عنه. والهشيم كسر الشيء اليابس، والهشيم من النبات المتكسر⁽⁶⁾.

(1) - تفسير القرطبي، 146/10.

(2) - الكشاف، الزمخشري، 622/2.

(3) - جامع البيان، الطبري، 686/18.

(4) - معاني الأبينة، السامرائي، ص 58.

(5) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 196/12.

(6) - تفسير القرطبي، 412/10.

- ﴿فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾ [يونس:24].

فقد أقيم فعيل (حَصِيد) مقام مفعول (محسود) لأنه أبلغ منه⁽¹⁾.

وخلاصة القول في اسم المفعول أنه كغيره من المشتقات من حيث الدلالة التي يتحكم بها السياق، إضافة إلى اشتراكه مع اسم الفاعل في الدلالة على الثبوت إذا ما قيس بالفعل وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة، كما يتفق كل من اسم المفعول مع اسم الفاعل في الدلالة على الزمن، فيخرج كل منهما إلى الدلالة إلى الماضي، أو الحال، أو الاستقبال، أو الاستمرار. ويبقى السياق الحكم في تحديد الدلالة الزمانية لكل منهما.

ج- الصفة المشبهة:

الصفة المشبهة هي: «كل وصف مشتق من فعل لازم مجرد أو مزيد، صحيح أو معتل، يدل على ذات أو وصف قائم بهذه الذات التي صدر منها الفعل، أو توجه منها بشرط أن يكون الوصف دالا على الثبوت واللزوم، أي أنه وصف يعبر عن مقام ثابت مستمر لا حال متغير ولا أمر حادث متجدد.»⁽²⁾

وقد ذهب النحاة إلى أن الصفة المشبهة تدل على الثبوت أي الاستمرار واللزوم، فالوصف بما يلزم صاحبها على وجه الدوام والاستمرار هذا أمر ليس مطردا في الوصف بما أو بغيرها من المشتقات فهناك بعض الصفات تلازم من وصف بها مثل: "أبكم"، "أصم"، "أسود"، "أبيض"، "أعور"، "عقيم"، وهناك صفات ليست دائمة أو مطردة في الاستمرار مثل: "غضبان"، "جوعان"، "ريان"، وهناك صفات تتغير بتغير الوصف مثل: "حسن"، "كريم"، "سعيد"، "حزين"، فالحسن قد يذهب والكرم قد يزول عن صاحبه والسعيد قد يصبح حزينا والعكس، وهناك صفات ترتبط بالهيئة فتزول بزوالها نحو: نحيف وسمين. فالاستمرار أو الثبوت لا يلزم كل الصفات ولكن الوصف بالصفة المشبهة أبلغ وأقوى من الوصف بغيرها من المشتقات، ولكنها تختص دون غيرها في بعض معانيها بالدلالة على معنى الثبوت أو الاستمرار في صفات الله تعالى معرفة ونكرة في نحو: العزيز، الحكيم، الغفور، الشكور⁽³⁾.

(1) _ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 82.

(2) _ علم الصرف العربي، صبري متولي، ص 82.

(3) _ التحليل اللغوي، محمود عكاشة، ص 77.

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم نلاحظ ورود صيغ الصفة المشبهة بمختلف أشكالها وكانت ذات حظ موفور إذ بلغ ورودها 41 مرة، كانت في مجملها دالة على أوصاف ثابتة ملازمة لصاحبها، فاقترنت بالذات الإلهية تارة وبصفات الدنيا أو الكافر الضال أو الجنة، ومن أهم الصيغ مايلي:

- **فَعِلَ**: مبنى صرفي دال على ثبوت أصل صفة سريعة الزوال مصحوبة بخفة واندفاع وهيجان في الموصوف⁽¹⁾. ومما جاء في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم.

- قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: 20].

- **فَعُلٌ**: بفتح الفاء وسكون العين وتدل على صفة ثابتة، ومما ورد في الأمثال القياسية الواردة،

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ [النحل: 76].

- قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: 264].

- **فِيْعِل**: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَّرَقٌ﴾ [البقرة: 19].

وصيَّب صفة مشتقة على وزن فيْعَل من صاب المطر يصوب أي انصب وفي اللفظ إعلال بالقلب أصله صيوب بتسكين الياء وكسر الواو والتقي الياء والواو في الكلمة وكان الأول منهما ساكنا قلب الواو إلى ياء وأدغم مع الياء الثاني فأصبح صيَّب⁽²⁾.

- ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيْتًا فَآحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ [الأنعام: 122].

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: 24].

- **فِعْلَان**: ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل.

- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ [النور: 39].

(1) معاني الأنبية، السامرائي، ص 177.

(2) _الجدول في إعراب القرآن، الصافي، 66/1.

﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15].

وصيغة "فعلان" تفيد الحدوث والتجدد، وصيغة "فعليل" تفيد الثبوت فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين "الرحمن" "الرحيم" إذا لو اقتصر على "رحمن" لظن ظان أن هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريان ولو اقتصر على "رحيم" لظن أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يُكْرَم فيها وقد تمر على الرحيم كذلك أوقات، والله متصف بأوصاف الكمال جمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هي الرحمة وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع⁽¹⁾.

-أفعل بسكون الفاء وفتح العين الذي مؤنثه فعلاء وتكون الصيغة فيما دل على لون أو عيب أو طبيعة⁽²⁾، ومن أمثلة ما ورد في الأمثال القياسية في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى﴾ [هود: 24].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل: 76].

-فعليل: مبني صرفي وظيفته الأساسية الدلالة على ثبوت الصفة في الموصوف وملازمة له حتى صارت طبيعة وسجيه فيه⁽³⁾. ومن شواهد وروده في الأمثال القياسية قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: 60].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24].

د-صيغة المبالغة:

وهي: «كل وصف مشتق من فعل لازم أو متعد مجرد أو مزيد صحيح أو معتل، يدل على ذات ووصف قائم بهذه الذات التي صدر منها هذا الفعل أو توجه منها بشرط أن يكون الوصف دالا

(1) _ معاني الأنبياء، السامرائي، ص 81.

(2) _ تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، سليم فخري، ص 208.

(3) _ معاني الأنبياء، السامرائي، ص 94.

2/ ترتبط صيغة المبالغة باسم الفاعل ارتباطا وثيقا فهي تكثير له، كما ترتبط أيضا باسم المفعول، أما الصفة المشبهة فتدل على صفة ذاتية تكاد تكون طبيعة في صاحبها⁽¹⁾.

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتضح لنا أن صيغة المبالغة كانت أقل حضورا مقارنة بباقي المشتقات خاصة اسم الفاعل والصفة المشبهة، وقد بلغ تواترها خمسة عشرة مرة ارتبطت في معظمها بالذات الإلهية، وقد جاءت صيغها على أوزان هي (فعليل، فعَّال، فُعَّيل) دون سائر الصيغ الأخرى وقد كانت "فُعَّيل" الصيغة الأوفر حظا بتواتر قدره ثلاث عشرة مرة تنوعت فيه دلالتها، أما صيغة فعَّال فوردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: 29].

وصيغة "فعَّال" تدل بنصها وصيغتها الصريحة على الكثرة والمبالغة في ذلك الفعل⁽²⁾. من المعلوم أن العرب تنسب إلى الحرف والصنعة بصيغة فعَّال غالبا كالفرَّاء والنسَّاج والنجَّار... وعلى هذا فصيغة فعَّال تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والتكرار والإعادة والتحديد⁽³⁾. وصيغة "زُراع" تدل على أن صاحب هذا الوصف كان كثير الزرع متقنا له وكأنه أصبح حرفة وصناعة له.

وأما صيغة "فعليل" فوردت هي الأخرى مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: 35]. وصيغة فعليل: وصف يطلق على من صار له الفعل سحجية وطبيعة لكثرة تعاطيه و مزوالته⁽⁴⁾ ومن شواهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265].

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: 60].

(1) _تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، صالح سليم الفاحري، ص 204.

(2) _ النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط15، (د.ت)، 258/3.

(3) _معاني الأبينة، فاضل السامرائي، ص 96.

(4) _المرجع نفسه، ص 103.

إن كل من (قدير، عليم، بصير، عزيز، حكيم) كلها صفات الله التي هي صيغة المبالغة كغفار ورحيم وغفور كلها مجاز إذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له وصفات الله متناهية في الكمال ولا يمكن المبالغة فيها والمبالغة أيضا تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله مترهة عن ذلك⁽¹⁾. فالعزيز هو القادر الذي لا يغلب والحكيم هو العالم الذي لا يجهل شيئا، وإذا كان عالما قادرا كان ما يفعله صوابا ومبرا عن العبث والسفه⁽²⁾، فالعليم هو المدرك بما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم وما لا يستطيعون إدراكه من غير أن يكون موصوفا بعقل أو حسن وذلك راجع إلى أنه لا يعزب عنه شيء ولا يُعجزه إدراك شيء... والعليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه (تعالى) بكمال العلم⁽³⁾.

أما صيغ المبالغة على وزن "فعليل" والتي تعود على الذات الإلهية إنما يراد بها إثبات الصفة المبالغة التي لا مثيل ولا نظير لها. وقد صدق المولى حين قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60]. وأما ماعدا ذلك فيصح أن تقبل صفاته الزيادة والنقصان.

هـ- اسم التفصيل:

هو: «الاسم المشتق على وزن "أفعل" يدل في الغالب على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه.»⁽⁴⁾ وقدّم الحملوي تعريفا أشمل، فقال: «اسم التفصيل: هو الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على أن الشئيين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة» وقياسه أن يأتي على "أفعل" كزيد أكرم من عمرو، وهو أعظم منه، وخرج عن ذلك ثلاثة ألفاظ أتت بغير همزة وهي خير وشر وحب⁽⁵⁾.

ومن خلال استقراء الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتضح لنا جليا أن اسم التفصيل قد ورد على شكلين أحدهما على وزن أفعل الأشهر ثلاث مرات وخرج عن وزنه الأصلي بحذف الهمزة مرتين، فكان مجموع تردده خمس مرات بدلالات متنوعة ومختلفة، نوجزها فيما يلي:

(1) _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 507/2.

(2) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 62/4.

(3) _ الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادى، جدة، ط1، (دت)، 123/1.

(4) _ النحو الوافي، عباس، حسن، 395/3.

(5) _ شذا العرف في فن الصرف الحملوي، ص 102.

1/- المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها نحو قوله تعالى: ﴿أَنَا

أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34]

فكل من "أكثر" و"أعز" أسماء تفضيل جاءت مجردة من آل والإضافة وفي هذه الحالة وجب أن يكون اسم التفضيل مفردا مذكرا وأن يؤتي بعده بمن الجارة للمفضل عليه في قوله تعالى: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ﴾ وقد حذف من و مدخولها⁽¹⁾. وهذا ما تحقق في قوله تعالى: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34].

2/تستخدم أفعل للدلالة على معان أخرى مثل صفات الألوان والعيوب والمحاسن وقد جاءت

في الأمثال القياسية دالة على العيوب في قوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41].

-فأوهن اسم تفضيل من الفعل "وهن" الدال على الضعف والخور، وجاء "أوهن" دالا على ضعف وعجز بيت العنكبوت الذي لا يستر الإبصار ولا يدفع الأيدي⁽²⁾. كما أن العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استئصال وسكنى بل لو دخلت فيه خرقتة⁽³⁾.

3/للدلالة على ثبات الوصف، ذلك أن أفعل في أغلب صورته يدل على الاستمرار والدوام وقد

تحقق هنا في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44]. ف"خيرا" اسم تفضيل حذفته همزته، فكان دالا على ثبات الوصف، فالله هو خير ثوابا في الدنيا والآخرة لمن آمن به، فهو خير من يرجى وخير عاقبة لمن رجاه وآمن به⁽⁴⁾.

وهذا مثل قد ضرب الله مثلا للفريقين للمشركين و للمؤمنين.مثل رجلين كان أحدهما معجبا مؤنقا وحال الآخر بخلاف ذلك، فكان عاقبة صاحب الحال المؤنقة تباتا وخسارة وكانت عاقبة الآخر نجاحا ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير و التدبر في العواقب فيكون معرضا للصلاح والنجاح.

(1) _ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي ص 105.

(2) _ النكت والعيون، الماوردي، 283/4.

(3) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 287/6.

(4) _ تفسير القرطبي، 411/10.

2-3- التنكير والتعريف:

التنكير والتعريف ثنائية ذات يد عليا في توليد الدلالة وارتسامها وإثراء البنية التحتية للبنى والأنساق الكلامية، إذ يوظفها البيان القرآني على أرقى مستوى من الفنية والجمالية لتتحدّر منها القصدية والتوافق التام مع المواقف الخطابية⁽¹⁾.

وإن قال قائل هل المعرفة أصل أو النكرة؟ قيل لا، بل النكرة هي الأصل لأن التعريف طارئ على التنكير⁽²⁾ و النكرة سابقة على المعرفة لوجهين:

أحدهما: أن النكرة اسم للمعنى العام والعام قبل الخاص، والخاص ليس فيه العام ألا ترى أن حيوانا فيه الإنسان وغيره. والإنسان ليس فيه الحيوان العام. فعلم أن الخاص واحد من العام والكل أصل لأجزائه.

والثاني: أن النكرة تقع على الأشياء المجهولة، وعلى المعدوم والموجود، والقديم والمحدث والجسم والعرض، كقولك شيء، ومعلوم، ومذكور، وموجود⁽³⁾.

ولقد تناول سيبويه مسألة التعريف والتنكير حيث اعتبر النكرة أشد تمكنا من المعرفة، لأن الأشياء نكرة في الأصل ثم تعرّف. فهي الأولى ثم يدخل عليها ما تعرّف به، فمن ثمّ أكثر الكلام ينصرف إلى النكرة⁽⁴⁾. ويقول في باب الإخبار عن النكرة بالنكرة: «وذلك قولك: ما كان أحد مثلك، وما كان أحد خيرا منك، وما كان أحد مجترئا عليك، وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا. وإذا قلت كان رجل ذاهبا فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله، ولو قلت: كان رجلا من آل فلان فارسا حسن، لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذاك في آل فلان وقد يجمله، ولو قلت كان رجل في قوم عاقلا لا يحسن، لأنه لا يُستنكر أن يكون في الدنيا عاقل وأن يكون من قوم. فعلى هذا النحو يحسن ويقبح»⁽⁵⁾.

(1) _ تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، فخرية غريب قادر، ص 177.

(2) _ أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ص 298.

(3) _ اللباب في علل البناء والاعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر دمشق، ط1، 1995. 471/1

(4) _ الكتاب، سيبويه 22/1.

(5) _ المرجع نفسه، 54/1.

ويعتبر عبد القاهر الجرجاني المخاطب الركيزة الأساسية في مسألة التعريف والتنكير وإن كان هذا لا ينفي وجود المتكلم في الصياغة باعتباره مصدرها وخالقها، فعندما نقول: (زيد منطلق) يكون الكلام مع من لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو، فتفيدة ذلك ابتداءً. وإذا قلنا (زيد المنطلق) كان الكلام مع من عَرَفَ أن انطلاقا كان إما من زيد وإما من عمرو، فعلمه أنه كان من زيد دون غيره⁽¹⁾.

ويتحقق باختيار الاسم النكرة أغراض بلاغية متعددة تقتضيها أحوال المخاطبين. ويستدل على المراد من هذه الأغراض بقرائن الحال أو قرائن المقال، وتكاد سياقات التنكير تنحصر فيما يلي:

1/- الدلالة على الفردية أو النوعية.

2/- التعظيم أو التحقير والتنكير أو التقليل.

3/- قصد التمويه والإخفاء.

4/- عدم الرغبة في الحصر والتخصيص⁽²⁾.

ومن شواهد ذلك في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم ما نوردته في الجدول التالي:

مقاصد التنكير البلاغية	التراكيب ومواطن تنكير مفرداتها
رجل-عدم تعيين المتحدث عنه- اسم الرجل- لأنه زائد على ما يقصد المتكلم بيانه، فلم يُعين اسم الرجل الذي جاء لينصر المسلمين الثلاثة ويدعو قومه لإتباعه وليعلن إيمانه، فلم يقصد ذكر اسم الرجل واكتفى بذكر أنه رجل.	1- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ [يس:20]
"أهّار"-إفادة التكثير.	2- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُنْفِقُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد 15]
"- لعب" إرادة التحقير والتصغير من شأن الدنيا.	3- قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾

(1) _دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 196.

(2) _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1 (1994)، ص 341.

	<p>وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ اللَّهُ ﴿﴾ [الحديد:20]</p>
<p>- "عليم" إفادة التعميم والشمولية كيف لا والله عليم بكل شيء. وَسِعَتْ قُدْرَتُهُ وَعَلِمَهُ كُلُّ شَيْءٍ.</p>	<p>4- قال تعالى: ﴿﴾ وَاللَّهُ يَضْعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿﴾ [البقرة: 261]</p>
<p>"جنة"-إفادة الإطلاق- عدم التعيين أو التحديد- كما يتوسم فيه دلالة الجنسية (جنس الجنة...) دون تحديد لماهيتها.</p>	<p>5- قال تعالى: ﴿﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ ﴿﴾ [البقرة:265]</p>
<p>"ماء"-إرادة نوع من أنواع الماء ألا وهو الغيث. -إرادة دلالة الجنسية في "أودية" دون تحديد أو تعيين.</p>	<p>7- قال تعالى: ﴿﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴿﴾ [الرعد: 17]</p>
<p>"رماد"-إفادة التفضيع والتحقير والتشنيع بأعمال الكفار الذين ظنوا أن أعمالهم منجية لهم ولكنها كرماد عصفت به ريح فجعلته هباء منثورا.</p>	<p>8- قال تعالى: ﴿﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿﴾ [إبراهيم: 18]</p>
<p>"رجلين"-إفادة الإطلاق وعدم التعيين لأنه زائد على قصد المتكلم والمراد من الكلام.</p>	<p>9- قال تعالى: ﴿﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴿﴾ [النحل:76]</p> <p>- قال تعالى: ﴿﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَيْنًا مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ ﴿﴾ [الكهف:32]</p>
<p>"خير"- دلالة التعظيم والتخصيص</p>	<p>10- قال تعالى: ﴿﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿﴾ [الكهف:44]</p>
<p>"ذبابا"-إفادة التحقير والتقليل.</p>	<p>11- قال تعالى: ﴿﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ</p>

	فَأَسْتَعِزُّوْا لَهُٓ إِنَّا الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴿٧٣﴾ [الحج: 73]
"بيتا"-إرادة التحقير وعدم التعيين كما ويتوسم فيه دلالة الجنسية.	12- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴿٤١﴾ [العنكبوت: 41]
"أليم"-بيان لنوع العذاب الذي لا يُضاهى وأنه دائم.	13- قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ [يس: 18]
"حميما"-بيان لنوع الماء فهو ماء حميم مقطّع لأمعاءهم.	14- قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: 15]
-دلالة التعظيم والتكثير وفيه إظهار لعظم الأجر وتفخيم له.	15- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: 29]
"أسفارا"-إرادة الإطلاق وعدم الحصر كما يتوسم فيه دلالة الجنسية.	16- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿٥﴾ [الجمعة: 5]
"أحدا"-دلالة التشنيع والتحقير	17- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ [الكهف: 42]
"حبة"-دلالة الجنسية كما تفيد دلالة التعظيم والتكثير.	18- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: 261]
"رجلا"-دلالة الكمال (أي مكتمل الرجولة).	19- قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

	<p>أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿ [الكهف: 37]</p>
<p>"صيب"-بيان النوع، إذا أريد به نوع من المطر شديد هائل⁽¹⁾</p>	<p>20- قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة: 19]</p>

أما المعرفة فهي اسم يدل على معين مُمَيَّز عن سائر الأفراد أو الجموع المشاركة له في الصفات العامة المشتركة⁽²⁾، ويتحقق باختيار الاسم المعرفة في الكلام أغراض بلاغية متعددة تقتضيها أحوال المخاطبين ويستدل على المراد من هذه الأغراض بقرائن الحال أو قرائن المقال، وذلك بحسب نوع المعرفة و ينقسم الاسم المعرفة إلى ستة أنواع:

- 1/- ما يكون تعريفه بسبب كونه ضميرا.
- 2/ ما يكون تعريفه سبب كونه علما.
- 3/ ما يكون تعريفه بسبب كونه اسم إشارة.
- 4/ ما يكون تعريفه بسبب كونه اسم موصول.
- 5/ ما يكون تعريفه بسبب كونه محلى بالألف واللام.
- 6/ ما يكون تعريفه سبب كونه مضافا إلى واحد مما سبق.

⁽¹⁾ _ الكشاف، الزمخشري، 82/1.

⁽²⁾ _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 305.

وأعرف هذه الأنواع الضمير ويليه في الرتبة العلم والمضاف إلى الضمير، فرتبة اسم الإشارة، فرتبة الاسم الموصول، فرتبة المحلى بالألف واللام، فرتبة المضاف إلى أحد المعارف غير الضمير⁽¹⁾. وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم. يتضح لنا ذلك التنوع الوظيفي للمعرفة بين المعرفة ب"الألف واللام"، والمعرف ب"الإضافة" والمعرف ب"اسم الإشارة" والمعرف ب"اسم الموصول". وفي كل اختيار لنوع دون آخر أغراض ومقاصد بلاغية حاولت تحديدها دون مراعاة لترتيب المعارف السابق ذكرها.

1/ التعريف بالألف واللام.

الألف واللام سابقة تدخل على الأسماء، ولها وظائف دلالية وإيحائية مهمة منها:⁽²⁾

أ- الدلالة على العموم والشمول في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73]

﴿شَحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ﴾ [التحریم: 12]

ب- تؤدي الألف واللام وظيفة الاسم الموصول: إذا دخلت على أسماء الفاعلين والمفعولين وذلك كثير في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءًا إِذْ أَنبَأَهُم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19].

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ [الرعد: 35]

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج 73].

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13]

⁽¹⁾ _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب ص 236. وانظر الباب في علل البناء والإعراب، العكبري، 474/1 وانظر معاني النحو فاضل صالح السامرائي، 53/1 وما بعدها.

⁽²⁾ _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 345، معاني النحو، فاضل صالح السامرائي 106/1، دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص 204، 205.

ج-الدلالة على استغراق كل أفراد الجنس ومنه:

-قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس:24].

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرَ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24]

-قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد:15]

د/ دلالة التوضيح والتجديد: ومنه

-قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور 39].

-قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس 13].

هـ- أن تكون للعهدية: ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور:35]

و/ دلالة القصر حقيقة أو تجوزا للمبالغة: ومنها

-قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:35].

-قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل:60].

-قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس:17].

- قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:41]

2- التعريف بالإضافة:

الإضافة آلية من آليات التعريف لها مقاصد خطائية متعددة. إذ يكتسب الاسم المضاف من المضاف إليه سمة التوضيح والتعيين والتخصيص فضلا عن قيم ثانوية مثل الاختصار والتعظيم

الفصل الثالث.....(المفهوم الصرفي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية)

التشريف والتهويل والتحقير... وغير ذلك مما تدل عليه قرائن السياق والمقام⁽¹⁾، ومن شواهد في السورة.

الدلالات والمقاصد الخطابية	التراكيب ومواطن التعريف الإضافية
- إضافة أموال وأولاد إلى الضمير العائد على الكافرين أكسبه دلالة التحقير، والتقليل، وعدم النفع والفائدة.	1- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 116]
- التحقير والتقليل من شأن الحياة الدنيا	2- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ [يونس: 24] 182
- تخصيص وتحديد.	3- قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ شُرَكَاءُ لِيُصْحَبِهُ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34]
- تخصيص وتحديد، كما يستمد منه سمة الرفعة والسمو والعظمة.	- قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الكهف: 37]
- دلالة التعظيم والتشريف.	4- قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35]
- التحديد والتعيين	5- قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13]
- القوة والتعظيم والتشريف	6- قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفْرَانِ﴾ [الفتح: 29]
- تمييزا للقوم وإظهار لحقيقتهم	7- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]

⁽¹⁾ _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 343، معاني النحو، السامرائي 101/1 وما بعدها، البلاغة فنونها وأفنانها، فصل عباس حسن دار الفرقان، للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط2، (1409هـ-1989)، ص 318.

<p>-تمييز القوم وإظهار حقيقتهم وبطشهم وجبروتهم</p>	<p>8- قال تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11]</p>
<p>-إضافة الصدقات إلى الضمير العائد إلى المؤمنين أكسبه صفة التمييز</p>	<p>9- قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264]</p>
<p>-تشریف وتعظيم</p>	<p>10- قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 265]</p>
<p>-تخصيص وتحديد، فقد بينت الإضافة إلحاق الكافرين الظلم بأنفسهم.</p>	<p>11- قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117]</p>
<p>-تمييز للقوم عن غيرهم وتوضيح حقيقتهم.</p>	<p>12- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264]</p>
<p>-تمييز الكافرين. وكما يراد بالصحة الخلود لا مطلق الافتران. (1).</p>	<p>13- قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 116]</p>

3/- التعريف بالأسماء الموصولة:

الأسماء الموصولة واحد من المعارف ذات المقاصد الخطابية والأبعاد الدلالية والإيجائية نظرا لما تحمله صلة الموصول في ظل السياق من إشارات ودلالات منها:

1-إرادة العموم والشمول: ومنه:

-قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: 41].

- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الأمثال (١٧)﴾ [الرعد: 17]

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 276/1

- قوله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَلْبَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ [الكهف: 42].

- قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الروم: 28]
2/ تعظيم الصلة والقصر: ومنه:

- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: 265].

3- تبيين النوعية: كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَا﴾ [البقرة: 14].

4/ الاختصار: كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ﴾ [يس: 21].

5/ الاعتناء والتشويق إلى الصلة إبرازها: ومنه

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٦١﴾ [البقرة: 261].

6/ إفادة التهويل والتعميم ومنه:

قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ [الأعراف: 175]

7/ التعريض والتحقير: ومنه

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ [البقرة: 171].

8/ إرادة واحد من الجنس غير معين: ومنه

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ [البقرة: 17]

9/إشارة إلى علة بناء الحكم في الجملة: ومنه

- قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: 15]

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الرعد: 35].

10/إطالة الكلام لغرض الثناء والمديح: ومنه:

- قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29]

11/إفادة التحقير والتشنيع: ومنه

- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾ [البقرة: 16]

- قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 264]

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73]

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41]

12/ تعظيم الموصوف به والتخويف من عقابه والتحذير الشديد من مخالفته ومنه قوله

تعالى: ﴿أَكْفَرَتْ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37]

4- التعريف باسم الإشارة:

لأسماء الإشارة استخدامات ومزايا عدة، منها التعظيم والتحقير والتمييز والتوضيح والتحديد⁽¹⁾، ومن شواهد توظيفها في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم مايلي:

1- دلالة التعظيم والتشريف، ومنه قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ

⁽¹⁾ _ معاني النحو، فاضل صالح السامرائي 88/1، البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب 324 وما بعدها

في التورنة ﴿﴾ [الفتح: 29]

2- دلالة التعيين والتحديد: ومنه قوله تعالى: ﴿﴾ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿﴾ [الكهف: 35].

3- دلالة التحقير والتشجيع:

-قوله تعالى: ﴿﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿﴾ [آل عمران: 116]

-قوله تعالى: ﴿﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا

يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿﴾ [إبراهيم: 18]

-قوله تعالى: ﴿﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ﴿﴾ [البقرة: 16]

-قوله تعالى: ﴿﴾ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴿﴾ [الأعراف: 176]

5- التعريف بالعلمية:

إن التعريف بالعلمية من أبرز أدوات الإبانة والإيضاح لما تحمله من دلالات وإيحاءات، ولما يستخلص منها من صفات وسمات وعلامات تتوافق مع السياق والمقام. ولاختيار التعريف بالعلمية دواع عدة منها: (1).

-إرادة إحضار المتحدث عنه في ذهن المتلقي باسمه الخاص به ليمتاز عما عداه.

-إرادة الإشعار بتعظيم المتحدث عنه.

-إرادة الإشعار بإهانة المتحدث عنه.

-إرادة التنفير واستشارة الخوف أو استشارة التقزز، وغيرها. و من أبرز ما جاء في الأمثال

القياسية من أسماء أعلام قصد منها:

1- التعظيم والتميز ومنه:

- قوله تعالى: ﴿﴾ إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿﴾ [آل عمران: 59]

[آل عمران: 59]

(1) _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 321

- قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29]

- قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحریم: 12]

2- التحقير والإهانة:

لكل من امرأة نوح وامرأة لوط إذا لم تغن قرابتهما وصلتهما بأزواجهما-نوح و لوط- من عذاب جهنم، فكانوا مثلاً للذين كفروا.

- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحریم: 10]

2-4-الإفراد والجمع:

يعد الإفراد والجمع ظاهرة أدائية فنية تضيء على سياقها دلالات وإيحاءات تساهم في إبراز المقصود وتبين مقاصد التراكيب اللغوية الواردة فيها. والاسم المفرد هو ما دل على واحد أو واحدة، وقد جاء حاملاً دلالات متعددة ومتنوعة بتنوع السياق الوارد فيه وموافقاً للمقام من مثل قياسي إلى آخر، ومن أمثلة ذلك مايلي:

1- ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ

أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: 11]

فقد ورد لفظ "البيت" بصيغة الإفراد دون الجمع لكونه أكثر تمكناً في الدلالة على جنس البيت، كيف لا وقد ضرب الله هذا المثل مثلاً للذين صدقوا الله و وحدّوه امرأة فرعون التي آمنت به ووحدته وصدقت رسوله موسى وهي تحت عدو من أعداء الله، فلم يضرّها كفر زوجها إذ كانت مؤمنة بالله. وكان من قضاء الله ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن لكل نفس ما كسبت إذ قالت:

﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: 11] فاستجاب الله لها⁽¹⁾.

وجاء لفظ "بيت نكرة للدلالة على سؤاها أي بيت يكون. المهم بجوار ربها، وفي هذا أعظم الإيحاء والدلالة على الإيمان والخشوع، كيف لا وقد طلبت بيتاً ولم تقل قصراً رغم تعودها العيش بالقصر. وذكر الزمخشري معنى الجمع بين "عندك" و"الجنة" بقوله: «فإن قلت ما معنى الجمع بين

⁽¹⁾ - جامع البيان، الطبري، 499/23.

"عندك" و"الجنة" قلتُ: « طَلَبْتُ القُربَ من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه، ثم بيّنت مكان القرب بقولها "في الجنة" أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى»⁽¹⁾. وفي سؤال امرأة فرعون ربّها نلمح ترتيبا تنازليا من الأعظم والأقدس إلى ما هو أقلّ منه، إذ طلبت أعظم طلب يُطلب ألا وهو حصول جوار المولى عزّ وجل، ثم نزلت إلى طلب بيت في الجنة، أي بيت كان، ثم انتقلت إلى طلب النجاة من فرعون ومن عمله لتصل إلى آخر طلب وهو النجاة من القوم الظالمين.

2/- ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْـِٔعَهُمْ فِي

ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ [البقرة: 19]

ورد كل من "الرعد" و"البرق" بصيغة الإفراد دون الجمع. بينما وردت لفظة "ظلمات" بصيغة الجمع. ذلك لأن الرعد والبرق منشؤهما واحد، أما الظلمات فمصادرهما متعددة، كالليل، وغياب الشمس، والمطر، وتكاثف السحب، والخسوف، والكسوف... وغير ذلك، وكما أن سياق الآية يركز على الخوف فجمعت الظلمات لإثارة الخوف في النفوس بينما جاء "الرعد" و"البرق" مفردين لأنهما يحملان الرجاء مع الخوف، فكثر الخوف بإيراد ما يدل عليه وحده بـ "ظلمات" بصيغة الجمع، وإيراد ما يدل على غيره أو ما يحمل في طياته معنى الرجاء والأمل في صورة المفرد⁽²⁾.

وقد جاء هذا التمثيل كاشفا لحال المنافقين وقصد التفصيل والإسهاب بحال المنافق، حيث شبهه الله في التمثيل الأول بموقد النار، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع جدواه بذهاب النور، وشبهه في التمثيل الثاني دين الإسلام بالصيب. وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق. وما يصيبهم من الإفزاز والفتن بالصواعق. والتمثيل الثاني أبلغ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر لذلك أحر فصارا ارتقاء من الأهون إلى الأغلظ⁽³⁾.

3/- ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ

(1) _ الكشاف، الزمخشري، 572/4.

(2) _ الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد داوود، ص 505.

(3) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 139/1.

مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴿البقرة: 264﴾.

وقد مثل حال الكافر الذي ينفق ماله رثاء الناس بحال صفوان عليه تراب يغشيه يخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر. وتقدير الكلام: عليه تراب صالح للزرع، فحذفت صفة التراب إيجازاً، اعتماداً على أن التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه وابل هو التراب الذي يبذرون فيه، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئاً ويبقى مكانه صلداً أملسا فيخيب أمل زراعه⁽¹⁾.

و جاء لفظ "تراب" بصفة الإفراد والتنكير لبيان قلته وخفته، وأنه مجرد حفنات محدودة لم تلبث أمام ذاك الوابل الذي أتى عليها كلها فلم يبق منها شيئاً وهكذا حال المنفق المراتي.

4- ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18].

ورد لفظ "رماد" بصيغة الإفراد والتنكير حاملاً دلالة القلة، والحقارة، والضعف، والضآلة، ذلك لأن الرماد جسم يسحقه الإحراق سحق الغبار⁽²⁾، وكما لا يكون الرماد إلا بعد خمود نار وانطفاء لضوئها، كذلك عمل الكافر بربه الذي يكون عمله من خمود للإيمان في قلبه وانطفاء لنور هدايته.

5- ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 117] وردت لفظة "النار" بصيغة الإفراد وأوثر على "نيران" لكونها أبلغ وأكثر دلالة على جنس النار. وحيث وقع في القرآن ذكر الجنة فإنها تجيء تارة مجموعة وتارة غير مجموعة. والنار لم تقع إلا مفردة، وفي ذلك وجهان هما:

—أحدهما: لما كانت الجنات مختلفة الأنواع حسن جمعها وإفرادها ولما كانت النار واحدة أُفردت باعتبار الجنس.

ثانيهما: أنه لما كانت النار تعذيباً، والجنة رحمة ناسب جمع الرحمة وإفراد العذاب⁽³⁾ ليزداد

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 520/2.

(2) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 337/5.

(3) _ البرهان، الزركشي، 14/4.

بذلك خوف العصاة.

6/- ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: 21]

ورد لفظ "الأجر" بصيغة الإفراد دون الجمع. لأن صيغة الإفراد أنسب في الدلالة على الجنس، ذلك أن الأجر يصدق على كل نفع دنيوي يحصل لأحد من عمله، فيشمل المال والجاه والرئاسة. فلما نفى - الرجل - من جاء من أقصى المدينة عن المرسلين أن يسألوا أجرا، فقد نفى عنهم أن يكونوا يرمون من دعوتهم - لأصحاب القرية - إلى نفع دنيوي يحصل لهم⁽¹⁾.

وجاءت الجملة الأولى من الصلة فعلية منفية (لا يسألكم أجرا) لأن المقصود نفى أن يحدث منهم سؤال أجر فضلا عن دوامه وثباته. وجاءت الجملة الثانية اسمية لإفادة إثبات اهتدائهم - المرسلين - ودوامه بحيث لا يخشى من يتبعهم أن يكون في وقت من الأوقات غير مهتد⁽²⁾. وفي قوله: « وهم مهتدون » تأكيد على ثباتهم على الاهتداء بما هم عليه إلى خير الدنيا والآخرة. والجملة حالية فيها ما يؤكد كونهم لا يسألون الأجر ولا ما يتبعه من طلب جاه وعلو⁽³⁾ وقد ناسب هذا افراد كلمة الأجر، فلا نفع ينجر لهم - المرسلين - من دعواهم ذلك لأن دعوتهم كانت قصد هداية المرسلين إليهم أي أصحاب القرية.

7/ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ

بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: 17]

ورد لفظ "الذي" بصيغة الإفراد دون الجمع، فكان أنسب للمعنى. لأن التمثيل هنا اقتضى طرفين أولهما المنافقون، والثاني هو مستوقد النار. ولا معنى لاجتماع جماعة على استيقاد نار. ذلك أن التمثيل هنا يراد به تشبيه حال المنافقين في ظهور أثر الإيمان ونوره مع تعقبه بالضلالة ودوامه بحال من استوقد ناراً⁽⁴⁾، فكان تشبيه هيئة هيئة أخرى، فلم يكن هناك من داع لورود لفظ "الذي" بصيغة الجمع، فكان لفظ المفرد أكثر دلالة وإيجاءً.

8/ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: 35]

(1) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 215/22.

(2) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 215/22.

(3) - روح المعاني، الألوسي، 398/11.

(4) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 302/1.

وردت كلمة "النور" في جميع المواضع في القرآن الكريم مفردة بينما جاءت كلمة "الظلمات" في جميع المواضع جمعا. والحكمة في ذلك أن النور مصدر واحد وهو الله عزّ وجل، أما الظلمات فقد تعددت أسبابها ومصادرها كالشياطين والأصنام والأهواء ورفاق السوء... ولهذا تعددت الظلمات تبعا لتعدد مصادرها⁽¹⁾.

ولما كانت الظلمة بمتزلة طرق الباطل، والنور بمتزلة طريق الحق، بل هما هما. أُفرد النور وجمعت الظلمات وعلى هذا جاء قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: 257]. فوحد ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهو الله الواحد الأحد، وجمع أولياء الذين كفروا لتعددتهم وكثرتهم. وجمع (الظلمات) وهي طرق الضلال والغبي لكثرتها واختلافها، ووحد النور وهو دينه الحق وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه⁽²⁾.

9/- ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: 117].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: 18].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْرَبُ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: 45].

ذكرت "الرياح" في القرآن جمعا وإفرادا. فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة وحيث كانت في سياق العذاب أتت مفردة. وسر ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهاب والمنافع وإذا هاجت منها ریح أنشأ لها ما يقابلها، وما يكسر سورتها ويصدم حدتها، فينشأ من بينهما ریح لطيفة تنفع الحيوان والنبات.

(1) _ الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد داوود، ص 506.

(2) _ بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق هشام عطاء، عادل عبد الحميد، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى، ط1، (1416هـ- 1996م)، 1/119.

وأما في العذاب، فإنها تأتي من وجه واحد لا يقوم لها شيء ولا يعارضها غيرها، حتى تنتهي إلى حيث أمرت، لا يرد سورتها ولا يكسر شرتها فتمثل ما أمرت به، وتصيب ما أرسلت إليه. وقد اطردت هذه القاعدة إلا في آية واحدة في القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبَّيَّةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: 22].

وعلل ابن القيم هذا بقوله: «لأن تمام الرحمة هناك - يقصد في البحر - إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها. فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد سيرها، فإذا اختلفت عليها الرياح وتصادمت وتقابلت، فهو سبب الهلاك، فالمطلوب هنا ريح واحد لا رياح. وأكد هذا المعنى بوصفها بالطيب دفعا لتوهم أن تكون ريحا عاصفة بل هي مما يفرح بطبيها»⁽¹⁾.

وإذا عدنا إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن وجدنا لفظ الريح وارد في ثلاث مواضع جاء فيها بصيغة الإفراد تارة وبصيغة الجمع تارة أخرى، وفي كل موضع كان لفظ "الريح" أكثر تمكنا ودلالة. ففي سياق التمثيل لخبية عمل الكافر وإحباطه بعد أن ظن أن عمله - من صدقة أو غير ذلك - مُنَج له من عذاب يوم القيامة وجدده هباءً منثوراً. فكان اختيار لفظ "الريح" بصيغة الإفراد أنسب للمقام. إضافة إلى أنها وُصفت بالعاصف وبأنها شديدة مهلكة حتى لا يظن ظان أنها ريح رحمة كما ظن الكافر أن عمله مُنَج له، ولكن خاب ظنه فكانت النار مصيره المحتوم.

وأما جمع لفظ "الريح" في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا نَّذْرُهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45]. فكان أكثر دلالة على حقارة الدنيا وقلة شأنها وسرعة انقضائها وزوالها، وبأن الانشغال بها من أسباب الخلود في نار جهنم.

وأما صيغ الجموع فكثيرة هي في الأمثال القياسية، فقد تنوعت بين جمع سالم - مذكر ومؤنث - وجمع تكسير - جمع قلة أو كثرة - ومن شواهد ما ورد في:

1/ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 116].

فقد وردت كل من "الأموال" و"الأولاد" بصيغة الجمع الحامل دلالة القلة. فجاء موافقا لما يقتضيه المعنى العام للآية من تحقير وتقليل لأهمية الأموال والأولاد. وقد اتخذت صيغة "أفعال" وجهة

⁽¹⁾ _ بدائع الفوائد، ابن القيم، 118/1، 119، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص 142، 143.

انزياحية مغايرة للقلة فدلت على الكثرة لتعطي دلالة النهي عن الانشغال بالأموال والأولاد فلا أموالهم ولا أولادهم منجية لهم من عقوبة الله إذا حلت. وإنما عطف الأولاد هنا، لأن الغناء في متعارف الناس يكون بالمال والولد. فالمال يدفع به المرء عن نفسه في فداء أو نحوه، والأولاد يدفعون عن أبيهم بالنصر.... وتكرار حرف النفي مع المعطوف في قوله تعالى(ولا أولادهم) لتأكيد عدم غناء أولادهم عنهم، ولدفع توهم ما هو متعارف من أن الأولاد لا يقعدون عن الذب عن آبائهم⁽¹⁾.

2- ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ

سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ﴾ [البقرة: 261]

وردت لفظة "سنابل" بصيغة الجمع الدال على الكثرة، فكان أكثر تناسبا والمعنى العام للآية، ذلك أن هذه الآية سيقت في بيان المضاعفة والزيادة، فكان الجمع على وزن مفاعل أفصح، وقد جاء ذكر جمع "سنبلة" في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 43] على سنبلات دون سنابل مراعاة لجمع السلامة قبلها في قوله ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾ فناسب أن يعقب جمع السلامة بجمع مثله، ولأن المقام مقام يناسبه جمع قلة ليصدق اللفظ المعنى⁽²⁾.

3- ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: 19]

وردت لفظة "ظلمات" بصيغة الجمع دون الأفراد في القرآن الكريم⁽³⁾. فكانت صيغة الجمع أكثر دلالة على شدة الظلمة، ولأن الكثرة لما كانت في العرف سبب القوة أطلقوها على مطلق القوة.... ويتعين في هذه الآية أن جمع (ظلمات) أشير به إلى أحوال المنافقين. كل حالة منها تصلح أن تشبه بالظلمة. وتلك هي حالة الكفر، وحالة الكذب، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق⁽⁴⁾، فقد أظهر جمع "ظلمات" تلك الدقة في انتقاء الألفاظ ومناسبتها لمعانيها.

وكما ورد لفظ "الظلمات" بصيغة الجمع، وبدالتين مختلفتين وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 197/3.

(2) _ البرهان الزركشي، 22/4.

(3) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 204/18.

(4) _ المرجع نفسه، 308/1.

﴿كُظِّمَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: 40]. فقد وردت الظلمات هنا مرتين. المراد بالأولى غير المراد بالثانية، لأن الجمع في قوله: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ جمع أنواع ، بينما الجمع الأول جمع أفراد من نوع واحد⁽¹⁾، في قوله: ﴿أَوْ كُظِّمَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ [النور: 40].

4- ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17]

مما نلاحظه في هذه الآية الكريمة ورود لفظة "أودية" بصيغة الجمع دون الأفراد. والأودية جمع الوادي، وسمي واديا لخروجه و سيلانه. والوادي على هذا اسم الماء السائل. وقيل المراد مثل ضربه الله للقرآن وما يدخل منه القلوب، فشبّه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه. وشبه القلوب بالأودية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية بحسب سعتها وضيقها⁽²⁾.

ومن حق الماء أن يستقر في الأودية المنخفضة عن الجبال والتلال بمقدار سعة تلك الأودية وصغرها. ومن حق الماء إذا زاد على قدر الأودية أن ييسط على الأرض، والحاصل أن الوادي إذا جرى طغى عليه زيد، وذلك الزيد يبطل ويبقى الماء.... والماء هو القرآن والأودية قلوب العباد⁽³⁾. وجاء ذكر لفظ "أودية" على سبيل التنكير، لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فتسيل بعض أودية الأرض دون بعض⁽⁴⁾. و دلّ جمع "الوادي" على الكثرة والتنوع، ذلك أن قلوب العباد مختلفة منهم التقيّ النقيّ، ومنهم المنافق، ومنهم الكافر، ومنهم المرآئي وغير ذلك. فهم في كثرة لا يعلم إلا الله صدقها وما تنوي فعله.

5- ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ﴾ [التحریم: 12]

ورد لفظ "القانتين" بصيغة جمع المذكر دون جمع المؤنث السالم (قانتات) ليتناسب مع سياق الآية خاصة وأن الحديث والتمثيل كان "بمريم ابنت عمران".

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 203/18.

(2) _ تفسير القرطبي، 306/6.

(3) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 28/19.

(4) _ المرجع نفسه، 30/16.

"والقانتون" هم المكثرون من العبادة. والمعنى العام للآية أن مريم بنت عمران كانت سليمة قوم صالحين، فجاءت على طريقة أصولها في الخير والعفاف. وغلبت صيغة جمع الذكور ولم يقل من القانتات جريا على طريقة التغليب⁽¹⁾، فكان الجمع هنا أنسب للدلالة على أنها- مريم بنت عمران- في عداد أهل الإكثار من العبادة والطاعة.

6/- ما ورد في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ

رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ [الفتح: 29].

مما يلاحظ في قوله تعالى جودة انتقاء صيغ الجموع وفق ما يتناسب والمعنى العام للآية. فقد اشتملت على أكثر من جمع "أشداء، رحماء، رُكْع، سُجَّد" وفي كل دلالة على الكثرة، وتأصيل تلك الصفات بموصوفيهما وهم أصحاب الرسول ﷺ وأشير إليهم بقوله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه) ولم يقل صحابته أو أصحابه إشارة إلى معنى المعية فهم مع الرسول ﷺ في كل الأحوال وفي كل ما يدعو إليه. ليس هذا فحسب بل هم أشداء على الكفار رحماء بينهم. وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمداً دون أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بالجليلة وعدم الرؤية⁽²⁾.

-فأصحاب الرسول رحماء بينهم، أما على الكفار فهم أشداء. والشدة صلابة المعاملة وقساوتها، وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثياهم أن تلزق بثياهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم. وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه⁽³⁾.

إن ما تحمله لفظتا "أشداء" و"رحماء" من دقة في الوصف وحس نفسي قوي تنتقل نفسية أصحاب الرسول وعلاقة بعضهم البعض. فهم في ذلك رحماء بصيغة "فعلاء" وما تحمله لفظة "رحماء" من جرس قوي مملوء رحمة وتعاطفاً وألفة وأحوة، وتنقل لفظة "أشداء" وهي تحمل نفساً شديداً في صيغتها وحروفها ونطقها وقوة في جرسها وصلابة في معناها تنقل لنا في الوقت نفسه صورة حية

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 93/28، روح المعاني، الألويسي، 359/14.

(2) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 173/26.

(3) _ المرجع نفسه، 173/26، الكشف، الزمخشري، 346/4.

لصلاية نفس الرسول ﷺ والصحابة وشدة موقفهم الموحد أمام أعدائهم، إهم "رحماء" و"أشداء" طبيعون في ذلك⁽¹⁾.

وكما دلت صيغتنا الجمع في "رحماء" و"أشداء" على الكثرة والقوة والصلابة. ودلت صيغتنا جمع الكثرة "رُكَّعًا" و"سُجَّدًا" على وزن "فَعَّل" على التقوى والصلاح والهداية. وكما تفيد اللفظتان بصيغتهما الصفاء، والصدق، والإخلاص لله الواحد الصمد، وإرادة وجه الله وثوابه. وأكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: 29]

7/- ما ورد في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ ۗ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم: 10]

وضرب الله هذا المثل تنبيها على أنه لا يُغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرّق بينهما الدين،⁽²⁾ فذكر الله ثلاثة أصناف للنساء: المرأة الكافرة التي تجمعها بالرجل الصالح صلة، والمرأة الصالحة التي لها صلة بالرجل الكافر - امرأة فرعون - والمرأة التي لا صلة بينها وبين أحد.

وقد وردت صيغة الجمع "الداخلين" في سياق الحديث عن النار ومآل الكافرين، فكانت أكثر تمكنا في الدلالة على الكثرة ذلك أن النار مصير كل كافر، فلن تغني عنه قرابته للمؤمن شيئا، فكذلك كان مصير كل من امرأة "نوح"، وامرأة "الوط". وفي زيادة حرف الجر "مع" في قوله مع الداخلين إشارة إلى مساواتهما في العذاب لغيرهما من الكفرة الخونة. وفي ذلك تبييس من أن ينتفعا من حظوة زوجهما⁽³⁾، فاستووا مع غيرهما في مصير واحد نار جهنم خالدين فيها أبدا.

8- ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَّرَعْدٌ وَّرَبْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19].

جاء ذكر لفظ "أصابع" بصيغة منتهى الجموع الدال دلالة واضحة على الكثرة، فكان أكثر تمكنا من لفظ غيره في التعبير عما يختلج نفس المنافق من ذعر وخوف أفقده صوابه، فبدل أن يضع

(1) _ الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، ص 79.

(2) _ تفسير القرطبي، 201/18.

(3) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 337/28.

أصعباً أو جزء من الأصعب- الأئمة- أخذ في لفة وذعر أصابعه محاولاً بذلك دفع الضرر، وما يحدق به من خطر. وأراد بالأصابع بعضها. لأن الأصابع كلها لا تجعل في الأذن، إنما تجعل فيها الأئمة وهذا من الاتساع. وهو إطلاق كل على بعض، ولفرط ما يهول المنافقين من إزعاج الصواعق كأنهم لا يكتفون بالأئمة بل لو أمكنهم السد بالأصابع كلها لفعّلوا. وعدل عن الاسم الخاص لما يوضع في الأذن إلى الاسم العام وهو الأصعب لما في ترك لفظ السبابة من حسن أدب القرآن⁽¹⁾.

9- ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: 116]- فدلّت "أصحاب" على الكثرة. فالصحبة هي الاقتران بالشيء، والغالب في العرف أن يطلق على الملازمة وإن كان أصلها في اللغة أن تطلق على مطلق الاقتران، والمراد بها هنا الملازمة الدائمة. ولذلك أكدّه بقوله ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فكانت الصحبة الخلود لا مطلق الاقتران⁽²⁾. فخرجت لفظة "أصحاب" عن دلالة الاقتران إلى الدلالة على معنى الخلود في نار جهنم فهم لا يثون فيها من غير أمد ولا نهاية.

ونخلص مما سبق إلى أن التوظيف القرآني لصيغ الإفراد والجمع أمر في غاية الدقة والتوافق والانسجام، فمتى كانت الحاجة في التعبير عن القلة، أو التحقير، أو إرادة الجنس، كانت صيغة الإفراد أكثر حضوراً وملائمة مما يوحى بالقصدية الدقيقة للتوظيف القرآني للألفاظ وفق ما تحمله من دلالات، وإيجاعات تقوم بدورها في تدقيق معالم الصور، فتكون اللفظة بعد ذلك مُشعّة بالحياة ناطقة ومُعبّرة وموحية. ومتى كانت الحاجة إلى التعبير عن الكثرة لغرض التعظيم أو تأكيداً لصفة أو إظهاراً لحال جاءت اللفظة بصيغة الجمع ناطقة وموحية ومصورة متضمنة مغزى وعمقا عاكسة بصدق حقيقة اللفظة القرآنية في دقة اختيارها، وحيويتها، ودقة تصويرها، وقوته مجسدة معالم الدقة، وجودة الانتقاء، وبراعة التركيب، وبلاغة المعاني.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 141/1.

(2) _ المرجع نفسه، 276/1.

خلاصة الفصل:

إن اقتصار مهمة الصرف أو التصريف على بيان أحكام بنية الكلمة، من حيث صورها وصيغها خارج التركيب جعلت لهذا العلم مكانة جليلة نظرا لما تساهم به في إيضاح المعنى ولما تتركه من أثر دلالي ناجم عن تنوع بُنى الكلمات. وبعد عرض الأبنية الصرفية ودلالاتها الواردة في الأمثال القياسية تبين لنا:

-بنية المثل القرآني القياسي- التمثيلية والأ نموذجية-الصرفية بنية فاعلة دالة ساهمت كثيرا في الارتقاء بالمعنى وصولا به إلى أقصى درجات الدقة والفاعلية.

-ساهم التنوع الوظيفي للصيغ الصرفية-للأسماء والأفعال في تنوع الدلالة ودقة المعاني. ومن خلال إحصاء الأفعال الواردة في الأمثال القياسية بناء على الحالة الفعلية للفعل من حيث البناء للمعلوم وبناءه للمجهول تبين لنا: -أن الفعل المبني للمعلوم كان أوفر حظا.

-زمن الماضي هو الأغلب على باقي الأزمنة إذ وصلت نسبة تردد

الأفعال الماضية 50% في حين بلغت نسبة الفعل المضارع 44,51%.

-مصادر الأفعال الثلاثية أكثر ورودا من مصادر الأفعال غير الثلاثية.

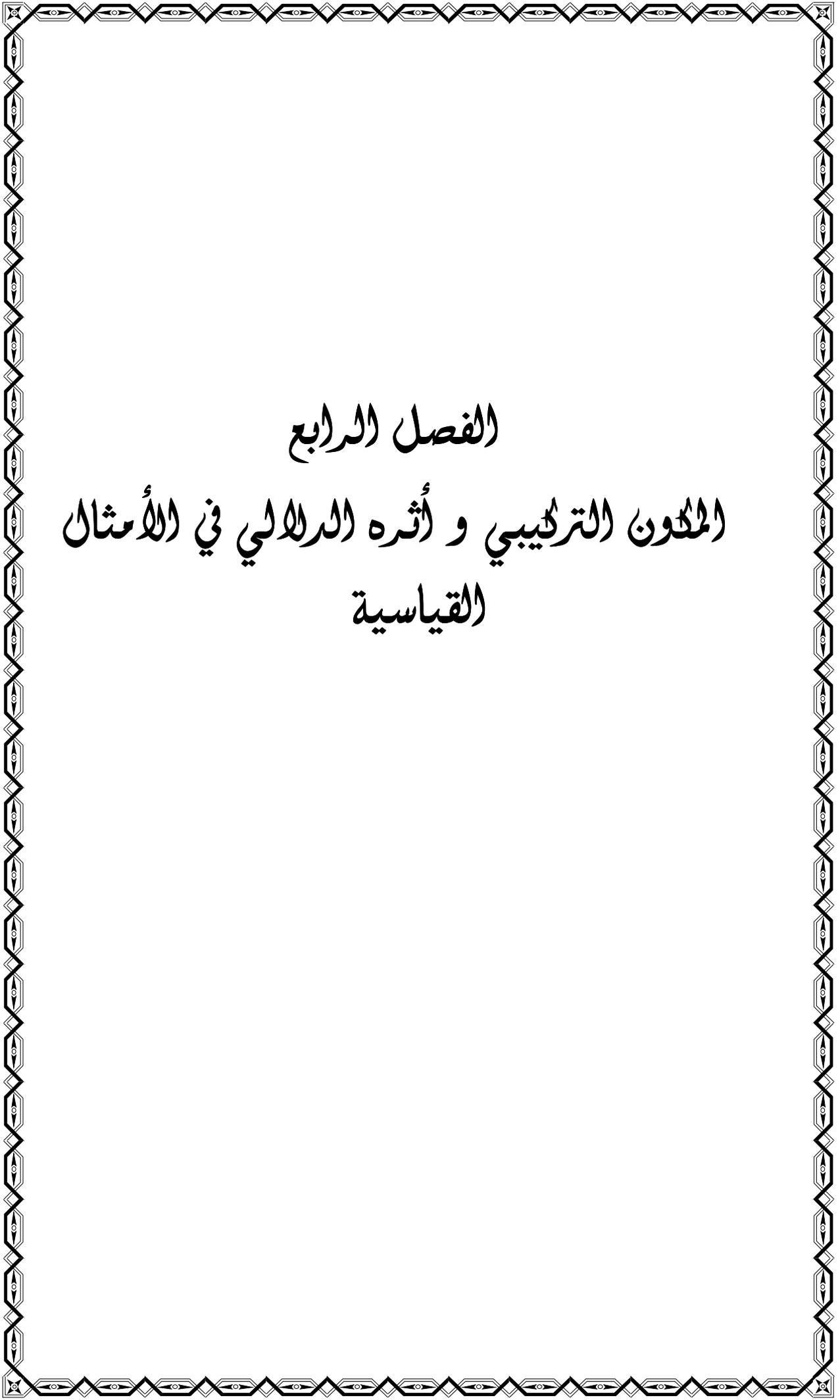
-كان للمشتقات استعمال واسع في الأمثال القياسية خاصة اسم الفاعل،فهو من المشتقات الدالة على الحدث يكتسب دلالات متنوعة يتكفل السياق بتوجيهها، فكان في الأمثال القياسية دالا على الزمن الماضي أحيانا، ودالا على الحاضر أحيانا، وعلى المستقبل أحيانا أخرى، كما تضمن دلالة التجدد والاستمرارية في كثير من المواطن.

-كثيرا ما جاء التعبير عن صيغ اسم الفاعل الواردة في الأمثال القياسية بالجمع بدل المفرد.أما اسم المفعول فكان أقل حظا من اسم الفاعل. وتنوعت دلالاته بين الدلالة على الماضي، أو الحال، أو الاستقبال، والدلالة على الاستمرارية أحيانا، و الثبوت أحيانا أخرى.

-تنوع صيغ المبالغة بين صيغ ثلاث: فَعِيلُ فَعَّالٌ فُعِيلٌ .

-كان اسم التفضيل أقل المشتقات تواترا تراوحت دلالاته بين التعبير عن معنى المفاضلة وبين الدلالة و التأكيد على ثبات الوصف .

-جاء التوظيف القرآني لصيغ الافراد و الجمع في غاية الدقة، والتوافق، والانسجام . كما ساهمت ثنائية التعريف والتنكير في توليد الدلالة وإثراء البنية التحتية للبنى والأنساق الكلامية.



الفصل الرابع
المكون التركيبي و أثره الدلالي في الأمثال
القياسية

1- الجملة في الأمثال القياسية:

تعد الجملة موضوع الدرس النحوي⁽¹⁾، ولقد تعددت مفاهيمها وتنوعت نظرا لاختلاف آراء العلماء ومناهجهم، فكان للنحاة العرب القدامى اتجاهين في تحديدهم لمفهوم الجملة. اتجه ذهب إلى أن الجملة ترادف الكلام وعلى رأسهم كل من سيبويه (ت 180هـ) وابن جني (ت 392هـ) والزمخشري (ت 538هـ).

لم يستخدم سيبويه في كتابه "الكتاب" مصطلح الجملة، بل استخدم مصطلح الكلام وأراد به الجملة، فقال: « هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن، فقولك: أتيتك أمس وسأيتك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول أتيتك غدا، وسأيتك أمس»⁽²⁾.

أما ابن جني فأقر بالترادف الحاصل بين مفهومي الجملة والكلام حين قال: « أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد»⁽³⁾ وهذا ما ذكره الزمخشري في قوله: « والكلام هو مركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين، كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل اسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، ويسمى الجملة»⁽⁴⁾. فالجملة إذن عند أصحاب هذا الاتجاه هي تركيب مفيد مرادف للكلام.

أما الاتجاه الثاني فقد ذهب إلى أن مفهوم الجملة مخالف لمعنى الكلام، ويمثله كل من رضي الدين الاسترأبادي (ت 686هـ) وابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، وعلي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ).

يقول الاسترأبادي في الفرق بين الجملة والكلام « أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»⁽⁵⁾. فالجملة عند الاسترأبادي أعظم من الكلام إذ

(1) _ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 28.

(2) _ الكتاب، سيبويه، 25/1.

(3) _ الخصائص، ابن جني، 17/1.

(4) _ المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص 32.

(5) _ شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين 8/1.

شرطه الإفادة بخلافها. وهذا ما أكدّه ابن هشام حين قال: «الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد هو ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، نحو قام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، و ما كان، بمتزلة أحدهما نحو: ضرب اللص، وقائم الزيدان، وما كان زيد قائما وظننته قائما... إنها أعم من الكلام إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط وجملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام»⁽¹⁾.

يؤكد الجرجاني ما ذكره ابن هشام في كتابه المغني، حين قال: «الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد، كقولك: زيد قائم، أو لم يفد كقولك: إن يكرمني، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقا»⁽²⁾. ولا يكاد يختلف الأمر كثيرا عند العلماء والباحثين المعاصرين العرب، فقد تعددت مفاهيم الجملة وتنوعت. فالجملة عند إبراهيم أنيس هي: «أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»⁽³⁾، وأما مهدي المخزومي فعرف الجملة بقوله: «هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبيّن المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع... والجملة التامة هي التي تعبر عن أبسط الصور الذهنية التامة التي يحسن السكوت عليها. وتتألف من ثلاثة عناصر رئيسية هي المسند إليه، والمسند، والإسناد»⁽⁴⁾.

ويلخص المخزومي تعريفه للجملة بقوله: «الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، وليس لازما أن تحتوي العناصر المطلوبة كلها، قد تخلو الجملة من المسند إليه لفظا أو من المسند لوضوحه وسهولة تقديره»⁽⁵⁾.

وخلاصة التعريفات السابقة للجملة هي أنها تركيب يحمل دلالة، ولهذا التركيب عناصر ثلاثة إسناد، ومسند، و مسند إليه.

يظهر تأليف الجملة العربية بصورتين تبعا للمسند : فعل مع اسم واسم مع اسم، وبالتعبير

(1) _ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، ص 490

(2) _ التعريفات، الجرجاني، ص 91.

(3) _ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 260، 261.

(4) _ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 31.

(5) _ المرجع نفسه، ص 33.

الاصطلاحى فعل و فاعل أو نائبه، ومبتدأ و خبر، نحو: «أقبل سعيد» و «سعيد مقبل» وكل التعبيرات الأخرى، والصورة الأساسية للحمل التي مسندها فعل هي أن يتقدم الفعل على المسند إليه كما في جملة «أقبل سعيد»، ولا يتقدم الفاعل على الفعل أو بتعبير أدق لا يتقدم المسند إليه على الفعل إلا لغرض يقتضيه المقام. والصورة الأساسية للحمل التي مسندها اسم هي أن يتقدم المسند إليه على المسند، أو بتعبير آخر أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولا يتقدم الخبر إلا لسبب يقتضيه المقام أو طبيعة الكلام⁽¹⁾.

وتنقسم الجملة عند ابن هشام إلى أقسام ثلاث اسمية، وفعلية، وظرفية. فالجملة الاسمية هي التي صدرها اسم، كمحمد حاضر، والجملة الفعلية هي التي صدرها فعل نحو: حضر محمد، وكان محمد مسافراً، وظننت أذاك مسافراً. وجاء في المغني: «ومرادنا بصدر الجملة المسند و المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف..»⁽²⁾.

وتوصل مهدي المخزومي إلى التفريق بين الجملة الاسمية والفعلية، فالجملة الفعلية عنده هي «الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا، أو بعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها... أما الجملة الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت أو يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد»⁽³⁾.

جاء في البرهان في الفرق بين الخطاب بالاسم والفعل: «أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الاستقرار والثبوت، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر، فمنه قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: 18]. لو قيل (بسط) لم يؤد الغرض لأنه لم يؤذن بمزاولة الكلب البسط وأنه يتجدد له شيء بعد شيء، و (باسط) أشعر بثبوت الصفة»⁽⁴⁾. و«الجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على التجدد والاستمرار. وإذا كان خبرها اسما، فقد يقصد به الدوام والاستمرار أو الثبوت بمعونة القرائن. وإذا كان خبرها مضارعا فقد يفيد استمرارا إذا لم يوجد داع إلى الدوام. والجملة الفعلية موضوعة لإحداث الحدث في الماضي

(1) _معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، 16/1.

(2) _مغني اللبيب، ابن هشام، ص492.

(3) _ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 41، 42.

(4) _البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 66/4.

أو الحال فتدل على تجدد سابق أو حاضر وقد يستعمل الاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي»⁽¹⁾.

وجاء في نهاية الإيجاز: «الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت: «زيد منطلق» لم يفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد، وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت (انطلق زيد) أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد، وكل ما كان زمانيا فهو متغير، والتغير مُشعر بالتجدد.... ولأن الإخبار بالفعل مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك. والإخبار بالاسم لا يقتضي ذلك»⁽²⁾. فالتعبير بالفعل يكون في سياقات لا يصلح معها التعبير بالاسم والعكس. وهذا ما أثبتته الجرجاني في قوله: «الاسم يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجددا شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء.... ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، فإذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه يطول ويقصر إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو، كالشجر، والنبات، والصبي ونحو ذلك...، فأما وأنت تتحدث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد، فلا يصلح فيه إلا الاسم»⁽³⁾ تأمل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: 19].

قال الزمخشري: «فإن قلت لم قيل (ويقبضن) ولم يُقْل (قابضات) قلت: لأن الأصل في الطيرن هو رصف الأجنحة، لأن الطيرن في الهواء كالسباحة في الماء. والأصل في السباحة مدُّ الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهارية على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح»⁽⁴⁾.

ومن لطيف ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام 95]. فقد قال عز وجل أولا ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ بالفعل ثم قال بعدها ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بالاسم. ذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء معه بالصيغة الفعلية. وأبرز صفات الميت الصمود والسكون فجاء معه بالصيغة الاسمية⁽⁵⁾. وعليه

⁽¹⁾ _الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص 140.

⁽²⁾ _نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، تحقيق سعد سليمان حمودة، دار المعرفة، 2008، ص 40-41.

⁽³⁾ _دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 123-124.

⁽⁴⁾ _الكشاف، الزمخشري، 254/3.

⁽⁵⁾ _الجملة العربية تألفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان الأردن، ط2(1427هـ-2007م)، ص 164.

فالجملة الفعلية ما دلت على الحدوث والتحدد، أما الجملة الاسمية ما دلت على الثبات والاستقرار. إن الجملة القرآنية بناءً أحكمت لبناتها لا تكاد تنبو الكلمة فيه عن موضعها ولا يمكن استبدالها بغيرها، وفي هذا الصدد يتحدث الرافي فيقول: «وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها وتقع بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك، وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز... فترى اللفظ قارا في موضعه لأنه الأليق به في النظم ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية مما يتقدمه أو يترادف عليه»⁽¹⁾.

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتبين لنا ذلك التنوع في توظيف الجمل بين اسمية وفعلية، إلا أن المتأمل يجد سيطرة (غلبة) الجمل الفعلية على أغلب الأمثال. إذا بلغ تواترها 270 جملة فعلية مقارنة بـ 156 جملة اسمية، وبعد العودة للجمل الوظيفية (لها محل من الإعراب) اسمية كانت أو فعلية وجدت تنوعا واختلافا، فقد أدت هذه الجملة وظائف عدة، فتارة نجدها تؤدي وظيفة نائب الفاعل، أو المفعول به، أو الخبر سواء أكان خبرا لمفرد أو خبرا لناسخ، وتارة أخرى مؤدية وظيفة الحال أو النعت. وهذا ما سنبيّنه فيما يلي بدءاً بالجملة الفعلية الوظيفية وتليها الجملة الاسمية فيما بعد.

1/1- الجملة الفعلية الوظيفية:

أ- الجملة الفعلية الوظيفية المؤدية وظيفة المفعول به:

من الجمل الفعلية المؤدية وظيفة المفعول به ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: 14].

فالجملة الفعلية "آمننا" في محل نصب مفعول به للفعل قالوا ذلك أنها جملة مقول القول، جاءت على لسان المنافقين. وقد بين الزمخشري دلالة توظيف الجملة الفعلية (آمننا) في مخاطبة المنافقين للذين آمنوا بدل الإتيان أو التعبير عن ذلك بجملة اسمية، فقال: «انظر إلى قوله سبحانه وتعالى في وصف المنافقين ﴿وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14]. فقد

⁽¹⁾ _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافي، ص 282.

فرّق بين قولهم للمؤمنين وقولهم لأصحابهم، فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث (آمننا)، وخاطبوا جماعتهم بالجملة الاسمية المؤكدة الدالة على الثبوت والدوام (إنّا معكم) ولم يُسو بينهما، فلم يقولوا (إنّا مؤمنون) كما قالوا (إنّا معكم)، وذلك لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك. وإما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة وفور نشاط وارتياح للتكلم به⁽¹⁾.

- قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف 35]. فجملة مقول القول ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ أدت وظيفة المفعول به للفعل "قال" جاءت منفية.

- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس 20] فأدت جملة ﴿قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وظيفة المفعول به للفعل قال.

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: 24].

فالجملة الفعلية ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ في محل نصب مفعول به للفعل "تر"⁽²⁾، وقد وردت الصيغة "ألم تر" في القرآن الكريم في أكثر من موضع تنوعت بين تعديها بالحرف "إلى" وبين عدم تعديها به، وهذه الصيغة في كل الآيات القرآنية تفيد التعجب. وإذا ورد التعجب بصيغة (ألم تر) ففيها تنبيه ولفت نظر، و ورود الفعل "ترى" بصيغة الحاضر هنا يقصد منه استحضار صورة ذلك الحدث العجيب والأمر العظيم حتى تستحضره النفس كأنه في مواجهتها حتى تكون على بينة منه.

- وأما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ ففيها لفت النظر إلى مثل تشبيهي يضرب كلمة التوحيد الطيبة. والتمثيل بحاجة إلى تأمل وتدبر ملاحظة وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، ليحصل الاتعاض و الادكار. ولم يتعد الفعل "ترى" ب "إلى" في هذا المقام، لقرب كلمة التوحيد وكونها في قلب كل مسلم وعلى لسانه⁽³⁾.

وخلاصة ما سبق أن الجمل الفعلية المؤدية وظيفة المفعول به كانت في معظمها مقول القول

(1) _ الكشاف، الزمخشري، 142/1.

(2) _ دلالة أفعال اليقين إبراهيم خليل أبو عالية، مجلة القدس للأبحاث والدراسات، عدد 32 شباط، 2014م، ص 141-142.

(3) _ الجدول في إعراب القرآن، الصافي 184/13.

ما عدا جملة واحدة وهي ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ التي كانت مفعولا به للفعل "تر".

ب/ الجملة الفعلية المؤدية وظيفة نائب فاعل:

لم يتجاوز عدد الجمل الفعلية المؤدية وظيفة نائب فاعل الجملتين، وكلاهما مقول القول وهما:

-قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:26].

-وقوله عز وشأنه: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: 10].

ففي قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ معلوم من القائل وهو الله تعالى، بالرغم أن الفعل جاء مبنيًا للمجهول، والمقول له معلوم وهو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، والقول هنا قول تكويبي لا يقصد منه المخاطب به بل يقصد حكاية حصوله لأنه إذا حصل حصل أثره، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]⁽¹⁾. فقيل: "قيل له ادخل الجنة" ولم يقل قيل له " لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما⁽²⁾.

وأما قوله تعالى: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ فهذا مثل ضربه الله للذين كفروا "امرأة نوح" و"امرأة لوط"، فقد جعل الله هاتين المرأتين عظة وتنبيها للذين كفروا، وليذكرهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف⁽³⁾، فكان مصير هاتين المرأتين النار، فقال تعالى: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾، وزيادة مع الداخلين لإفادة مساواتهما في العذاب لغيرهما من الكفرة الخونة⁽⁴⁾.

ج/ الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الحال:

من الجمل الفعلية الواردة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم والمؤدية وظيفة الحال مايلي:

-قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15].

فالجملة الفعلية "يعمهون" في محل نصب حال، وجيء في حكاية كلام المنافقين بالمسند الاسمي

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 217/22.

(2) _الكشاف، الزمخشري، 11/4.

(3) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 335/28.

(4) _المرجع نفسه، 337/28.

في قولهم: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة 14] لإفادة كلامهم معنى دوام صدور الاستهزاء منهم وثباته، وجيء في قوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بإفادة التجدد من الفعل المضارع أي تجدد إملاء الله لهم زمانا إلى أن يأخذهم العذاب، ليعلم المسلمون ما عليه أهل النفاق من النعمة إنما هو إملاء، وإن طال كما قال تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (١١٦) ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: 196]⁽¹⁾.

وجملة ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ . وقد أضيف الطغيان لضمير المنافقين ولم يقل في الطغيان إشارة إلى تفضيع شأن هذا الطغيان وغرابته، وإنهم اختصوا به حتى صار يعرف بإضافته إليه⁽²⁾. وجملة "يعمهون" حالية بينت حالة الحيرة والتردد التي تتاب ذلك المنافق، لأن العمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي، و العمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد، لا يدري أين يتوجه⁽³⁾.

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح 29].

فالجملة "يعجب الزارع" جملة فعلية بينت حال ذاك الزرع الذي قوي واستوي، فقد شبه بدء الدين الإسلامي ضعيفا وتقويه يوما بعد يوم حتى استحکم أمره وتغلب على أعدائه بزرع أخرج شطأه، فالنبي دعا إلى الله وحده وانضم إليه نفر قليل ثم قواه الله كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع⁽⁴⁾.

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 05]. فالجملة الفعلية "يحمل أسفارا" وقعت حالا، فقد شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها بالحمار يحمل أسفارا، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب، فلا حظ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم⁽⁵⁾.

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 290/1.

(2) _ المرجع نفسه، 294/1.

(3) _ الكشاف، الزمخشري، 69/1.

(4) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 177/26.

(5) _ الكشاف، الزمخشري 530/4.

-قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]. الجملة الفعلية المنفية (لا يبصرون) بيان لحال المنافقين بعد أن ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات الكفر والغبي والضلال، كما تتضمن هذه الجملة تقرير لمضمون ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ لأن من ذهب نوره بقي في ظلمة لا يبصر⁽¹⁾، كما يشير جمع ظلمات إلى أحوال المنافقين كل حالة منها تصلح لأن تشبه بالظلمة وهي: حالة الكفر، وحالة الكذب، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق⁽²⁾.

لقد تنوعت الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الحال بين الإثبات والنفي، كما اشتملت في معظمها على ضمير يعود على صاحب الحال الذي كان هو الآخر ضميرا تارة وتارة أخرى اسما ظاهرا.

د- صور الجمل الفعلية المؤدية وظيفة النعت:

إن الجمل الفعلية المؤدية وظيفة النعت في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم هي الأوفر حظا في الحضور مقارنة بباقي الجمل الفعلية حيث بلغ عددها حوالي ثلاث وعشرين جملة 23. أما إذا قارناها بالجمل الفعلية المؤدية وظيفة الحال فكانت أكثر من الضعف ومن بين هذه الجمل ما ورد في:

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ [البقرة: 261]. فالجملة الفعلية ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ أدت وظيفة النعت، فقد وُصِفَت الحبة بأنها أنبت سبع سنابل، وقد أُسند الإنبات إلى الحبة مع أن المنبت هو الله... وهذا التمثيل تصوير للإضعاف⁽³⁾، وكيف يضاعف الله أجر المنفق لماله ابتغاء مرضاة الله.

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117]. فمثل الله لنفقة الكافر في بطلانها، وذهابها، وعدم منفعتها بمثل زرع أصابته ريح باردة أو نار، فأحرقته، وأهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء بعد ما كانوا يرجون فائدته ونفعه⁽⁴⁾.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 306/1.

(2) _ المرجع نفسه، 307/1.

(3) _ الكشاف، الزمخشري، 310/1.

(4) _ تفسير القرطبي، 178/4.

وذكر الرازي في قوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وجهان: الأول أنهم عصوا الله، فاستحقوا هلاك حرثهم عقوبة لهم . والثاني أن يكون المراد من قولهم ظلموا أنفسهم هو أنهم زرعوا في غير موضع الزرع أو في غير وقته. لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه⁽¹⁾. والجملة الفعلية (ظلموا أنفسهم) بينت صفة قوم كان ظلمها أفحش ظلم، ذلك أن نفس الإنسان أحب شيء إليه، فإذا ظلمها كان ذلك أفحش من أن يظلم غيره.⁽²⁾

-قوله تعالى: ﴿الْمَ تَرَكَيفَ ضَرْبِ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 24-25]. فالجملة الفعلية ﴿تُوْتِي أَكْلَهَا﴾ بيان لصفة الشجرة التي وصفها الله بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة بها، وذكر الرازي هذه الأوصاف في تفسيره، فقال:

-فالصفة الأولى لتلك الشجرة كونها "طيبة" وذلك يحتمل أموراً، أحدها كونها طيبة المنظر والصورة والشكل، وثانيها كونها طيبة الرائحة، وثالثها كونها طيبة الثمرة، ورابعها كونها طيبة بحسب المنفعة.

- والصفة الثانية قوله: "أصلها ثابت" أي راسخ باق آمن الانقلاب والانقطاع والزوال والفناء.
- والصفة الثالثة قوله: "فرعها في السماء" وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين. الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق، والثاني: أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض فكانت ثمارها نقية طاهرة طيبة.

-والصفة الرابعة: تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات⁽³⁾.

والملاحظ على أوصاف هذه الشجرة تدل على التمام والكمال. وقد تنوعت أوصافها فكانت "اسماً" (طيبة) أو "مركباً اسماً" (فرعها في السماء)، (أصلها ثابت)، أو مركباً فعلياً (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ) الذي جاء خاتم الأوصاف، ليكون مؤكداً ومبيناً لفضل هذه الشجرة الطيبة، فهي ذات عطاء

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، 172/8.

(2) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 333/1.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، 92/19.

دائم متحدد ومستمر غير منقطع.

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: 18]. فقد بين الله تعالى في هذه الآية أن أعمال الكفار بأسرها تصير ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها، وعند هذا يظهر كمال خسرتهم، لأنهم لا يجدون في القيامة إلا العقاب الشديد وكل ما عملوه في الدنيا وجدوه ضائعا باطلا... ووجه المشابهة هنا بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تُطير الرماد وتفرق أجزاءها بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خير، وكذلك كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الأعمال خير ولا أثر⁽¹⁾.

هـ- صور الجمل الفعلية المؤدية وظيفة خبر لاسم مفرد:

لقد تعددت الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الخبر، وتنوعت، فتارة كانت خبرا لاسم مفرد، وتارة أخرى خبرا لناسخ إما لـ كان وأخواتها، أو إن وأخواتها، أو كاد وأخواتها، فقد بلغ عدد الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الخبر لاسم مفرد سبعة عشر (17) جملة وكانت الأكثر تواتر، أما الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الخبر لـ "كان وأخواتها" فبلغ عددها (5) جمل فقط، في حين كانت الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الخبر لـ "إن وأخواتها" 11 أحد عشر جملة، أما الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الخبر لـ كان فكان أقل تواتر بلغ ثلاث (03) جمل فقط. أما الجمل الفعلية المؤدية وظيفة الخبر لاسم مفرد، ما ورد في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 261].

فالجمل الفعلية "يضاعف" أدت وظيفة الخبر للمبتدأ (الله)، فأخبرت بمضاعفة الله أجر المنفقين. والمضاعفة درجات كثيرة لا يعلمها إلا الله، لأنها تترتب على أحوال المتصدق، وأحوال المتصدق عليه وأوقات ذلك وأوانه، والإخلاص، وقصد الامتثال، ومحبة الخير للناس، والإيثار على النفس، وغير ذلك، مما يحف بالصدقة والإنفاق من تأثير في تضعيف الأجر⁽²⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264].

فالجمل الفعلية ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ في محل رفع خبر للمبتدأ "الله" وقد جاءت هذه

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، 83/19.

(2) التحريير والتنوير، ابن عاشور، 514/2.

الجملة منفية وبيّنت أن الله لا يهدي القوم الكافرين.

-قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17].

فقد كانت كل من الجملتين الفعليتين "يذهب جفاء" و"يمكث في الأرض" خبر لاسم مفرد فكانت (يذهب جفاء) خبر لـ "الزبد" و﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ خبر الاسم الوصول "ما". وتضمن قوله تعالى مثلاً ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله و وشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَمَنْ زَرَقْنَاهُ مِتًّا زَرْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: 75].

فالجملة الفعلية "ينفق" جاءت خبراً للمبتدأ "هو"، فأخبر بجملة فعلية ولم يخبر باسم، لأن حقيقة النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد⁽²⁾، فقال "هو ينفق" ولم يقل "منفق"، كما سبق قوله تعالى: (الذين ينفقون) في غير موضع من القرآن الكريم. وقيل كثيراً المؤمنون والمنفقون، لأن حقيقة النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد بخلاف الإيمان فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها وإن غفل عنها، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى ولكل محل ما يليق به⁽³⁾.

و- الجمل الفعلية المؤدية وظيفه خبر كان وأحوالها:

-من الجمل الفعلية المؤدية وظيفه خبر كان أو أحوالها ما ورد في:

-قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122].

إن الجملة الفعلية "يعلمون" خبر للناسخ كان، وقد وردت في سياق المثل الذي ذكره الله لمن هداه بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين الحق والمبطل، والمهتدي والضال، من كان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به، ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص⁽⁴⁾. وأما بناء "زُيِّنَ" للمجهول _حذف فاعل التزيين_ لأن

(1) _الكشاف، الزمخشري، 522/2.

(2) _البرهان، الزركشي، 67/4.

(3) _المرجع نفسه، 67/4.

(4) _الكشاف، الزمخشري، 62/2.

المقصود وقوع التريين لا معرفة من أوقعه⁽¹⁾.

- قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف 177].

يقول تعالى ذكره: ساء مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته، فجحدوها، وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها، ويخسسونها منافعها⁽²⁾. وفي قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أقوى الدلالة على إفادة وصفهم بالظلم. بمعنى أنهم جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم، وتقديم المفعول به في قوله ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ للاختصاص وكأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها⁽³⁾. فما ظلم الكفار إلا أنفسهم وما تعدى أثر ذلك الظلم عنهم إلى غيرهم.

- قوله تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45].

فالجملية الفعلية (تذوره الرياح) جاءت خيرا ثانيا للناسخ أصبح، فبعد أن أخبر بأن نبات الأرض أصبح هشيمًا جاءت الجملة الفعلية "تذوره الرياح" تأكيدًا لحال ومآل ذاك النبات. وتذوره الرياح: تطيره وتفرقه، وفي هذا بيان حال الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفة إلى الهلاك⁽⁴⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت 41].

لقد شبه الله تعالى الكفار في عبادتهم الأصنام وبنائهم أمورهم عليها بالعنكبوت التي تبني بيتا وتجتهد وأمرها كله ضعيف متى مسته أدنى هامة أذهبت، فكذلك أمر أولئك الكفار وسعيهم المضمحل الذي لا قوة له ولا معتمد... وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ليس مرتبطا بقوله ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لأن كل أحد يعلم ذلك، وإنما المعنى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية، لأقلعوا عنه وما اتخذوا الأصنام آلهة،⁽⁵⁾ فنفي

⁽¹⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 35/7.

⁽²⁾ _جامع البيان، الطبري، 275/13.

⁽³⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور 355/8، الكشف، الزمخشري 179/2.

⁽⁴⁾ _جامع البيان، الطبري 30/18، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 185/7.

⁽⁵⁾ _البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 358/8.

الله عزّ وجل كونهم عالمين أو على علم بحال ما يعبدونه من ضعف، وقلة حيلة.

-قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42].

-إن الجملة الفعلية "يقلب كفيه" وقعت خبرا للناسخ "أصبح" فقد أخبرت بندم وتحسر اللذان لحقا بصاحب الجنتين، وتقليب الكفين وهي أن يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظاهرها وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته التأسف على فقدانه⁽¹⁾. فتقليب الكفين حركة يفعلها المتحسر النادم على ما ضاع منه.

ز- صور الجمل الفعلية المؤدية وظيفه خبر "كاد":

بلغ عدد الجمل الفعلية المؤدية وظيفه الخبر لفعل المقاربة "كاد" ثلاث جمل جاءت كلها مثبتة وهي:

1- قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ [البقرة: 20].

فالجملة الفعلية ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ في محل نصب خبر "يكاد"، وجاءت في سياق مثل قياسي ضرب للمنافقين- مثل مائي- وفيه تشبيه لجزع المنافقين من آيات الوعيد بما يعتري القائم تحت السماء حين الرعد والبرق والظلمات، فهو يخشى استكناك سمعة، ويخشى الصواعق حذر الموت، ويغشيه البرق حين يلمع بإضاءة شديدة، ويعمى عليه الطريق بعد انقطاع لمعانه⁽²⁾.

فإذا أضاء لهم البرق مشوا فيه وإذا ذهب بقوا في ظلمة عظيمة متحيرين، لأن من أصابه البرق في تلك الظلمات الثلاث ثم ذهب عنه. تشتد حيرته وتعظم الظلمة في عينه⁽³⁾.

وهذا ما أكدته التعبير ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ وتحديد فعل المقاربة "يكاد" الذي يدل على الدنو والمقاربة⁽⁴⁾.

-قوله تعالى: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكُدُّهُ لَمَّا يَكْدِرُهَا﴾ [النور: 40].

⁽¹⁾ _البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 181/7.

⁽²⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 314/1.

⁽³⁾ _مفاتيح الغيب، الرزاي، 70/2.

⁽⁴⁾ _في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 185.

أدت الجملة الفعلية "يراهها" وظيفة الخبر لفاعل المقاربة "يكد" الذي جاء منفيًا ليدل على انتفاء مقاربة الرؤية ويلزم من ذلك انتفاء الرؤية ضرورة، لأن مدلول كاد المقاربة، ونفي مقاربة الفعل يقتضي عدم وقوعه⁽¹⁾ فقد شُبّهت أعمال الكفار بالظلمة في حيلولتها بين القلب وما يهتدي إليه، فإذا أخرج المخرج يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لم يكد يراها وهي أقرب شيء إليه⁽²⁾.

-وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهُ يَأْضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: 35]

قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن . كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسسه النار فإن مسّته النار زاد ضوؤه، كذلك قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم زاده هدى على هدى ونورا على نور⁽³⁾، وفي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهُ يَأْضِيءُ﴾ مبالغة في حسن الزيت وصفائه وجودته⁽⁴⁾.

ح- الجمل الفعلية المؤدية وظيفة خبر "إن" أو "أخواتها":

-تنوعت الجمل الفعلية المؤدية وظيفة خبر "إن" أو أحد أخواتها بين الإثبات والنفي، ومنها ما ورد في:

-قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران 116].

فالجمل الفعلية المنفية "لن تغني عنهم أموالهم" في محل رفع خبر الناسخ "إن". فقد ذكر الله أن هؤلاء المنافقين يوم القيامة لن تغني عنهم أموالهم فيفتدوا بها من عذاب الله المهين له، ولا أولادهم تغنيهم فينصروهم ويستنقذوهم من الله إذ عاقبهم⁽⁵⁾.

-وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ احتص القول بالكفار دون المؤمنين، ذلك أن المؤمنين تغني عنهم أموالهم التي ينفقونها في وجوه البر فيجنون ثمرتها في الآخرة وتنفعهم أولادهم في الآخرة، فيكونون لهم حجبا من النار ويشفعون فيهم إذا ماتوا صغارا وينفعوهم بالدعاء الصالح كبارا⁽⁶⁾.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 54/8. التحرير والتنوير، ابن عاشور 539/1.

(2) _روح المعاني، الألويسي 375/9.

(3) _ تفسير القرطبي، 264/12.

(4) _ المرجع نفسه، 269/12.

(5) _ جامع البيان، الطبري، 254/23.

(6) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 297/2.

-قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف 176].

فالجملة الفعلية "يتفكرون" المكونة من (فعل وفاعل) جاءت خيرا للناسخ "لعل"، وقد جاءت الجملة ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ تذييلا للقصة المثل بها يشملها وغيرها من القصص في القرآن، لأن في القصص تفكرا وموعظة فيرجى تفكرهم وموعظتهم، لما في الأمثال و استحضار النظائر من شأن عظيم في اهتداء النفوس بها، وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة والمتغافلة، ولما في التنظير بالقصة المخصوصة ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس⁽¹⁾.

والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، ويختلف عن التدبر لأن التدبر نظر في عواقب الأمور وهو قريب من التفكير⁽²⁾. وذكر الرازي أن التفكر عمل القلب، والطاعة عمل الجوارح والقلب أشرف من الجوارح فكان عمل القلب أشرف من عمل الجوارح⁽³⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25]. فالجملة

الفعلية المثبتة "يتذكرون" والمكونة من فعل وفاعل في محل رفع خير للناسخ "لعل". و التذكر هو التأمل وهو بهذه الصيغة لا يطلق إلا على ذكر العقل لمعقولاته أي حركته في معلوماته فهو قريب من التفكير إلا أن التذكر لما كان مشتقا من مادة الذكر التي هي في الأصل جريان اللفظ على اللسان والتي يعبر بها أيضا عن خطور المعلوم في الذهن بعد سهوه وغيبته عنه كان مشعرا بأنه حركة الذهن في معلومات مستقرة فيه من قبل ، وقد أوتر (يتفكرون) في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءآيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة 219]. للإشارة إلى أن الاستدلال على وحدانية الله تعالى قد تقرر في النفوس بالفطرة وبما تقدم لهم من الدعوة والأدلة، فيكفي في الاستدلال مجرد إخطار هذه الأدلة في البال⁽⁴⁾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25] أوتر يتذكرون لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني⁽⁵⁾. فكان في ضرب الأمثال

(1) _التحري والتنوير، ابن عاشور، 355/8.

(2) _التعريفات، الجرجاني، ص76.

(3) _مفاتيح الغيب، الرازي، 173/2.

(4) _التحري والتنوير، ابن عاشور، 15/11.

(5) _الكشاف، الزمخشري، 553/2.

تذكيرهم بحجة الله عليهم فيعتبروا بها ويتعظوا، فيترجعوا عما هم عليه من الكفر به (1).

-قوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس 25].

فالجملية الفعلية "آمنت" حلت محل خبر للناسخ "إن"، وتضمنت تصريحاً بالإيمان وصدعاً بالحق، فقال الرجل - الذي جاء يسعى - مخاطباً قومه "إني آمنت" بربكم أي الذي كفرتم به "فاسمعون" أي اسمعوا قولي و أطيعون (2).

وجملة (إني آمنت بربكم) واقعة موقع الغاية من الخطاب والنتيجة من الدليل. وفي هذا إعلان لإيمانه الرجل الذي جاء يسعى وتسجيل عليهم بأن الله هو ربه لا تلك الأصنام. وقد أكد الإعلان - بالإيمان - بتقريع (فاسمعون) استدعاءً لتحقيق أسماعهم أن كانوا في غفلة (3). فكان صوته إعلاءً لكلمة الحق التي طالما دعى قومه إليها، ورفضوا، وكذبوا، وبالغوا في ظلمهم له.

-قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 42].

فالجملية الفعلية المثبتة "يعلم" في محل رفع خبر للناسخ "إن". ولما نفى الله العلم بما تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم - الكفار - التي يعبدونها وقلة جدواها بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 42].

أعقبه بإعلامهم بعلمه بدقائق أحوال تلك الأصنام على اختلافها، واختلاف معتقدات القبائل التي عبدتها. ومن آثار علمه بها ضرب ذلك المثل لحال من عبدوها - الأصنام - وحالها أيضاً دفعاً بهم إلى أن يتهموا عقولهم، وأن عليهم النظر في حقائق الأشياء تعريضا بقصور علمهم (4).

2 / 1 - الجملة الاسمية الوظيفية:

أ - الجمل الاسمية المؤدية وظيفية المفعول به:

تنوعت الجمل الاسمية المؤدية وظيفية المفعول به بين الإثبات والنفي، فكانت إما جملة محكية

(1) - جامع البيان، الطبري، 567/16.

(2) - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 57/9.

(3) - التحرير والتنوير، ابن عاشور 216/22.

(4) - المرجع نفسه، 173/20.

(مقول القول) للفعل "قال" المبني للمعلوم، وإما مفعولا به لفعل متعد إلى أكثر من مفعول نحو: اعلم، ظن، ومن بين هذه الجمل الاسمية ما ورد في:

-قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يونس:24].

فالجملة الاسمية المنسوخة "أنهم قادرون" سدت مسد مفعولي "ظن"، والظن اسم لما يحصل عن أمانة ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حدّ التوهم، ومتى قوي أو تصوّر تصوّر القوي استعمل معه (أنّ) المشددة و(أن) المخففة.

وقوله ﴿وَضَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾: تنبيه بكونهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم وأملهم⁽¹⁾. ولأن في قوله تعالى: «إنما مثل الحياة الدنيا» صيغة القصر لتأكيد المقصود من التشبيه، وهو سرعة الانقضاء ولتتريل السامعين منزلة من يحسب دوام بهجة الحياة الدنيا، لأن حالهم في الإنكباب على نعيم الدنيا كحال من يحسب دوامه وينكر أن يكون له انقضاء سريع ومفاجئ، فشبهت حالة الحياة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد البهجة به، وتزايد نضارتها بحال نبات الأرض في ذهابه حطاما ومصيره حصيدا⁽²⁾.

-وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي قادرون على حصادها والانتفاع بها، ومعنى القدرة عليها: التمكن من تحصيلها، ومنفعتها، ورفع غلتها لحسن نموها، وسلامتها⁽³⁾. فقد دلّت الجملة الاسمية "أنهم قادرون عليها" على أنهم مستمرون على الانتفاع بها محصلون لثمراتها. فأطلق على التمكن من الانتفاع ودوامه لفظ القدرة⁽⁴⁾. فحملت الجملة الاسمية هنا دلالة الثبات والاستمرار ولم تحد عنها.

-قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ﴾ [الحديد:20].

افتتحت الجملة الفعلية المركبة ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ﴾ "اعلموا" للاهتمام بما تتضمنه ولحث المخاطبين على التأمل فيما بعده، وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خير أو طلب فهم بـ "اعلم" أو "تعلم" لفتنا لذهن

(1) _المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 539.

(2) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 59/11.

(3) _البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 117/5. الكشاف، الزمخشري، 341/2.

(4) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 60/11.

المخاطب، وفيه تعريض غالباً بغفلة المخاطب عن أمره....فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للاهتمام كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة 196] وقوله أيضاً ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ﴾ [الحديد 20] وقوله عزّ شأنه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال 25]⁽¹⁾.

واللعب عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش، ليست له غاية مفيدة، بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت، واستجلاب العقول في حالة ضعفها، كعقل الصغير، وعقل المتعب، وأكثره أعمال الصبيان.

وأما اللهو فهو ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب في الاشتغال به عقله، فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع، ولذة، وملائمة للشهوة⁽²⁾. وقد قُدم اللعب هنا على اللهو، لأن اللعب زمان الصبا، واللهو زمان الشباب، وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو⁽³⁾.

- وفي قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ﴾ إشارة إلى أن الدنيا ليست إلا محقرات الأمور، وهي اللعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر. وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام. وهي العذاب الشديد، أو النعيم، والمغفرة، ورضوان الله⁽⁴⁾. فسدت ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ﴾ مسدّ مفعولي الفعل "اعلموا".

-قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَيْكُمْ لِمَنْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْنًا لَمْ نَتْنَهُوْا لِرَجْمِكُمْ وَلَيْمَسِّنْكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَٰغِيْرُكُمْ مَعَكُمْ (١٩) [يس 13-18].

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 69/9.

(2) _المرجع نفسه، 96/6.

(3) _البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 121/1.

(4) _الكشاف، الزمخشري، 478/4.

فاشتملت الآيات 13-18 من سورة يس على ست (6) جمل اسمية أدت وظيفة المفعول به للفعل "قالوا" وجملة واحدة كانت مفعولا به للفعل "يعلم". وقد تضمنت هذه الآيات الحوار الذي جرى بين رسل عيسى وأصحاب القرية المكذّبين المنكرين، فكانت هذه الجمل في مجملها مؤكّدة. ويُؤتي بالتأكيد للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجا ألقى إليه الكلام خاليا من التأكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان مُنكرا وجب تأكيده. ويراعي في القوة والضعف بحسب حال المنكر، ففي قوله تعالى عن رسل عيسى ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَنَا لِيُبَيِّنَ لَنَا مَا كُنَّا كُفِّرُوا﴾ [يس: 16]، توكيدا ذلك أن الكفار نفوا رسالتهم بثلاثة أشياء. أحدها قولهم (ما أنتم إلا بشر مثلنا). والثاني قولهم ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، والثالث قولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ . فقبلوا على نظيره بثلاثة أشياء. أحدها قولهم ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَنَا لِيُبَيِّنَ لَنَا مَا كُنَّا كُفِّرُوا﴾ ووجه التأكيد فيه أنه في معنى القسم. والثاني: قوله ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ والثالث قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁽¹⁾.

-فقد تفاوت التأكيد بحسب قوة إنكار أصحاب القرية، فأكد في المرة الأولى ب"إن"، واسمية الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ . وفي المرة الثانية أكد بأكثر من توكيد فكان بـ "القسم" في قوله ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَنَا لِيُبَيِّنَ لَنَا مَا كُنَّا كُفِّرُوا﴾ وب "إنّ واللام" في قوله ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ وباسمية الجملة كذلك لأن المخاطب بلغ حد الإنكار لما قال أهل القرية ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

-وأما قول الرسل ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ كان يوجب تفكرهم في أمرهم حيث لم يطلبوا من أهل القرية أجرا ولا قصدوا رياسة. وإنما كان شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحمل العاقل على النظر⁽²⁾. ووصل بأصحاب القرية حد الإنكار إلى تأكيد تطيرهم بالرسول، فقالوا: ﴿إِنَّا تَطِيرَنَا بِكُمْ﴾⁽³⁾ فأجاب المرسلون بقولهم «قالوا طائرکم معکم» أي شؤمکم معکم. وهو الكفر على ما ذكره الرازي⁽³⁾.

(1) _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 391/2.

(2) _ مفاتيح الغيب، الرازي، 47/26.

(3) _ المرجع نفسه، 47/26.

وقد جاء إطلاق الطائر على معنى الشؤم في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف 131] على طريق المشاكلة، ومعنى "طائركم معكم": الطائر الذي تنسبون إليه الشؤم هو معكم، أي في نفوسكم أراد أنكم لو تدبرتم لوجدتم أن سبب ما سميتوه شؤماً هو كفركم وسوء سمعكم للمواعظ⁽¹⁾.

وذكر أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن «أن طائركم معكم، معناه حظكم من الخير والشر»⁽²⁾.

ب_ صور الجمل الاسمية المؤدية وظيفة الحال:

من الجمل الاسمية المؤدية وظيفة الحال في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم ما ورد في

- قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران 116].

فالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ (هم) ضمير الرفع المنفصل والخبر (خالدون) في محل نصب حال، فهي بيان لحال الكفار المشار إليهم بأنهم أصحاب النار، والصحة الاقتران بالشيء والغالب في العرف أن تطلق على الملازمة، والصاحب: الملازم إنساناً كان، أو حيواناً، أو مكاناً، أو زماناً ولا فرق بين أن تكون مصاحبه بالبدن_ وهو الأصل و الأكثر- أو بالعناية والهمة، ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته⁽³⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ معناه هم فيها لا يثون من غير أمد ولا نهاية. والمراد هنا الملازمة الدائمة⁽⁴⁾. وجاء التعبير عن دوام ملازمتهم ومكوئهم بالنار بجملة اسمية دلت على أنهم ملازمون للنار خالدون فيها.

- قوله تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۚ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَطْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۗ﴾ [٣٢] وكان له، ثم قال لصاحبه وهو يحاوره: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ۗ﴾ [٣٤] ودخل جنته، وهو ظالم لنفسه. قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ۗ﴾ [٣٥] وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ۗ﴾ [٣٦] قال له صاحبه،

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 211/22.

(2) _ مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد، مكتبة الحانجي القاهرة، د.ت، 159/2.

(3) _ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 476.

(4) _ جامع البيان، الطبري، 317/4.

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ [الكهف: 32-37].

اشتملت الآيات 32-37 من سورة الكهف على ثلاث جمل اسمية كانت بيانا للحال، فوَقَعَتْ في محل نصب حال وهي ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ والمتأمل يجد لها تركيبا يكاد يكون واحدا. إذ تكونت كل هذه الجمل من ضمير رفع منفصل (هو) الذي كان مبتدأ، وخبرا كان جملة فعلية ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أو اسم فاعل ﴿ظَالِمٌ﴾.

فالجملتان ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ بيان لحال صاحب الجنتين. أما الجملة الثانية من نفس التركيب ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ كانت لصاحبه-صاحب الرجل صاحب الجنتين- وذكر ابن عباس أنهما أخوان من بني إسرائيل مات أبوها وترك لهما مالا، فاشتري أحدهما أرضا وجعل فيها جنتين وتصدق الآخر بماله فكان من أمرهما في الدنيا ما قصه الله تعالى في سورة الكهف وحكي مصيرهما في الآخرة بما حكاها الله في سورة الصافات الآيات (50-52).

والصاحب هنا بمعنى المقارن في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل. والمحاورة مراجعة الكلام بين متكلمين. وقد دلَّ فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح فراجعه الكلام بالفخر عليه والتطاول وشأن أهل الغطرسة والنقائص أن يعدلوا عن الجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء⁽¹⁾ بقوله ﴿أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ بقوله فردَّ عليه صاحبه ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.

- وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بيان لحال صاحب الجنتين فهو مُشْرِكٌ مُكذِبٌ بالبعث بَطْرٌ بنعمة الله عليه⁽²⁾. فأخبر عن تكذيبه وبيان حاله بجملة اسمية أكدَّت ضلال صاحب الجنتين وبعده عن الحق.

- قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَلْبَسُ كَفِّيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 42].

فالجملته الاسمية المكونة من ضمير الرفع المنفصل "هي واسم الفاعل "خاوية" في محل نصب

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 64/15.

(2) _المرجع نفسه، 63/15.

حال، فقد بينت الحال التي آلت إليها الجنتين بعد أن أحيط بثمرها، فالخاوية: الفارغة من السكان والبناء. والعرش السقف ومعنى قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي ساقطة على سقفها وذلك أشد الخراب، لأن أول ما يسقط من البناء السقف ثم تسقط الجدران على تلك السقف⁽¹⁾ فكانت الجملة الاسمية "هي خاوية" مؤكدة لنهاية حتمية لمن تعزز بالدنيا واغتر بها وكفر بأنعم الله عليه وأنكر الفناء والبعث فظلم بكل ذلك نفسه أفحش ظلم.

- قوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس 21]. لقد بينت الجملة الاسمية ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ حال الرسل فكانت في محل نصب حال في قوله تعالى: دلالة على ثباتهم على الاهتداء فهم لا يسألون أجرا، والأجر يصدق لكل نفع دنيوي يحصل لأحد من عمله فيشمل المال والجاه والرئاسة، فلما نفى عنهم أن يسألوا أجرا فقد نفى عنهم أن يكونوا يرمون من دعوتهم إلى نفع دنيوي يحصل لهم، فجاءت الجملة الأولى فعلية وصفية لأن المقصود نفى أن يحدث منهم سؤال أجر فضلا عن دوامه وثباته وجاءت الجملة الثانية اسمية لإفادة إثبات اهتدائهم ودوامه بحيث لا يخشى من تبعهم أن يكون في وقت من الأوقات غير مهتد⁽²⁾.

فجاءت الجملة الاسمية حالية مؤكدة بأن الرسل لا يسألون الأجر ولا ما يتبعه من مال أو جاه أو سلطان فهم مهتدون لا حاجة لهم بـ ذلك الأجر الدنيوي.

ج- صور الجمل الاسمية المؤدية وظيفه النعت:

- من الجمل الاسمية المؤدية وظيفه النعت في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم ما ورد في:

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم 24-25].

فالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ "أهل" والخبر "ثابت" في أصل محل جر نعت للشجرة التي وصفت بأكثر من وصف، فلما شُبِّهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كان أصل الكلمة ثابتا في قلوب أهل الإيمان وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هي فرعها يصعد إلى السماء

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 509/2.

(2) _ المرجع نفسه، 214/22.

إلى الله تعالى، وأمّا الأوصاف الأربعة التي وُصفت بها الشجرة فهي:

-الأول: كونها طيبة كريمة المنبت.

-الثاني: رسوخ أصلها، وذلك يدلّ على تمكنها وأنّ الرياح لا تقصفها.

-الثالث: علو فرعها، وذلك يدلّ على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها.

-رابعاً:ديمومة وجود ثمرتها، وحضورها في كل الأوقات⁽¹⁾.

فقد أفادت الجملة الاسمية "أصلها ثابت" دلالة الدوام والثبوت، فالشجرة ثابتة راسخة لا تتمكن منها الرياح. وأما وصف الشجرة بالجملة الفعلية "تؤتي أكلها" فتأكيد على دوام واستمرار عطاها فهي في حالة عطاء متجدد، وعن ابن عباس قال: "الكلمة الطيبة" شهادة أن لا اله إلا الله والكلمة الخبيثة كلمة "الشرك"⁽²⁾.

وقد قوبلت أوصاف الشجرة الطيبة بأوصاف الشجرة الخبيثة: فالجملة ﴿أَجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ صفة الشجرة الخبيثة والاجتثاث قطع الشيء كله. وقوله تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ تصوير لـ ﴿أَجْتَثَّتْ﴾ وهذا مقابل قوله تعالى في وصفه الشجرة الطيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ وجملة ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ تأكيد لمعنى الاجتثاث⁽³⁾.

فالملاحظ هنا تنوع الجمل الواصفة للشجرتين بين "فعلية" و"اسمية"، فكانت كلمة الإيمان راسخة رسوخ الشجرة الطيبة. و أما كلمة الكفر فمجتثة مقتلعة لا أصل لها ولا فرع.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:19].

-إن الجملة ﴿فِيهِ ظُلُمٌ﴾ وصف للصيب، والصيب الفاعل من قولك صاب المطر يصب صوباً إذا انحدر ونزل⁽⁴⁾ وقد جاءت كلمة (صيب) نكرة لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل⁽⁵⁾.

(1) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 432/6.

(2) _الكشاف، الزمخشري 553/2.

(3) _التحريير والتنوير، ابن عاشور، 250/12.

(4) _جامع البيان، الطبري، 333/1.

(5) _ الكشاف، الزمخشري، 78/1.

- والصيب مستعار للقرآن وهدى الإسلام، والظلمات مستعار لما يعترى الكافرين من الوحشة عند سماعه، كما تعترى السائر في الليل وحشة الغيم، لأنه يحجب عنه ضوء النجوم والقمر. والرعد مستعار لقوارع القرآن و زواجره، والبرق لظهور أنوار هديه من خلال الزواجر⁽¹⁾.

فبعد أن وصف الله وقوع المنافقين في ضلالتهم وما حبطوا فيه من الحيرة والدهشة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، أعاد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى، فهو تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جواذب أو دوافع حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القران وإرشاده، وجاذب الشر بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث، وأنوار، وأكدار⁽²⁾. فالمنافق في ظلمة داجية لا مخرج له منه، فهو يتخبط فيها جاحدا لفضل الله عليه كافرا بأنعمه.

- قوله تعالى: ﴿أَوْ كُظُمْتُ فِي بَحْرٍ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ مِنْ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْ بِهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: 40]. وفي قوله تعالى هذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات في بحر لجي، ونسب البحر إلى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه، والبحر اللجي مثل لقلب الكافر... عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلال والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله ذلك بأن ختم الله عليه، فلا يعقل عن الله، وختم على سمعه فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر بما حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض⁽³⁾.

وعن ابن عباس قال: ﴿ظُلُمْتُ مِنْ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ الظلمات هي أعمال الكفار، والبحر اللجي قلب الإنسان وقوله تعالى: ﴿ظُلُمْتُ مِنْ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾. يعني بذلك الغشاوة التي على القلب، والسمع، والبصر⁽⁴⁾.

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 312/1.

(2) _المرجع نفسه، 310/1. الكشاف، الزمخشري، 80/1.

(3) _جامع البيان، الطبري، 197/19.

(4) _المرجع نفسه، 198/19.

قد تنوعت الأوصاف وتعددت، فوصفت أعمال الكفار بالظلمات، ووصف البحر باللحي فكان تمثيلاً لقلب ذلك الكافر، وكما وُصف الموج بأنه فوقه موج، و وُصف الموج بأن من فوقه سحب، وكل ظلمات لا نور فيها، و وُصفت جميع أنواع هذه الظلمات (بعضها فوق بعض) تأكيداً للظلام الحالك وشدته، فتنوعت الظلمات و ازدادت شدة وحلكة، فكانت صورة صادقة وحية لقلب الكافر وعمله.

د- صور الجمل الاسمية المؤدية وظيفة الخبر لاسم مفرد:

كثيراً ما أُخبر عن الاسم المفرد بجمل اسمية لم تخرج في مجملها عن دلالتها على الثبات والدوام. ومن بين الجمل الاسمية الواردة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم والمؤدية وظيفة الخبر لاسم مفرد، ما ورد في:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور 39].

فقد أخبرت الجملة الاسمية المشار إليها بسطر ﴿أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ عن المبتدأ "الذين". فقد شبه الله عزّ وجلّ أعمال الكفار في فوات نفعها، وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً، و شبهها ثانية في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب⁽¹⁾.

- قوله تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18].

إن الجملة الاسمية "هو الضلال البعيد" المكونة من ضمير الرفع المنفصل "هو" والخبر الأول "الضلال" والخبر الثاني "البعيد" في محل رفع خبر لاسم الإشارة ذلك.

والضلال هو العدول عن الطريق المستقيم و يضاده الهداية، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: 15]. ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً⁽²⁾.

- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ يعني أعمال الذين كفروا التي كانوا يعملونها

(1) _الكشاف، الزمخشري، 244/3.

(2) _المفردات، الراغب الأصفهاني، 509.

في الدنيا يشركون فيها مع الله شركاء هي أعمال عملت على غير هدى واستقامة، بل على جور عن الهدى بعيد، وأخذ على غير استقامة شديد⁽¹⁾.

وجملة ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ تذييل جامع لخلاصة حالهم - الذين كفروا - وهي أنها ضلال بعيد والمراد بالبعيد البالغ نهاية ما تنتهي إليه ماهيته أي بعيد في مسافات الضلال. والبعيد المتجاوز الحد المعروف في مدى الضلال، وإنما جعله بعيدا لفوات استدراكه بالموت⁽²⁾.

- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۗ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 37-38]. قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالا وولدا، وهو يحاوره ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي خلق أباك آدم من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا، أراد بكل ذلك تذكيره بأنعم الله عليه وحقيقة خلقه لأنه اعتر بنفسه وبما يملكه، فبين من هو أقل مالا وولدا بأنه لا يشرك مع الله أحدا غيره، فقال: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾. والجملة (لكننا هو الله ربي) أصلها لكن أنا، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت النون فكان الإدغام⁽³⁾.

وذكر الطبري في تفسيره معنى قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ فقال معناه "أنه يقول ولكن أنا أقول هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا"⁽⁴⁾. فقوله ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ إقرار بتوحيد الله وعدم إشراك لأحد له، فكانت الجملة الاسمية (الله ربي) خبرا لضمير الشأن "هو" والجملة المكونة من "هو" و"الله ربي" خبر لـ "أنا"⁽⁵⁾.

2- التراكيب اللغوية في الأمثال القياسية:

- تعددت التراكيب اللغوية في الأمثال القياسية وتنوعت بين الإخبار والنفي والشرط والاستفهام والأمر والنهي والنداء الدعاء... وتنوعت تبعا لذلك مقاصدها الدلالية.

(1) _جامع البيان، الطبري، 554/16.

(2) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 156/17، تفسير القرطبي، 354/9.

(3) _مجاز القرآن، أبو عبيدة، 403/1.

(4) _جامع البيان، الطبري، 23/18.

(5) _الكشاف، الزمخشري، 122/2، الجدول في إعراب القرآن، الصافي، 187/15.

1/2_ التركيب الشرطي:

الشرط أسلوب لغوي ينبنى بالتحليل على جزئين، الأول مُترَل مُترلة السبب، والثاني مُترَل مُترلة المُسبب. ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول⁽¹⁾.

وجاء في المقتضب للمبرد: «معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره»⁽²⁾. وأصل الشرط والجزاء أن يتوقف الثاني على الأول، بمعنى أن الشرط إنما يستحق جوابه لوقوعه هو في نفسه، كقولك، (إن زرتني أحسن إليك)، فالإحسان إنما يستحق بالزيارة⁽³⁾.

والشرط إلزام الشيء والتزامه. ونقل في الاصطلاح إلى تعليق حصول مضمون جملة بحصول أخرى⁽⁴⁾. فإذا وقع الأول وقع الثاني، وقد تخرج عن ذلك فلا يكون الثاني مسبباً عن الأول ولا متوقفاً عليه وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف 176]. فلهث الكلب ليس متوقفاً على الحمل عليه أو تركه فهو يلهث في كل حال، وإنما ذكرت صفته فقط، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [أل عمران: 32]. والله لا يجب الكافرين إذا تولوا أو لم يؤمنوا، فليس الثاني مشروطاً بالأول ولا مسبباً عنه. ونحو قوله عز وجل: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر 14]. فهم لا يسمعون الدعاء سواء دعوهم أم لم يدعوهم، كتب الله عليهم عدم السماع⁽⁵⁾. كما لا يكون مضمون الشرط والجزاء متعقباً لمضمون الشرط، بل يكون مقارناً له في الزمان نحو: «إن كان هناك نار كان هناك احتراق» و «إن كان احتراق فهناك نار»⁽⁶⁾.

فالشرط والجواب ليسا دائماً بمتزلة السبب والمسبب، فقد يخرج عن هذا إلى حالات أخرى يفصح عنها التركيب اللغوي. ذلك لأن الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغته، وإنما يتحصل

(1) في النحو العربي، مهدي المخزومي، 284.

(2) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظمة، عالم الكتب 1963هـ، 46/2.

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 354/2.

(4) كشاف اصطلاحات الفنون، التنهاوي، 752/3.

(5) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، 53/4 وانظر أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن، صبحي عمر شو، دار الفكر، ط1، 2009، ص 10.

(6) شرح الكافية الشافية. رضي الدين 27/3.

الزمان من بناء الجملة، فقد تشتمل على زيادات تعيين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة⁽¹⁾. ويشير ابن جني إلى معنى دلالة الزمن الصرفية بقوله: « وقوله "إن قُمتَ قُمتُ" تجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع، وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى الفعل المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي والمقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع مترقب»⁽²⁾. وقد جاء فعل الشرط بصيغة الماضي في سور كثيرة من القرآن الكريم، فقد ورد فعل الشرط وجوابه ماضيين أربعاً وعشرين مرة (24)، و ورد فعل الشرط ماضياً 108 مرة، كما ورد فعل جواب الشرط ماضياً 17 مرة... وينصرف المضارع للاستقبال مع أدوات الشرط في مواطن كثيرة وفي أغلب أساليب الشرط حتى وإن كانت أداة الشرط غير جازمة أو كانت الصيغة فعلاً للشرط أو جواباً له. ووجه الكلام و أحسنه عند جمهور النحاة أن يكون فعلاً الشرط مضارعين، لأن الفعل المضارع أصلح للدلالة على الاستقبال من صيغة فعل⁽³⁾.

وذهب النحاة إلى أن القصد من مجيء الشرط ماضياً وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع، وهذا ما فسروا به التعبير عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية في غير الشرط أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

وقد يكون ذلك لأسباب أخرى كالتفاوت، أو إظهار الرغبة في وقوعه، نحو: "إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام"، فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه، فربما يخيل إليه حصوله⁽⁴⁾.

وقد يفيد التعبير بالفعل الماضي افتراض حصول الحدث مرة، في حين أن المضارع قد يفيد افتراض تكرار الحدث وتجده، قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتَوَّوْهَا أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 271]. فجاء بالفعل المضارع هنا وذلك لأن هذه الأحداث تتكرر وتجدد.

(1) _الفعل زمانه و أبيضته، إبراهيم السامرائي، ص 29.

(2) _الخصائص، ابن جني 105/3.

(3) _الزمن في القرآن الكريم، بكرى عبد الكريم، ص 242.

(4) _البرهان، الزركشي، 358/2.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 230]. فجاء بالفعل الماضي وذلك لأن الطلاق لا يتكرر تكرر الصدقات، وقال أيضا: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [البقرة: 236]. ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: 237].

-وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12] فجاء ﴿يَشْكُرُ﴾ بصيغة المضارع و﴿كَفَرَ﴾ بصيغة الماضي. وذلك لأن الشكر يتجدد ويكثر وليس كذلك الكفر، فإن الكفر يحصل ابتداءً ويبقى صاحبه عليه إلا إذا شاء الله. فالشكر عمل يومي متجدد بخلاف الكفر الذي هو الاعتقاد⁽¹⁾.

وإذا ما نظرنا إلى التراكيب الشرطية الواردة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم وجدنا تنوعا في أدوات الشرط، فتارة وُظفت أدوات دلّت على الشرط أصالة، وهي "إن وإذا ولو" وشغلت حيزا أكبر مقارنة بالطائفة الثانية من الأدوات التي هي كنايات تدل على الأشخاص، والأشياء، والأزمنة، والأمكنة، والأحوال، وغيرها أصالة. ومنها "ما، مهما، من، أينما، حيثما، أنى، لما، أما". ونبدأ بالطائفة الأولى التي اشتملت على كل من "إذا"، "إن" و"لو". وقد جعل النحاة "إن" على رأس حروف الشرط لاعتبارات كثيرة منها أنها لا تحيد عن الشرط في الاستعمال، ومنها أن التركيب الشرطي يطرد بها أكثر من غيرها، حيث أنها استعملت 572 مرة في القرآن من مجموع 1379 مرة استعمل فيها التركيب الشرطي⁽²⁾.

وقد زعم أهل المعاني أنها تستعمل مع المشكوك في وقوعه، فقال الخطيب في الإيضاح "إن الأصل في "إن" ألا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه، كما تقول لصاحبك: «إن تكرمني أكرمك. وأنت لا تقطع بأنه يكرمك»⁽³⁾. وجاء في المقتضب للمبرد: «وإن إنما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ _معاني النحو، فاضل صالح السامرائي 59/4.

⁽²⁾ _الزمن في القرآن، بكرى عبد الكريم، ص 242.

⁽³⁾ _الإيضاح، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1424هـ-2003م)،

ص 67.

⁽⁴⁾ _المقتضب، المبرد، 55/2.

وجاء في الطراز: «أنَّ "إن" لا تقع إلا في المواضع المحتملة المشكوك فيها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [أنفال: 61]. وقوله أيضا: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: 4]. فإن استعملت في مقام القطع فيما أن يكون على جهة التجاهل وأنت قاطع بذلك الأمر ولكنك تُري أنك جاهل به وإمّا على أن المخاطب ليس قاطعا بالأمر وإن كنت قاطعا به، كقولك لمن يكذبك فيما تقوله وتخبر به «إن صدقت فقل لي ماذا تفعل؟». وإما لتزليل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم وهذا كما يقول الأب لابن لا يقوم بحقه: «إن كنت أباك فاحفظ لي صنيعي فيك»⁽¹⁾.

وتقتضي "إن" الشرطية تعليق شيء لا تستلزم تحقق وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ [الزخرف: 81]، وعادة كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 35]⁽²⁾. كما تستعمل "إن" في المعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في حصولها، والموهومة، والنادرة، والمستحيلة، وسائر الافتراضات الأخرى، فهي لتعليق أمر بغيره عموما. فمن المعاني المحتملة الوقوع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: 191]. ومن المعاني المشكوك في حصولها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقْرَمَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: 143].

ومن المعاني المفترضة التي لا وقوع لها في المشاهدة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ [القصص: 71]. ومن المعاني المستحيلة قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْمَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ [الرحمن 33]⁽³⁾.

كثيرا ما يفرق النحاة بين "إن" و "إذا". فجاء في الإتيان للسيوطي: «تختص "إذا" بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع بخلاف "إن" فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر. ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: 6]. ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾

(1) _ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، 1914م، د.ط، 299/3.

(2) _ الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص 69.

(3) _ معاني النحو، فاضل السامرائي، 69/4.

[المائدة 6]، فأتى ب "إذا" في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه، وبـ "إن" في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة إلى الحدث.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا﴾ [الأعراف: 131] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: 36]. قد أتى في جانب الحسنه بـ "إذا" لأن أنعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، وبـ "إن" في جانب السيئة، لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها⁽¹⁾.

وذكر سيويه أن "إذا" تجيء وقتا معلوما ألا ترى أنك لو قلت: آتيتك إذا أحمر البسر كان حسنا، ولو قلت (آتيتك إن أحمر البسر) كان قبيحا و"إن" أبدا مبهمه وكذلك حروف الجزاء⁽²⁾.

وهذا ما ذكره الزركشي حين قال: «إن تستعمل في المحتمل المشكوك فيه، ولهذا يقبح: إن أحمر البسر كان كذا، وإن انتصف النهار آتت، وتكون "إذا" للجزم، فوقوعه إما تحقيقا، نحو إذا طلعت الشمس كان كذا، أو اعتبارا»⁽³⁾ و أشار في موضوع آخر بقوله: «وأما "إذا" فلما كانت في المعاني المحققة غلب لفظ الماضي معها، لكونها أدل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: 131]، فجيء بلفظ الماضي مع إذا في جواب الحسنه حيث أريد مطلق الحسنه لا نوع منها، ولهذا عرّفت تعريف العهد ولم تنكر كما نكر المراد به»⁽⁴⁾.

وإذا نظرنا إلى الجمل الشرطية التي آدتها "إن" وجدنا نظام الجملة فيها يتخذ أشكالا مختلفة، ويحمله السياق دلالات متعددة، منها ما ورد في:

-قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ [البقرة: 265]. وهذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن، يقول ليس لخيره خُلْف، كما ليس لخير هذه الجنة خُلْف على أي حال إمّا وابل، وإمّا طل⁽⁵⁾. ففي التركيب الشرطي ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ [البقرة: 265] تأكيد منه تعالى لمدح هذه الربوة بأنها إن

(1) _ الإقناع، السيوطي، 149/1.

(2) _ الكتاب، سيويه، 433/1.

(3) _ البرهان، الزركشي، 360/2.

(4) _ المرجع نفسه، 362/2-363.

(5) _ جامع البيان، الطبري، 540/5.

لم يصبها وابل فإن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين، وذلك لكرم الأرض وطيبها⁽¹⁾.

والإنفاق لا ابتغاء مرضاة الله له ثواب عظيم، وهو مع ذلك متفاوت على مقدار تفاوت الإخلاص في الابتغاء والتثبوت، كما تتفاوت أحوال الجنات الزكية في مقدار زكائها، ولكنها لا تخيب صاحبها⁽²⁾.

-قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ﴾ [الأعراف 176]. فقد تضمن هذا التركيب الشرطي ذكر صفة الكلب الملازمة له. قال ابن عباس: «شبه المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه على تحصيلها، ولزومه ذلك بالكلب في حالته التي هي ملازمة له، حالة تهيجه وتركه، وهي كونه لا يزال لاهثا وهي أحسن أحواله وأرذلها»⁽³⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ﴾ [الحج: 73] فقد دلّ التركيب الشرطي هنا على إظهار العجز والضعف وقلة الحيلة لما يعبد من دون الله من الآلهة و الأصنام، فإن يسلبهم الذباب شيء مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه، فقد اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلبا لما تسلبه، وتعجيز كل من دونه عن خلق مثله مع التضافر والاجتماع⁽⁴⁾. وفي كل هذا تأكيدا على العجز وفرط الحيلة والضعف.

-قوله تعالى: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: 19] وتضمن هذا التركيب الشرطي استفهاما إنكاريا. والتقدير: أتتشاءمون بالتذكير إن ذكرتم. خاصة وأن عادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه، واستهووه، وآثروه، وقبلته طباعهم، ويتشاءموا مما نفروا عنه وكرهوه. فإن أصابتهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا⁽⁵⁾.

وتغيب الفاعل في قوله تعالى: "ذكرتم" كان لصب جل الاهتمام على أصحاب القرية المكذّبين للرسول، فكان تغيب الفاعل دليلا على تسفيه عقولهم وفساد اعتقادهم _أصحاب القرية_

(1) _تفسير القرطبي 317/3.

(2) _التحرير والتنوير ، ابن عاشور، 542/2.

(3) _البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 224/5.

(4) _جامع البيان، الطبري 685/18. الجدول في اعراب القرآن، الصافي 150/17.

(5) _التحرير والتنوير ، ابن عاشور، 212/22 . الكشاف، الزمخشري، 9/4.

ودليلاً على حقارتهم وضعّتهم، كما كان بياناً لما عليه الرسل من حق وصواب⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِدِ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَّا تَغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس: 23]. والمقصود هنا التعريض بالمخاطبين -أصحاب القرية- في اتخاذهم تلك الآلهة بعلّة أنّها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى وقد علم من انتفاء دفعهم الضر أنّهم عاجزون عن جلب نفع، لأنّ دواعي دفع الضر عن المولى أقوى وأهم، ولحاق العار بالولي في عجزه عنه أشد.

والانقاذ: التخليص من غلب أو كرب أو حيرة⁽²⁾. فقد نفى من جاء يسعى من أقصى المدينة أنّ تنفعه شفاعة الآلهة كما نفى انقاذها له من الضّر إذا أصابه، فكان هذا التركيب الشرطي مؤكداً ونافياً عن شفاعتهم-الآلهة- النفع للمشفوع فيه. وكله إبطال لاعتقادهم أنّهم مقبولوا الشفاعة وإذا كانت شفاعتهم لا تنفع لعجزهم، وعدم مساواتهم لله الذي يضر وينفع⁽³⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 36]. تضمن التركيب الشرطي ﴿وَلَيْنَ رُودَتْ إِلَى رَبِّي﴾ تمكناً من طرف صاحب الجنتين بصاحبه الذي يجاوره، وقرينة التهكم قوله ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ فهو كفور بنعم ربّه، مكذب بلقائه متمنّ على الله⁽⁴⁾. فلم يكفه أن جعل الله له جنتين من أعناب وحفّهما بنخل، وبعد أن آتت الجنتان أكلها ظلم نفسه بدل شكره النعمة، وظلمه لنفسه كان في كفره بالبعث وشكّه في قيام الساعة ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب بذلك سخط الله وأليم عقابه⁽⁵⁾.

-قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خُلُودٌ﴾ [يس 29]. أشار قوله تعالى إلى أنّ إهلاك أصحاب القرية ما كان إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم⁽⁶⁾. فبعثهم وإحياءهم كان بصيحة واحدة، وقوله تعالى ﴿وَاحِدَةً﴾ تأكيد لكون الأمر هيئاً عنده، ومما زاد إفادة

(1) -جامع البيان، الطبري، 503/20.

(2) -التحرير والتنوير، ابن عاشور، 216/22.

(3) - المرجع نفسه، 216/22.

(4) -جامع البيان، الطبري، 22/18. التحرير والتنوير، ابن عاشور، 67/15.

(5) -جامع البيان، الطبري، 22/18.

(6) -المرجع نفسه، 511/20.

سرعة الحمود بتلك الصيغة مجيء إذا الفجائية في الجملة ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾⁽¹⁾.

وإذا نظرنا إلى التركيب الشرطي الذي أداته (إذا) وجدنا نظام الجملة فيها مختلف الأشكال إلا أن الغالب عليها أن يأتي بعدها فعل ماضي. ومما ورد في الأمثال القياسية من تراكيب شرطية أداها "إذا" مايلي:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة:14].

فكان التركيب الشرطي هنا مكونا من "إذا الشرطية+ فعل ماض+ فعل ماضي"، فكان كل من الشرط والجزاء ماضيين. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:14]

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة:20]. قد تضمن هذا التركيب الشرطي تمثيلا لحيرة المنافقين، فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاء، أو طمأنينة، أو سُلوة من عيش قال "أنا معكم" و"أنا منكم". وإذا أصابته شدة حقق الله عندها، فانقطع به، فلم يصبر على بلائها، ولم يحتسب أجرها ولم يرج عاقبتها⁽²⁾ وهذه حال المنافق في كل زمن وحال.

- قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنَتْ وَظَرَّتْ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس 24]. وأخذت الأرض زخرفها أي ظهر حُسْنُهَا وبهاؤها ذلك أن الزخرف هو كمال حسن الشيء⁽³⁾. والقول في ﴿إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ هو غاية شُبه بها بلوغ الانتفاع بخيرات الدنيا إلى أقصاه، ونضوجه، وتمامه، وتكاثر أصنافه، واهماك الناس في تناولها، ونسيانهم المصير إلى الفناء⁽⁴⁾.

وتترل هذه الآية منزلة البيان لجملة ﴿مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [يونس 23] المؤذنة بأن التمتع بالدنيا ما هو إلا لمدة قصيرة، فشبهت هيئة التمتع بالدنيا لأصحابها بهيئة الزرع في نضارته ثم في مصيره. بعد أن أتاه أمر الله، وأمر الله تقديره وتكوينه وإتيانه إصابة تلك الأرض-الزرع- بالجوائح

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 219/22، مفاتيح الغيب، الرازي، 55/26.

(2) _جامع البيان، الطبري، 350/1.

(3) _تفسير القرطبي 327/8.

(4) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 58/1.

المعجلة لها باليبس والفناء⁽¹⁾ فدّل التركيب الشرطي على أن التمتع صائر إلى زوال مهما بلغت درجته.

-قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: 39].

فالملاحظ في هذا التركيب الشرطي يجد بأنه خرج عما ذكرناه آنفاً من كون كل من فعل الشرط والجزاء ماضيين، فكان فعل الشرط ماضياً (جاءه) وجوابه جاء مضارعاً منفيًا بـ "لم" (لم يجده) فدّل على استحالة انتفاع الكافر بعمله، فحال الظمان وحال الظمان سواء، فحتى إذا جاء الظمان السراب مئتمسا ماءً يستغيث به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمان الذي رأى السراب، فظنه ماءً يُرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافع عند الله لم ينفعه شيئاً⁽²⁾.

-قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ بِرَنَاهَا﴾ [النور: 40]. واتخذ هذا التركيب الشرطي الشكل المذكور سابقاً من مجيء فعل الشرط ماضياً (أخرج) وفعل الجزاء مضارعاً مسبوقاً بنفي (لم يكد) ليفيد عدم الرؤية وعدم مقاربتها فكان أبلغ في نفي الرؤية من قوله (لم يراها) فقد حمل هذا التركيب الشرطي انتفاء رؤية اليد، ذلك أن المعنى هنا انتفاء مقارنة الرؤية ويلزم من ذلك انتفاء الرؤية ضرورة⁽³⁾. و"كاد" عند الجرجاني دالة على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى أنه قد شارف الوجود، فإذا وجدت قرينة دالة على وقوع الفعل كانت إشارة إلى أنه لم يقع إلا بعد جهد⁽⁴⁾. وإذا نظرنا إلى التركيب الشرطي الذي أدواته "لو"، وجدناه هو الآخر متخذاً أشكالاً عدة حملها السياق دلالات متنوعة، منها ما ورد في:

-قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة 20].

والملاحظ أن هذا التركيب اللغوي اشتمل على أداة الشرط "لو" وفعل الشرط "شاء" وكان ماضياً وفعل الجزاء "ذهب" وهو ماض كذلك، وليس المقصود من اجتلاب "لو" في هذا الشرط إفادة

⁽¹⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 59/11.

⁽²⁾ _جامع البيان، الطبري، 195/19.

⁽³⁾ _البحر المحیط، أبو حيان الأندلسي، 336/6.

⁽⁴⁾ _دلائل الإعجاز، الجرجاني، 312-313.

ما تقتضيه " لو " من الامتناع، فليس المقصود الإعلام بقدره الله على ذلك، بل المقصود إفادة لازم الامتناع وهو أن توفر أسباب إذهاب البرق والرعد أبصار -الكافرين- الواقعين في التمثيل وهي متوفرة، وهي كفران النعمة الحاصلة منهما إذا إنما رزقوهما- السمع والبصر- للتبصر في الآيات الكونية وسماع الآيات الشرعية، فلما أعرضوا عن الأمرين كانوا أحرىء بسلب النعمة إلا أن الله لم يشأ ذلك إمهالاً لهم، وإقامة للحجة عليهم⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الأعراف: 176]. فقد أفاد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أن تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175]. شأنها أن تكون سبباً للهداية والتزكية لو شاء الله له التوفيق وعصمه من كيد الشيطان وفتنه، فلم ينسلخ عنها. وهذه عبرة للموفقين ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم، والرفعة هنا مستعارة لكمال النفس و زكائها، لأن الصفات الحميدة تخيل صاحبها مرتفعاً على من دونه.

وقد وقع الاستدراك على مضمون قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ بذكر ما يناقض تلك المشيئة الممتنعة⁽²⁾. في قوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ فقد سكن المنسلخ عن آيات الله إلى الحياة الدنيا ومال إليها، وأثر لذاتها وشهواتها، واتبع هواه، ورفض طاعة الله، وخالف أمره⁽³⁾، فامتنت مشيئة الله برفعه لما اقترفته يداه.

-قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73]. الملاحظ أن التركيب الشرطي هنا لم يكتمل، فقد حذف جواب الشرط لوجود ما يدل عليه وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ المذكور قبله، فقد دلَّ هذا التركيب على أن خلق الذباب مستحيل مناف لأحوالهم. وخلق الذباب مستحيل حتى وإن اجتمعوا جميعاً وتعاونوا على خلقه. وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش، و استركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه⁽⁴⁾.

(1) _التحرير والتنوير، ابن عاشور 318/1(318).

(2) _المرجع نفسه 352/8.

(3) _جامع البيان، الطبري، 261/13.

(4) _الكشاف، الزمخشري 171/3.

-قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ﴾ [النور: 35].

اشتمل التركيب الشرطي ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ على أداة الشرط "لو" وفعل الشرط الذي جاء مضارعاً مسبوقة بـ"لم" النافية أما جوابه فمحذوف، وذلك مبالغة في حسن ذلك الزيت وصفائه وجودته (1). فكما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته ازداد ضوءاً على ضوء، فكذلك قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور (2).

-قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت 41]

لم يختلف التركيب الشرطي ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عن سابقه في ذكر فعل الشرط وحذف الجواب وتقدير جواب "لو": (لو كانوا يعلمون أن ذلك مثلهم) ولكنهم من اتخذوا من دون الله أولياء لا يعلمون انعدام غناء ما اتخذوه، وأما أوهنية بيت العنكبوت فلا يجهلها أحد، فلما نفى عنهم العلم بما تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم التي يعبدونها وقلة جدواها بقوله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أعقبه بإعلامهم بعلمه بدقائق أحوال تلك الأصنام على اختلافها، واختلاف معتقدات القبائل التي عبدتها (3). فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت 42]. فكان التركيب الشرطي نافياً ومؤكداً جهلهم بحالهم، فهم أشبه بعنكبوت اتخذت بيتاً ليأويها ويحميها مع ضعفه وقلة تماسكه لم يؤد الغرض المنشود، فكذلك هم اتخذوا من دون الله أولياء مع علمهم بضعف وقلة حيلتهم، وفرط عجزهم، فكانوا أشبه بحال العنكبوت.

وإذا ما تأملنا باقي التراكيب الشرطية التي كانت أداها متمثلة في الطائفة الثانية من أدوات الشرط المذكورة سابقاً وجدناها أقل حضوراً مما ذكرناه سابقاً، ونكتفي بذكر شاهدين على ذلك أولهما:

(1) _تفسير القرطبي، 259/12.

(2) _جامع البيان، الطبري 122/19 (182).

(3) _التحرير والتنوير، ابن عاشور 173/20. الكشاف، الزمخشري، 455/3.

- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۗ﴾ [الرعد 17].
 عن ابن عباس إن في قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ مثل ضربه الله لما احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها. فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ وهو الشك و﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ وهو اليقين⁽¹⁾.

وهذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه. فمثل الحق وأهله بالماء الذي يُنزله من السماء، فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع... وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله، و شك زواله، وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به⁽²⁾.

وثانيهما قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۗ﴾ [النحل 76].

فقد ترددت أينما في أربعة مواضع من القرآن الكريم وهي: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مَوْلَاهُ ۗ فَأَسْتَفْتُوا الْخَبِيرَ ۗ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ﴾ [البقرة: 148]، ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [النساء: 78]، ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نُقَفُوا أَخَذُوا ۗ وَقَتَلُوا نَفْسِيلاً ﴾ [الأحزاب: 61]، ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۗ﴾ [النحل: 76]. وهي مكونة من أين ظرف مكان مبهم، وما الزائدة والتي زادها إهاما و عموما⁽³⁾. وأما ورودها في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ ﴾ فكان دالا على قلة الجدوى والفائدة للرجل الذي وُصف بصفات أربع، وهي:

- الصفة الأولى: الأبكَم، قال الزجاج الأبكَم المطبق الذي لا يسمع ولا يبصر.

-الصفة الثانية: لا يقدر على شيء، وهو إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل.

-الصفة الثالثة: كل على موله.

(1) _تفسير ابن كثير 4/447.

(2) _الكشاف، الزمخشري 2/523.

(3) _معاني النحو، فاضل السامرائي، 4/82.

-الصفة الرابعة: أينما يوجهه لا يأت بخير⁽¹⁾. فأينما أرسله مولاه و حيثما صرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهمة لم ينفع⁽²⁾. وجيء الاستعمال القرآني بـ "أينما" بدل "حيثما"، ذلك أن أينما أكثر إبهاما وعموما وبسبب ذلك أن "أين" أكثر إبهاما من "حيث"، وذلك أن حيث لازمة للإضافة فهي مخصصة أو معرفة بما بعدها تقول: اجلس حيث جلس أخوك أي في مكان جلوسه. ولذا لا تكون جزاء إلا إذا ضمت إليها (ما). و"أينما" أكثر إبهاما وعموما من "حيثما" ويدل على ذلك الاستعمال القرآني علاوة على القياس. وقد وردت حيثما في تعبير واحد تردد في مكانين هما قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: 144] وقوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة 150].

2-2- التركيب الإخباري:

يهدف التركيب الإخباري مثبتا كان أو منفيًا إلى "إعلام المخاطب شيئًا لا يعرفه"⁽³⁾. ويحمل التركيب الإخباري دلالات عدة ومتنوعة بتنوع السياقات التي يرد فيها⁽⁴⁾ والمتأمل للأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يجد تنوعا في دلالة التراكيب الإخبارية بين إثبات، وتأكيدي، ونفي.

1- التأكيد:

يؤكد القرآن صفات الله حتى يستقر الإيمان بها في النفوس، فذلك هو الأساس الذي يبنى عليه الدين⁽⁵⁾. ومما ورد في الأمثال القياسية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

-و قوله أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت 42]. ومن أمثلة التوكيد ما جاء حكاية عن رسل عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، 70/20.

(2) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 423/5.

(3) علم المعاني، بسبوي عبد الفتاح، ص 305.

(4) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، ط 2، 2003م، 332/1، 333. البرهان، الزركشي، 390/2. من

بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار النهضة المصرية، 2005، ص 112.

(5) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص 112.

يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ [يس 13-16].

فقد أكد المرسلون رسالتهم بـ "إن" والجملة الاسمية ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ولكنهم كذبوا، وأصر أصحاب القرية على تكذيبهم فزادوا في تأكيد رسالتهم بأكثر من مؤكّد. أولها: إشهداهم على صدقهم وصدق دعواهم بقولهم ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾. وثانيها: التأكيد بـ "إن" في قولهما ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ﴾ وثالثها اللام المرحقة في قولهم ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾⁽¹⁾.

2- الإثبات:

يستخدم القرآن ألوانا من القصر عندما يراد إثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه، فقد يقصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا بحيث لا يتصف بهذه الصفة إلا ذلك الموصوف وحده، كما تجده في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد 19]⁽²⁾.

وقد ورد القصر في الأمثال القياسية في أكثر من موضع، منها:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: 14] على لسان المنافقين فلاستهزاء وصف ثابت لهم.

- ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

- ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

- ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا﴾ [يس: 15].

- ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: 17].

- ﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: 171].

وكما أثبت القرآن صفات الله في الأمثال القياسية باستخدام اسمية الجمل وذلك في نحو قوله تعالى:

- ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة 261].

- ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19].

⁽¹⁾ الأمثال القرآنية، دراسة لغوية، سعيد جمال الدين، ص 145. وانظر من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص 313.

⁽²⁾ من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص 114.

- ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265].

- ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60].

- ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

2-3- تركيب النفي:

النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول. وهو أسلوب نقض وإنكار يستعمل لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب⁽¹⁾. وعرفه محمد بن علي الجرجاني بقوله « هو ما لا ينجزم ب"لا". وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل». وقيل النفي عبارة عن الإخبار بعدم صدور الفعل عن الفاعل في الزمان الآتي وهو ضد المضارع⁽²⁾.

وعرفه محمد حماسة عبد اللطيف فقال: «النفي من العوارض التي تُعرض لبناء الجملة، فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه في الجملة الفعلية والاسمية على السواء»⁽³⁾. فالنفي أسلوب يستهدف نقض وإنكار المقولات اللغوية. ويتم ذلك بصيغ وأدوات يفرضها الاستخدام الفعلي وفقا لغرض المتكلم والسياق ومتطلبات المقام.

والنفي عند إبراهيم أنيس لغوي وضميني. فالنفي اللغوي لا يكون عادة إلا بأداة تشعر بهذا النفي، فإذا خلا الكلام من أداة نفي، وعبر مع هذا عن النفي عدّ مثل هذا نفيًا ضمينا، يطمئن إليه المنطقي ويعده من طرف النفي⁽⁴⁾.

فالنفي الضمني على حدّ قول إبراهيم أنيس نفي غير لغوي، على أساس أن النفي اللغوي هو ما كان باستخدام الأداة. وهذا ما عبّر عنه محمد حماسة، بقوله: «ومثل ذلك ما يمكن أن يفهم من بعض حروف العطف و"لو" و"كاد" وغيرها، لأن النفي في كل منها نفي خاص ببعض التراكيب لا

⁽¹⁾ _ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 246.

⁽²⁾ _ التعريفات، الجرجاني، ص 311.

⁽³⁾ _ بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 280.

⁽⁴⁾ _ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 178.

نفي لغوي ثابت في وسيلته»⁽¹⁾.

وعرف أحمد سليمان ياقوت النفي الضمني، بقوله: « ما يفهم من الجملة دون أن ينص عليه حرف من حروف النفي»⁽²⁾ فكثيرا ما يكتفي المتكلم بالتلميح والتعريض متحاشيا التصريح بالنفي والإنكار بما يقتضيه الموقف الكلامي واستجابةً لأغراض ومقاصد لديه. وهذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: « ثم اعلم أنك إذا استقرت وجدتها (إنما) أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، إذ ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19]، أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار وأن يقال إنهم من فرط العناد و من غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذى عقل، وأنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا أو يتذكروا، كمن طمع في ذلك من غير أولي الأبواب... ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون إنما، فلو قلت: « لا يتذكر أولو الأبواب» لم يدل ما دل عليه في الآية وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس إلا أن فيه (إنما). والسبب أن هذا التعريض إنما وقع ب"أن" كان من شأن "إنما" أن تضمن الكلام معنى النفي»⁽³⁾.

وهذا ما يؤكد القزويني بقوله: « واعلم أن طريق إنما مزية على العطف. وهي أنه يعقل منها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف، وإذا استقرت وجدتها أحسن ما تكون موقعا إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى الكلام بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19] فإنه تعريض بزم الكفار»⁽⁴⁾.

و يؤدي النفي في العربية أدوات بعضها مفرد: "لا، ما، إن، هل"، وبعضها مركب: "لم، لما، لن، ليس"⁽⁵⁾ ولتراكيب النفي بنوعيتها الصريح والضمني حضور في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم. وقد أدت بعض أدوات النفي - مفردة أو مركبة - دلالات عدة في مواضعها من الأمثال القياسية، فكان لكل أداة خصوصية دلالية تجعلها متميزة عن غيرها من الأدوات، فمن تراكيب النفي

⁽¹⁾ _ بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص 282.

⁽²⁾ _ النواسخ الفعلية والحرفية، دراسة تحليلية مقارنة، أحمد سليمان ياقوت، دار المعارف، مصر، 1984، ص 209.

⁽³⁾ _ دلائل الإعجاز، الجرجاني، 325-326.

⁽⁴⁾ _ الإيضاح، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1424هـ، 2003م)،

ص 124.

⁽⁵⁾ _ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 248.

اللغوي- الصريح- الواردة في الأمثال القياسية مايلي:

1/- ما كانت أداة النفي فيه لا:

من أهم الأدوات وأدلتها على النفي (ما) و(لا) لأنهما الأصل في النفي. و(لا) أشمل نفيًا من أختها فهي تنفي ما بعدها أحيانًا نفيًا شاملاً مستغرقًا لنفيها الجنس في نحو: لاشك في ذلك، ولا رجل في الدار، ولا شجرة في الصحراء. ولأنها تخرج من النفي إلى النهي نحو: لا تضرب زيدا، ولا تقرب من عمرو، ولأنها تستعمل مفردة وتستعمل مركبة في "لم" و"لن" و"وليس" و"ولات"، ولأن اللام أحدا أصوات الدلالة- ومخرج أصوات الدلالة- وهي أيسر الأصوات نطقًا وأخفها على اللسان من ذلق اللسان وهو طرفه الحاد. و ذلق اللسان أكثر عضل النطق حركة وأشدّها سرعة وأوفاهها مرونة⁽¹⁾.

وتستعمل (لا) النافية مع الفعل أكثر مما تستعمل مع الاسم لاسيما الفعل المضارع. ولهذا فهي تدل في النفي على مطلق الزمن كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]. فالمقابلة بين (لا تدركه) و(هو يدرك) توضح لنا زمن الإدراك وعدمه: الماضي والحاضر والمستقبل، فالمضارع من الشمول والاتساع بحيث يشمل الأزمنة الثلاثة⁽²⁾. وتدخل (لا) على الفعل المضارع في الغالب وتكون لنفي معنى الحدث في المستقبل حسب جمهور النحاة وعلى رأسهم سيبويه حين قال: «إذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لا يفعل) وإذا قال (ليفعل) فنفيه (لا يفعل)»⁽³⁾.

وجاء في الجنى الداني في حروف المعاني: «ونصّ الزمخشري ومعظم المتأخرين على أنها تخلّصه- المضارع- للاستقبال وهو ظاهر مذهب سيبويه. وذهب الأخفش، والمبرد، وتبعهما ابن مالك إلى أن ذلك غير لازم، بل قد يكون المنفي بها الحال»⁽⁴⁾.

وذكر إبراهيم فاضل السامرائي أن النفي بـ "لا" قد يكون للحال كقوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفافات: 92]. وقوله أيضا: ﴿مَالِكُمْ لَا أَرَى الْهُدَى﴾ [النمل: 20]، وقد يكون

⁽¹⁾ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 248.

⁽²⁾ أساليب النفي في القرآن، أحمد ماهر البقري، دار المعارف، (1405هـ-1985م)، ص 24.

⁽³⁾ الكتاب، سيبويه، 117/3، مغني اللبيب، ابن هشام، ص 277.

⁽⁴⁾ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي ص 280. وانظر المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص 310.

للاستقبال نحو: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 174]. وقد يكون للاستمرار نحو قوله عز شأنه: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255]⁽¹⁾.

ويقول إبراهيم مصطفى: « ويلاحظ في نفي المضارع أنك تقول: "لم يتكلم" فالنفي للماضي، و"ما يتكلم" فالنفي للحال، و"الن يتكلم" فهو للمستقبل. فإذا قلت "لا يتكلم" كان النفي أشمل و أوسع ، ففي نفي "لا" معنى الشمول والعموم»⁽²⁾.

ويبقى سياق الآية هو الذي يحدد الدلالة الزمانية للنفي ب "لا" ، فقد يكون المستقبل أو الحال أو كلاهما معا، وباستقراءنا لتراكيب النفي في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم نجد أن النصيب الأوفر كان لأداة النفي لا. ومن نماذج ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264]. اشتمل التركيب هنا على أكثر من نفي، أوله نفي الإيمان بالله واليوم الآخر، والثاني نفي القدرة، وآخرها نفي الهداية. وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يعني به الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس، ولا يؤمنون بالله و باليوم الآخر، فهم لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا، لأنهم لم يعملوا لمعادهم، ولا لطلب ما عند الله في الآخرة، ولكنهم عملوه رثاء الناس وطلبوا لمعادهم⁽³⁾. فكانت "لا" هنا نافية للمستقبل. وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا يسددهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون⁽⁴⁾. كما تضمن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ تحذيرا للمؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن من أحوال المن على من ينفقون وأذاه⁽⁵⁾. فكانت "لا" دالة في كل ما سبق على استمرار ضلالهم وعمههم.

(1) _معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، 193/4.

(2) _إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ص 135.

(3) _جامع البيان، الطبري، 526/5.

(4) _المرجع نفسه، 526/5.

(5) _التحريير والتنوير، ابن عاشور، 520/2.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْدُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18].

فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يحققها، كما تحقق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف، لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى⁽¹⁾. وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ فيعني إنهم لا يقدرون - الكفار - مما كسبوا على شيء منتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة. وذلك لأنه ضاع بالكلية وفسد⁽²⁾. فنفت "لا" قدرة الكفار على شيء من ثواب ما عملوا في الدنيا لإحباطه بالكفر وما اقترفوه من معاصي و آثام.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171].

شبه الله تعالى ذكره واعظ الكفار وداعيهم، وهو محمد ﷺ، بالراعي الذي ينق بالغنم والإبل، فلا تسمع إلا دعاءه، ونداءه، ولا تفهم ما يقول⁽³⁾. وقد قدم نفي العقل في الآية قبلها حين قال تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]، لأن العقل مصدر جميع التصرفات، وأخر نفي الهداية لأن ذلك مترتب على نفي العقل. لأن الهداية للصواب ناشئة عن العقل. وعدم العقل عدم لها.⁽⁴⁾

2- ما كانت أداة النفي فيه "ما":

إن "ما" أداة نفي تدخل على الأسماء والأفعال، وكان حقها ألا تعمل عند النحاة، لأنها غير مختصة، ولا يعمل من الحروف إلا المختص، كحروف الإضافة، والحزم، والنصب. وتدخل على (فعل) وعلى (يفعل) لتدل على النفي المحض، أما الدلالة على الزمن فمستفادة من صيغة (فعل) الدالة على الماضي، و(يفعل) الدالة على الحاضر⁽⁵⁾.

(1) _تفسير القرطبي 354/6.

(2) _مفاتيح الغيب، الرازي 84/19.

(3) _تفسير القرطبي، 214/2.

(4) _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 104/2.

(5) _ في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 249.

وذكر سيويه أن "ما" نفي (لقد فعل)، فقال: « وإذا قال "لقد فعل"، فإن نفيه ما فعل»⁽¹⁾. ف"ما" حرف ينفي الجمل الاسمية والفعلية، فإذا دخلت على الجمل الاسمية كان نفيها للحال عند الإطلاق، وإذا قيدت كانت بحسب القيد، تقول(ما هو مسافر) أي الآن، وتقول: (ما هو مسافرا غدا)، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 167]. أي في الاستقبال. وقد تكون للمضي نحو: « ما سعيد ظلمي حقي بل خالد) وهي أكد من ليس... وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال⁽²⁾.

وباستقراء مواضع النفي بـ "ما" في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتبين لنا أنها احتضت بالأفعال دون الأسماء في الغالب. منها ما ورد في سورة البقرة 16، آل عمران 117، الكهف 35، الكهف 36، الكهف، 43، يس 15، يس 28 وغيرها من المواضع، واللافت للنظر كذلك أن الفعل بعدها كان للمضي-غالبا- نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يس: 15].

-قوله عز شأنه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [يس: 28].

-﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117].

-﴿فَمَا رِيحَتْ بِجَنَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]

وقد كانت "ما" نافية لكل حدث ورد بعدها، ففي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتْ بِجَنَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]. نفيان نفي لربح التجارة، ونفي للاهتداء. قال أبو جعفر وتأويل ذلك أن المنافقين- بشرائهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا، لأن الربح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلا هو أنفس من سلعته المملوكة أو أفضل من ثمنها الذي يتاعها به، فأما المستبدل من سلعته بدلا دون الثمن الذي ابتاعها به، فهو الخاسر في تجارته لاشك، فكذلك الكافر والمنافق لأهما اختارا الحيرة، والعمى على الرشاد، والهدى، والخوف، والرعب على الحفظ، والأمن⁽³⁾.

-وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أبلغ في النفي، لإشعاره بأن انتفاء الاهتداء عنهم -

(1) _الكتاب، سيويه 117/3.

(2) _معاني النحو، فاضل السامرائي، 12/4.

(3) _جامع البيان، الطبري، 316/1.

الكفار و المنافقين- أمر متأصل سابق قديم.... وهي كناية عن الخسران وإضاعة كل شيء، لأن من لم يكن مهتدياً أضاع الربح، وأضاع رأس المال بسوء سلوكه⁽¹⁾.

3/ ما كانت أداة النفي فيه "لم":

يتفق النحاة على أن (لم) تنفي المضارع وتخلصه للماضي، بقول سيبويه: «إذا قال "فعل" فإن نفيه "لما يفعل"»⁽²⁾. وقال ابن هشام: «لم حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً، نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: 3]⁽³⁾.

وأشار في موضع آخر فرّق فيه بين منفي "لم" ومنفي "لما"، فقال: «ومنفي "لم" يحتل الاتصال نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا﴾ [مريم: 4]. والانقطاع مثل: ﴿هَذَا أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]⁽⁴⁾. فدلالة "لم" لا تبقى حبيسة الماضي. وفي هذا الصدد يقول السامرائي: «لم يختص بنفي المضارع وتقلب زمنه ماضياً... وقد يكون المنفي بها منقطعاً، وقد يكون متصلاً بالحال، نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ [التوبة: 4]. وقد يكون مستمراً نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾⁽⁵⁾ [الإخلاص: 3-4]⁽⁵⁾.

وبالعودة إلى تراكيب النفي بـ "لم" في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم نجد أنها اتخذت دلالات عدة تنوعت بتنوع السياق، ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ [محمد: 15].

أفادت "لم" هنا معنى الاستمرار ذلك أن اللبن المذكور لم يتغير طعمه، أي لم يحمض بطول المقام، كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة⁽⁶⁾.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 295/1-296.

(2) _ الكتاب، سيبويه، 117/3.

(3) _ مغني اللبيب، ابن هشام، ص 365.

(4) _ المرجع نفسه، 367/1.

(5) _ معاني النحو، فاضل السامرائي، 9/4.

(6) _ تفسير القرطبي: 237/16.

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5].

لقد شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراءها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب... ومعنى قوله تعالى: ﴿حُمِلُوا الثَّورَةَ﴾ أي كلفوا علمها والعمل بها، ثم لم يحملوها، ولم يعملوا بها، فكأنهم لم يحملوها⁽¹⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ [النور: 39].

جاء في جامع البيان للطبري أن الكافرين بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب، فظنه ماء يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافع عند الله لم يجده ينفعه شيئا، لأنه كان قد عمله على كفر بالله⁽²⁾. فكما توهم الظمآن السراب وحسبه ماء، أيقن بعد ذلك أنه لا ماء موجود مهما انتظر وطال العهد به ووقفا عند ذلك السراب.

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: 40].

إن جملة ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ تذييل للتمثيل بأعمال الكفار، فقد باعوا بالخيبة فيما ابتغوا مما عملوا. وقد حفهم الضلال فيما عملوا حتى عدموا فائدته. لأن الله لم يخلق في قلوبهم الهدى حين لم يوفقهم إلى الإيمان⁽³⁾. وقال ابن عباس: من لم يجعل الله له دينا فماله من دين، ومن لم يجعل الله له نورا يمشي به يوم القيامة لم يهتد إلى الجنة⁽⁴⁾.

3- ما كانت أداة النفي فيه لن:

إن "لن" أداة مختصة بالفعل المضارع الذي تنفيه، وتنصبه، وتخلصه للاستقبال. وقد عبر

(1) _الكشاف، الزمخشري، 530/4.

(2) _جامع البيان، الطبري، 195/18.

(3) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 206/18.

(4) _تفسير القرطبي، 285/12.

النحاة عن هذا بعبارة: « "لن" حرف نفي، ونصب، واستقبال»⁽¹⁾. وذكر سيبويه ذلك بقوله: «وإذا قال سوف يفعل، فإن نفيه لن يفعل»⁽²⁾.

ويقول صاحب الطراز أن: «"لن" أكد من "لا" في نفي المستقبل مطلقاً»⁽³⁾. أما عبد الجبار توامة فيقول: «وخلاصة القول في "لا" و "لن" أن الأولى تدل على المستقبل في الغالب مع (يفعل) وفي القليل على الحاضر، وتدل على الماضي مع (فعل). والثانية تدل على المستقبل أبداً دون أن تكون أبلغ في دلالة المستقبل من "لا" أو مفيدة وحدها معنى التأييد، وطول المدة»⁽⁴⁾.

وهذا ما ذكره الزركشي في برهانه حين قال: «والحق أن "لا" و"لن" لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلية، والتأييد وعدمه يؤخذان من دليل خارج»⁽⁵⁾. وقد وردت "لن" في القرآن الكريم في خمسة ومائة موضع نستطيع أن نستخلص منها أن المستقبلية فيها معنى أصيل سواء أكان النفي في الحاضر ويمتد إلى المستقبل، أم كان للمستقبل وحسب قريباً أو بعيداً⁽⁶⁾. وأما عن حضورها في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم، فكانت أقل الأدوات كثافة خاصة إذا ما قورنت بـ"لا" و"ما" و"لم". ولم تخرج في كل مواضعها عن الدلالة على الاستقبال. ومن نماذج ذلك ما ورد في:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج 73].

ففي قوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جُمعوا لم يخلقوا ذباباً على كل حال، ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا لأجل اجتماعهم⁽⁷⁾.

وتوكيد النفي بـ "لن" كان لتزليل المخاطبين منزلة المنكرين لمضمون الخبر، لأن جعلهم - الأصنام - آلهة يقتضي إثباتهم الخلق إليها، وقد نفى الله عنها الخلق في المستقبل، لأنه أظهر في إقحام

(1) _ مغني اللبيب، ابن هشام، ص 368.

(2) _ الكتاب، سيبويه 117/3.

(3) _ الطراز، العلوي، 208/2.

(4) _ زمن الفعل في اللغة العربية، عبد الجبار توامة، ص 19.

(5) _ البرهان، الزركشي، 422/2.

(6) _ أساليب النفي من القرآن، ماهر البقري، ص 123.

(7) _ جامع البيان، الطبري 685/18. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 283/6.

الذين ادعوا لها الإلهية، ولأن نفي أن تخلق في المستقبل يقتضي نفي ذلك في الماضي بالأحرى⁽¹⁾. فكانت "لن" تأكيداً لنفي الخلق من تلك المعبودات العاجزة.

-قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾ [الكهف: 41].

ففي ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾ يحتمل وجهين⁽²⁾.

-فلن تستطيع رد الماء الغائر.

-فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه.

فجاء تأكيد النفي بـ "لن" ليؤكد عدم القدرة على رد الماء الغائر أو طلب غيره بدلاً منه.

-قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 116].

إن أقرب ما يفزع إليه المرء في دفع الخطوب والنوائب المال والولد في الدنيا. وقد بين الله أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا⁽³⁾. لن تدفع أموال الذين كفروا ولا وأولادهم شيئاً من عقوبة الله يوم القيامة إن أحرها لهم إلى يوم القيامة ولا في الدنيا إن عجل لهم فيها⁽⁴⁾. وكرر النفي بـ "لا" مع المعطوف في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ لتأكيد عدم غناء أولادهم عنهم لدفع توهم ما هو متعارف من أن الولد لا يقعدون عن الذب عن آبائهم⁽⁵⁾.

فكان النفي بـ "لن" مؤكداً ومما زاد تأكيد عدم غناء الكافر بما يملك من مال وولد العطف

بـ "لا"، وفي كل تأكيد لاستحالة انتفاع الكافر بماله الذي جمعه في الدنيا ولا بولده الذي رباه.

أما تراكيب النفي الضمني، فكان لها حضور في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم، وكانت له صور وأنماط متعددة منها⁽⁶⁾.

- النفي الضمني بـ "إنما" في أسلوب القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: 14]

(1) _التحريز والتنوير، ابن عاشور، 246/17.

(2) _النكت والعيون، الماوردي، 308/3.

(3) _مفاتيح الغيب، الرازي، 160/7.

(4) _جامع البيان، الطبري، 133/7.

(5) _التحريز والتنوير، ابن عاشور، 197/3.

(6) _أساليب النقي في القرآن، ماهر البقري، ص 137 وما بعدها. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 178 وما بعدها.

- النفي الضمني باستعمال كاد، ومما ورد قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: 35]. قال الزركشي: « فلم يثبت للزيت الضوء، وإنما أثبت له المقاربة من الضوء قبل أن تمسه النار»⁽¹⁾. وكذا قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: 40]. وفي قوله "لم يكد يراها" أبلغ من نفي الرؤية من أن يقال "لم يرها"، وأصح الأقوال في هذا المعنى لم يقارب رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة⁽²⁾. وكذا قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: 20]⁽³⁾.

النفي الضمني من أداة الشرط المشرب بالتمني "لو". ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]، فقد نفى الله عن الكفار والمشركين العلم بما تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم التي يعبدونها، وقلة جدواها.

2-4- التركيب الاستفهامي:

الاستفهام أسلوب لغوي أساسه طلب الفهم. والفهم صورة ذهنية تتعلق أحيانا بمفرد شخص، أو شيء، أو غيرها، وتتعلق أحيانا بنسبة أو بحكم من الأحكام، سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن⁽⁴⁾.

والاستفهام نمط تركيبى من الجمل الإنشائية الطلبية، فهو طلب العلم عن شيء لم يكن معلوما أصلا.⁽⁵⁾ وعرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «هو استخبار وطلب من الخاطب أن يُخبر أو يُفهم عن شيء لم يكن معلوما بأداة خاصة»⁽⁶⁾.

وجاء في البرهان في علوم القرآن للزركشي أن الاستفهام: "طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا

(1) _البرهان، الزركشي، 139/4.

(2) _تفسير القرطبي، 285/12.

(3) _التحريير والتنوير، ابن عاشور، 173/20.

(4) _في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 265.

(5) _علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1974م، ص 130.

(6) _دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 108.

استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بـ"إمكان الاعلام انتفت فائدة الاستفهام"⁽¹⁾.

وعرف محمد بن علي الجرجاني الاستفهام بقوله: « الاستفهام استعمال ما في ضمير المخاطب. وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيعين أو لا، فحصولها التصديق وإلا فهو التصور»⁽²⁾.

وقد ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه، وهو طلب الفهم، ومعرفة المجهول، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: 187]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: 112].

ويخرج الاستفهام عن أصل وضعه لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن ذلك الإنكار ومعنى الاستفهام حينئذ معنى النفي، وما بعده نفي، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء: 111] وقوله أيضا: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35].

ومنها التوبيخ على فعل وقع، وكان الأولى ألا يقع، أو على ترك فعل ما كان ينبغي ألا يقع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وِتْدُرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصفات: 125]⁽³⁾.

-ويستخدم في طلب الفهم أو العلم من قبل المتكلم أدوات عدة منها: الهمزة هل، من، ما... وغيرها، وسنركز في دراستنا هذه على الهمزة "هل" بحكم أن كل منهما أصل في الاستفهام كما ذكر النحاة.

أولاً- الهمزة:

وهي عند النحاة أم الباب لأنها تدل على الاستفهام أصالة ولأنه يستفهم بها عن مفرد ولأنها تستخدم للتعبير عن معان أخرى⁽⁴⁾. فهي أوسع أدوات الاستفهام "استعمالاً"، إذ تستعمل للتصوير والتصديق. والتصوير هو ما يجاب عنه بالتعيين نحو قولك: (أحمد عندك أم خالد؟)، فتجيب محمد أو

(1) _البرهان الزركشي، 327/2.

(2) _التعريفات، الجرجاني، ص 37.

(3) _من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص 126.

(4) _في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 265.

خالد، والتصديق ما تجاب عنه بـ "نعم" أو "لا"... أما سائر الأدوات فهي للتصور خاصة⁽¹⁾.
 ويعدل الاستفهام بـ "الهمزة" عن معنى الاستفهام وطلب الفهم إلى معان يفرضها السياق
 ليحقق أغراضا بلاغية عدة كالتقرير، والتعجب، والإنكار... وقد جاء ذكر بعض المعاني التي يخرج
 إليها الاستفهام بالهمزة في كتب النحو، ومن أشهرها:⁽²⁾.

أ- التسوية: الهمزة الداخلة على جملة يصبح حلول المصدر محلها، نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾
 ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6].

ب- الإنكار، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً﴾ [الإسراء: 40].

- وقوله تعالى: ﴿قَالَ اتَّعْبُدُوا مَا تَنْجُونَ﴾ [صافات: 95].

ج/ التهكم: نحو قوله تعالى: ﴿أَصَلَوْتُمْ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: 87].

د/ الاستبطاء.

وبالعودة إلى تراكيب الاستفهام الواردة في الأمثال القياسية في القرآن الكريم، وما كانت
 الهمزة آداته، وجدنا تنوعا في دلالات الاستفهام في الأمثال. ومما ورد من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي
 الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

فلما حذر الله المسلمين من دسائس أولياء الشياطين ومجادلتهم بقوله: ﴿وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ
 لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121]. أعقب ذلك بتفطيع حال المشركين. ووصف حسن حالة المسلمين حين
 فارقوا الشرك، فجاء بتمثيلين للحالتين. ونفي مساواة إحداهما للأخرى تنبيها على سوء أحوال أهل
 الشرك وحسن حال أهل الإسلام. والهمزة للاستفهام المستعمل هنا لإنكار تماثل الحالتين، حالة الذين
 أسلموا بعد أن كانوا مشركين. وهي المشبهة بحال من كان ميّتا مودعا في ظلمات فصار حيا في نور

⁽¹⁾ _معاني النحو، فاضل صالح السامرائي 232/4، المغني، ابن هشام 342/2، همع الهوامع، السيوطي 69/2. الاتقان في علوم
 القرآن، السيوطي 427/1.

⁽²⁾ _مغني اللبيب، ابن هشام، ص24، الاتقان في علوم القرآن، السيوطي 427/1، البرهان، الزركشي، 328/2. معاني النحو،
 فاضل صالح السامرائي، 232/4.

واضح. والحالة الثانية حالة المشرك وهي حالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿الْمُتْرَكِيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: 24].

إن الاستفهام بـ "الهمزة" في قوله تعالى: (ألم تر) إما نزل بالمخاطب منزلة من لم يعلم فأنكر عليه عدم العلم، أو مستعمل في التعجب من عدم العلم مع توفر دواعي العلم، أو هو للتقرير وهو كناية في التحريض على العلم بذلك⁽²⁾.

-وهذه الصيغة الاستفهامية التقريرية أشد وخزا للذهن، وشحنا للشعور من الصيغة المقتصرة على التقرير (قد رأيت) ثم حرف الجر (إلى) الذي يمد النظر إلى بعيد، وذلك لا يكون إلا لأمر مستغرب عجيب⁽³⁾. فخرجت الهمزة إلى الاستفهام التقريري الأنسب للسياق.

-قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الكهف: 37].

إن الاستفهام في قوله: ﴿أَكْفَرْتَ﴾ مستعمل في التعجب و الإنكار وليس على حقيقته، لأن صاحب كان يعلم أن صاحبه مشرك بدليل قوله له: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾. فالمراد بالكفر هنا الإشراك الذي من جملة معتقداته إنكار البعث. ولذلك عرّف بطريق الموصولية، لأن مضمون الصلة من شأنه أن يصرف من يدركه عن الإشراك به، فإنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق الناس، فما كان غير الله مستحقا للعبادة ثم إن العلم بالخلق الأول من شأنه أن يصرف الانسان عن إنكار الخلق الثاني، كما قال تعالى: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم 27]، فكان مضمون الجملة تعريضا بجهل المخاطب⁽⁴⁾. فكان الاستفهام هنا إنكارا و توبيخا حيث أشرك مع الله غيره⁽⁵⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٢] ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ [يس

. [23-22].

⁽¹⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور 34/7. مفاتيح الغيب، الرازي، 139/13.

⁽²⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 249/12.

⁽³⁾ _دلالة أفعال اليقين في القرآن، إبراهيم أبو غالية، ص 141.

⁽⁴⁾ _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 68/15.

⁽⁵⁾ _البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 177/7.

اشتملت الآيتان على استفهامين إنكاريين أولهما أداته "ما". والثاني كانت الهمزة أداة له، وفي قوله: ﴿ءَاتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لاستشعار سؤال عن وقوع الانتفاع بتلك الآلهة عند الذي فطره والاستفهام هنا إنكاري أي أنكر - الرجل الذي جاء من أقصى المدينة - على نفسه أن يتخذ من دون الله آلهة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ جواب الاستفهام الإنكاري⁽¹⁾.

ثانياً: هل:

هي أداة استفهام عن النسبة سواء أكانت في جملة فعلية أم في جملة اسمية، ولا يستفهم بها عن مفرد، ولذلك لا يقال: هل زيدا ضربت. لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة⁽²⁾ وتفترق "هل" عن "الهمزة" من جوه أهمها:⁽³⁾

- اختصاصها بالتصديق في حين تكون الهمزة للتصور والتصديق.

- اختصاصها بالإثبات. فلا تدخل على النفي.

- تخصيصها الفعل المضارع بالاستقبال.

- لا تدخل على الشرط.

ويخرج الاستفهام ب"هل" عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى، أشهرها:⁽⁴⁾

- الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: 91].

- التمني: نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: 11]

- معنى قد: لتؤدي ما تؤديه من تحقيق أو تقريب الزمان الماضي من الحاضر. نحو قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ [الإنسان: 1].

- النفي: نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ والنفي "بهل" ليس نفيًا محضًا

بل هو استفهام أُشْرِبَ معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب، أو استنكار، أو غير ذلك من المعاني.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 215/22-216.

(2) _ مغني اللبيب، ابن هشام، ص 457.

(3) _ معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، 242/4.

(4) _ المرجع نفسه، 241/4. في النحو العربي، مهدي المخزومي 266. من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص 127.

- الإنكار: نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35].

وقد خرجت تراكيب الاستفهام بـ "هل" في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم عن دلالتها الأصلية، ومنها ما ورد في:

- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبِرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24]

وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن. فأما الكافر فصم عن الحق، فلا يسمعه، وعمي عنه، فلا يبصر. وأما المؤمن، فسمع الحق، وانتفع به، وأبصره، فوعاه، وحفظه، وعمل به⁽¹⁾.

وجملة (هل يستويان) واقعة موقع البيان للغرض من التشبيه وهو نفي استواء حالهما. ونفي الاستواء كناية عن التفضيل، والمفضل منهما معلوم من المقام أي معلوم تفضيل الفريق الممثل بالسميع والبصير على الفريق الممثل بالأعمى والأصم. والاستفهام هنا إنكاري. وأما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24]، استفهام آخر فيه تنبيه المشركين لما هم فيه من الضلالة لعلهم يتذكرون أمرهم. والهمزة استفهام وإنكار انتفاء تذكركم واستمرارهم في ضلالهم⁽²⁾.

- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مَتْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 75].

وجاءت صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ لمراعاة أصحاب الهيئة المشبهة، لأنها أصنام كثيرة كل واحد منها مشبه بعبد مملوك لا يقدر على شيء، فصيغة الجمع هنا تجريد للتمثيلية، أي هل يستوي أولئك مع الإله الحق القادر المتصرف. وإنما أُجري ضمير جمعهم على صيغة الجمع تغليبا لجانب أحد التمثيلين. وهو جانب الإله القادر⁽³⁾. فالاستفهام هنا كان إنكارا، واستبعاد للاستواء، فالغلبة للمولى الخالق القادر.

- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: 76].

(1) _جامع البيان، الطبري، 292/15.

(2) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 237/11.

(3) _المرجع نفسه، 182/13.

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ استفهام إنكار ونفي لاستواء الرجلين: الأبكم الكَلَّ على مولاه، ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.

-قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ [الروم: 28].

إن هذا مثل تشبيه هيئة مركبة بهيئة مركبة، شبهت الهيئة المنتزعة من زعم المشركين أن الأصنام شركاء الله في التصرف ودافعون عن أوليائهم ما يريد الله من تسلط عقاب أو نحوه إذ زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله وهم مع ذلك يعترفون بأنها مخلوقة، هذه الهيئة شُبهت بهيئة ناس لهم عبيد صاروا شركاء في أرزاق سادتهم شركة على السواء، فصار سادتهم يحدرون إذا أرادوا أن يتصرفوا في تلك الأرزاق أن يكون تصرفهم مرضي لعبيدهم... ولذلك أُدخِل عليها استفهام الإنكار والحدود، لينتج أن الصورة المزعومة للأصنام صورة باطلة⁽¹⁾.

2-5- التركيب الأمري:

الأصل في الأمر أن يكون طلب الفعل على سبيل الإيجاب، كقوله تعالى: ﴿قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: 144]⁽²⁾. وهو طلب حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل⁽³⁾. وهذا ما أشار إليه سيبويه في كتابه، حين قال: «وأما الفعل، فأمثله أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يقطع، فأما بناء ما مضى، فذهب، وسمع، ومكث، وحمد. وأما بناء ما لم يقع، فإنه قولك أمرا: اذهب.»⁽⁴⁾.

فحصر سيبويه الأمر في الدلالة على المستقبل، وفي هذا الصدد يقول علي جابر المنصوري « زمن المستقبل له صيغة تدل عليه، وهي صيغته فعل الأمر»⁽⁵⁾. وجاء في الكليات: «الأمر في اللغة هو

⁽¹⁾ _التحريم والتنوير، ابن عاشور، 45/21.

⁽²⁾ _من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار النهضة المصرية، 2005، ص 129.

⁽³⁾ _همع الهوامع، السيوطي، 7/1.

⁽⁴⁾ _الكتاب، سيبويه، 12/1.

⁽⁵⁾ _الدلالة الزمانية في الجملة العربية على جابر المنصوري، الدار العلمية، عمان الأردن، ط1 (202)، ص 73.

الفصل الرابع:.....(المفردون الترتيبي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء»⁽¹⁾. وذكر السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن" أن الأمر هو « طلب فعل، وصيغته افعل وليفعل»⁽²⁾. وقد يرد الأمر لغير الإيجاب، فيكون:⁽³⁾.

-للدعاء كقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

-التهديد: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: 40].

- التعجيز: كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: 38]

-الإباحة: كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: 2].

وبالعودة إلى الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم يتبين لنا أن التركيب الأمري اتخذ صوراً لفظية، وأنماطاً تعبيرية مختلفة، فتارة كانت جملة الأمر ذات فعل لازم. ووردت في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: 26]. وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: 10]، وفي قوله عز شأنه ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11].

وتارة أخرى كانت جملة الأمر ذات الفعل المتعدي أكثر حضوراً. وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]. وقوله أيضاً: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: 20-21] وقوله: ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِالْقِصَّةِ لَعَلَّخُفَّكَ يَنْفِكِرُونَ﴾ [الأعراف: 176]. قوله أيضاً: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ﴾ [الحديد: 20].

وتبعاً لتعدد الصور اللفظية- الأنماط الشكلية- للتركيب الأمري تنوعت دلالات الأمر وتعددت، ومنها:

(1) _الكليات، أبي البقاء الكفوي، 25.

(2) _الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 219/2.

(3) _المرجع نفسه، 219/2، من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ص 129.

1- الدعاء: ومنه، قوله تعالى: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْتِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11].

2- الوعظ والتوجيه والإرشاد: ومنه:

- قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]. ومن شأن القصص المفتحة بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أن يقصد منها وعظ المشركين بصاحب القصة بقرينة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾⁽¹⁾.

- قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176].

- وإن في قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ تذييل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن. لأن في القصص تفكرا وموعظة فيرجى منهم- المشركين- التفكير، لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنا عظيما في اهتداء النفوس، وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة والمتغافلة. و لما في التنظير بالقصة من تذكير مشاهدة الحالة بالحواس بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس⁽²⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ [الكهف: 32].

3- الإخبار المؤكد والمحقق وقوعه: ومنه قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20].

﴿إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: 25].

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: 26].

- وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ أي وجبت لك الجنة فهو خير استحق دخول الجنة⁽³⁾.

(1) _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 350/8.

(2) _ المرجع نفسه، 355/8.

(3) _ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني، ص 76.

4/ العرض: فيه قوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس 20-21].

5- النهي: والنهي كان عن عبادة غير الله واتخاذ شريكا له، ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: 73].

3/ ظواهر تركيبية في الأمثال القياسية:

3-1-الحذف:

يعد الحذف من أساليب الإيجاز البلاغية، عرفه الرماني بأنه: «إسقاط الكلمة للاجتراء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام»⁽¹⁾.

ويرى النحاة أن الأصل في الكلام الذكر، ولا يحذف منه شيء إلا بدليل سواء أكان هذا الدليل معنويا، أي يقتضيه المعنى، أم صناعيا تقتضيه الصناعة النحوية، وسواء تدل عليه قرينة لفظية أم تدل عليه قرينة المقام⁽²⁾. وهذا ما ذكره ابن هشام في قوله: «إن دليل الحذف نوعان أحدهما غير صناعي وينقسم إلى حالي ومقالي. والثاني صناعي. وهذا ما يختص بمعرفة النحويون، لأنه إنما عرف من جهة الصناعة. كقوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: 1] والتقدير (لأننا أقسم بيوم القيامة)⁽³⁾.

وأشار في موضع آخر إلى الحذف الذي يختص به النحوي، بقوله: «الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة. وذلك بأن تجد خيرا بدون مبتدأ أو بالعكس أو شرطا بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفا بدون معطوف عليه، أو معمولا بدون عامل»⁽⁴⁾. وحدد شروطا للحذف منها أن لا يكون ما يحذف كالجزء، وأن لا يكون مؤكدا، وأن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، وأن لا يكون عاملا ضعيفا، وألا يكون عوضا عن شيء، وأن لا يؤدي حذفه إلى تهية العامل للعمل وقطعه عنه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان العامل القوي ثم قطعه عنه⁽⁵⁾.

(1)- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص 76.

(2) _ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص 80.

(3) _ مغني اللبيب، ابن هشام، ص 789.

(4) _ المرجع نفسه، ص 789.

(5) _ المرجع نفسه 790

ويصور الجرجاني الحذف على أنه: «باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُب»⁽¹⁾.

ويفرق الزركشي صاحب البرهان بين الحذف، والإضمار، والإيجاز، بقوله «أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف مقدر، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَعَلَ الْقَرِيَةَ﴾ [يوسف: 82] بخلاف الإيجاز، فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمّة بنفسه.». ويفرق بينه وبين الإضمار، بقوله: «أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 31] وقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [الفتح: 6] وقوله: ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: 171] أي اتوا أمرا خيرا لكم وهذا لا يشترط في الحذف.»⁽²⁾

وقد تعددت صور الحذف في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم، فجاء منها:

1/- حذف المفعول به في المواضع الآتية:

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14]

فقد حذف مفعول الفعل "عززنا" والتقدير (فعززناهما بثالث). وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه، ولأن المقصود ذكر المعزز به.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: 20]. فحذف مفعول الفعل شاء هنا. وحذف مفعول المشيئة كثير في القرآن الكريم، وقد ذكر الجرجاني هذا في كتابه دلائل الإعجاز حين قال: «متى كان مفعول المشيئة أمرا عظيما أو بديعا غريبا كان الأحسن أن يذكر ولا يضم، يقول الرجل يخبر عن عزة نفسه، لو شئت أن أرد على الأمير رددت. ولو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيت، فإذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف، كقولك: لو شئت خرجت، ولو شئت قمت، ولو شئت لأنصفت»⁽³⁾.

⁽¹⁾ _دلائل الإعجاز، الجرجاني، 146.

⁽²⁾ _البرهان، الزركشي، 102/3.

⁽³⁾ _دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 127.

وجاء في الكشاف: « ومفعول "شاء" محذوف، لأن الجواب يدل عليه، والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم، لذهب بها»⁽¹⁾.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولُ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٣٢﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: 24].

ففي قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الإيجاز، تقديره إلا أن تقول إلا أن يشاء الله أو إلا أن تقول إن شاء الله.

-قوله تعالى: ﴿يَكَاذِبُونَ يَخْتَفُونَ بَصَرَهُمْ كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: 20]. يستعمل الفعل أضاء قاصرا ومتعديا باختلاف المعنى... والظاهر أن أضاء هنا متعد ومفعوله محذوف لدلالة مشوا عليه، وتقديره المشى أو الطريق، أي أضاء لهم البرق الطريق⁽²⁾.

-قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]. فمفعول "يبصرون" محذوف لقصد عموم نفي المبصرات، فترل الفعل منزلة اللازم، وكأنه قال (لا إحساس بصر لهم)⁽³⁾.

2/- حذف الخبر في الموضعين التاليين:

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: 35]. فخبر المبتدأ ﴿مَثَلُ﴾ محذوف تقديره (فيما قصصناه عليكم مثل الجنة)⁽⁴⁾.

-قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد: 15]. فمثل هنا مبتدأ خبره محذوف تقديره ما سيوصف، أو ما سيتلى عليكم، أو مما يتلى عليكم⁽⁵⁾.

3/- حذف جواب الشرط:

- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: 19].

⁽¹⁾ _ الكشاف الزمخشري، 155/1، التحرير والتنوير، ابن عاشور، 316/1.

⁽²⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 316/1.

⁽³⁾ _ المرجع نفسه، 307/1.

⁽⁴⁾ _ الكشاف، الزمخشري، 532/2.

⁽⁵⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 08/26.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73].
فجواب لو محذوف لدلالة ما قبل عليه⁽¹⁾. وهو إظهار لعجز ما يُعبد من دون الله. والله هو الأحق بالعبادة.

4/- حذف المبتدأ: في قوله تعالى: ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَزِجُوعُونَ﴾ [البقرة: 18]
فكل من "صم" "بكم" "عمي" أخبار لمبتدأ محذوف، وهو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير مثلهم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: 17] وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفاً بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع، فيقولون فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان⁽²⁾.

3-2- التقديم والتأخير.

هو أحد أساليب البلاغة، أتى به العرب دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق⁽³⁾. وقد ورد ذكره في دلائل الإعجاز للجرجاني حين قال: « هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر، فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»⁽⁴⁾.
وتقسم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين: ⁽⁵⁾.

الأول: تقديم اللفظ على عامله: ومنه تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم

الظرف والجار والجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ، وهذا التقديم يفيد في الغالب الاختصاص.
وهذا أكثر في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 05].
وإذا ما تأملنا هذه الظاهرة- التقديم والتأخير- في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم وجدناها حاضرة جليلة للعيان. ومن أمثلة ما ورد في الأمثال القياسية مما قدم فيه اللفظ على عامله ما يلي:

- قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ

⁽¹⁾ -روح المعاني، الألو سي 192/9.

⁽²⁾ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 308/1.

⁽³⁾ - البرهان، الزركشي 233/3.

⁽⁴⁾ -دلائل الإعجاز، الجرجاني ص 31.

⁽⁵⁾ -التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي ص 51

عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَعِ زَبْدٍ ﴿﴾ [الرعد: 17].

فتقديم المسند على المسند إليه في قوله ﴿زَبْدٌ مِّثْلُهُ﴾ إنما كان للاهتمام بالمسند "زبد"، لأنه موضع اعتبار ببدیع صنع الله تعالى، إذ جعل الزبد يطفوا على أرق الأجسام، وهو الماء، وعلى أغلظها وهو المعدن، فهو ناموس من نواميس الخلق". وبالتقديم يقع تشويق السامع إلى ترقب المسند إليه⁽¹⁾.

- قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44].

فقدّم المسند على المسند إليه في قوله (هنالك الولاية)، وتقديره: الولاية لله الحق هنالك، أي في يوم القيامة⁽²⁾. فقدّم الظرف (هنالك) على المبتدأ (الولاية).

- قال تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَدَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 177].

يلاحظ تقديم المفعول به (أنفسهم) على الفعل يظلمون، وتقديمه إنما كان للاختصاص أي ما ظلمهم الله، ولكنهم ما ظلموا إلا أنفسهم. وشأن العاقل ألا يؤذي نفسه، وفيه إزالة تبجحهم بأنهم لم يتبعوا محمد ﷺ -ظنا منهم أن ذلك يغيظه ويغيظ المسلمين، وإنما يضررون أنفسهم⁽³⁾.

- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15].

لقد قدّم المسند على المسند إليه في قوله تعالى (فيها أنهار)، فقدم الجار والمجرور (فيها) على المبتدأ (أنهار).

الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل: وله أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، وقد ذكرها الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" حين قال « ما قدّم والمعنى عليه، ومقتضياته كثيرة منها: السبق، وهو أقسام منها، السبق بالزمان، والإيجاد، وسبق الإنزال،

⁽¹⁾ _تفسير القرطبي، 411/10.

⁽²⁾ _المرجع نفسه، 411/10.

⁽³⁾ _التحريير والتنوير، ابن عاشور، 355/8 وانظر الكشاف، الزمخشري 179/2.

وسبق تزيه... والعلة والسببية والرتبة والداعية والغلبة والكثرة...»⁽¹⁾.

وإذا ما تصفحنا هذه الظاهرة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم اتضح لنا جليا معالم هذه الظاهرة، ومن أمثلة ذلك ما ورد في:

- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: 20].

فقدّم الجار والمجرور على المرفوع، لاشتمال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية للرسول وإصرارهم على تكذيبهم، فكان التقديم هنا لإرادة التبيكيت والتعجيب من حال المذكور وهم أصحاب القرية⁽²⁾.

ويظهر وجه تقدم "من أقصى المدينة" على "رجل" للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء، لأنهم لا يصدّهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترقق وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة. وقد جاء النظم على الترتيب الأصلي في قوله تعالى في سورة القصص ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [القصص: 20]، إذا لا داعي إلى التقديم إذ كان ذلك الرجل ناصحا، ولم يكن داعيا للإيمان⁽³⁾.

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35]

والمقصود هنا (كمصباح في مشكاة) وإنما قدّم المشكاة في الذكر، لأن المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشبه به هو مجموع المركب المتديء، بقوله (كمشكاة) والمنتهى بقوله (ولو لم تمسه نار) فلذلك كان دخول كاف التشبيه على كلمة مشكاة دون لفظ مصباح لا يقتضي أصالة لفظ المشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ (مصباح)، بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني بين تصور هذه الهيئة المتخيلة حين يلمح الناظر إلى انبثاق النور ثم ينظر إلى مصدر، فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة⁽⁴⁾.

- قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [يس: 14].

⁽¹⁾ _ البرهان ، الزركشي، 236/3 و. 275/3.

⁽²⁾ _ المرجع نفسه، 284/3.

⁽³⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 213/22.

⁽⁴⁾ _ المرجع نفسه 188/18.

فقدم الجار والمجرور هنا (إليكم) على (مرسلون) للاهتمام بأمر المرسل إليهم⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحریم 10]. فقد قدم الجار والمجرور (للذين) على المفعول به (امراة) للاهتمام بإيقاظ الذين كفروا..، فقد جعل الله هاتين المرأتين - امرأة نوح وامراة لوط - عظة وتنبها للذين كفروا، ليدكرهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف⁽²⁾.

-قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَدِدًا﴾ [الفتح: 29]. إن سبب تقديم محمد ﷺ على أصحابه في الذكر إنما هو شرف الفضيلة، كيف لا وهو أحق بذلك، فهو صفي الله، ومختاره، ورسوله في العالمين.

-قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الجمعة 5].

وفي تقديم التوراة على الإنجيل إشارة إلى سبق الإنزال، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾⁽³⁾ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان^ط [آل عمران: 3-4].

-قوله تعالى: ﴿تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَدِدًا بَتَّغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ﴾ [الفتح 29].

فتقديم الركوع على السجود كان لسبق وجوب، فالركوع أسبق من حيث الوجوب من السجود.

-قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20].

إن في تقديم اللعب على اللهو إشارة إلى سبق الزمني، ذلك أن اللعب زمن الصبا، واللهو زمان الشباب. وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو. وقدم اللعب على اللهو في أكثر من موضع، فقدم في سورة الأنعام، وكذلك في سورة القتال⁽³⁾.

(1) _الجدول في إعراب القرآن، الصافي، 208/22.

(2) _التحرير والتنوير، ابن عاشور، 335/2.

(3) _البرهان، الزركشي، 245/3.

أما تقديم الأموال على الأولاد، فهو من باب تقديم السبب، وإنما شرع النكاح عند القدرة على مؤونته فهو سبب. والتزويج سبب للتناسل، ولأن المال سبب للتنعيم بالولد، وفقده سبب لشقائه⁽¹⁾.

-قوله تعالى: ﴿صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]

إن صم وبكم وعمي جمع أصم وأبكم وأعمى، وهي أوصاف لمن اتصف بالصمم والبكم والعمى، والصمم انعدام إحساس السمع عن شأنه أن يكون سميعا. والبكم انعدام النطق عن شأنه النطق. والعمى انعدام البصر عن من شأنه الأبصار⁽²⁾.

وقد قدم السمع على البصر وهذا كثير في القرآن الكريم، وفي تقديمه إيدان بأهمية المقدم، وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل. وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى إفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه بخلاف البصر، فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى الجهات غير المقابلة⁽³⁾.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: 20].

فتقديم السمع على البصر كما ذكر الزركشي إنما سببه هو شرف الإدراك⁽⁴⁾. فكان السمع أسبق من البصر.

⁽¹⁾ _ البرهان، الزركشي، 248/3.

⁽²⁾ _ التحرير والتنوير، ابن عاشور، 310/1.

⁽³⁾ _ المرجع نفسه، 254/1.

⁽⁴⁾ _ البرهان، الزركشي، 254/3.

خلاصة الفصل:

إن عبارة القرآن عبارة خالية من أي خلل فني، متراسة الألفاظ بدقة وحسن في الرصف والترتيب قائمة على الوحدة العضوية، متسلسلة الأفكار يجمعها منطق في الصياغة وسلاسة في النظم⁽¹⁾.

- وإذا ما تأملنا بنية المثل القرآني- القياسي- التركيبية وجدناها قوية محكمة متناسقة الترتيب متراسة الألفاظ سامية المقاصد ثرية المعاني واضحة المغزى ولخصتها جملة النتائج التالية:
- إن تركيب الجملة القرآنية بناءً محكم متسق اللبنة لا تكاد تنبو الكلمة عن مكانها، فقد جاءت وفق أدق تنظيم حاملة بذلك أسرار ومقاصد دلالية جليلة.
 - جاء التوظيف القرآني للتراكيب القرآنية متنوعا بين الجمل الاسمية والفعلية، هذه الأخيرة صاحبة النسبة الأكبر في التواتر، حيث بلغ عددها 270 جملة، بينما لم يتعد عدد الجمل الاسمية 156 جملة أي حوالي النصف.
 - إذا ما تأملنا ذاك التنوع في توظيف الجمل -اسمية أو فعلية- وجدنا تنوعا آخر فيما شغلته تلك الجمل من محل إعرابي. فكانت مبيّنة للحال تارة وواصفة تارة أخرى كما سدت مسد الخبر في مواضع متفرقة، وجاءت مقول القول في مواضع أخرى فكانت في محل نصب مفعول به أو في محل رفع نائب فاعل.
 - جاء التعبير بالفعل في سياقات لا يصلح معها التعبير بالاسم والعكس.
 - تعددت التراكيب اللغوية في الأمثال القياسية وتنوعت بين الإخبار والنفي والشرط والاستفهام والأمر والنهي وتنوعت تبعا لذلك مقاصدها الدلالية.
 - شهدت بعض التراكيب اللغوية الواردة في الأمثال القياسية تقدما وتأخيرا لبعض عناصرها بحسب متطلبات المعنى ومقتضيات السياق. وقد ساهمت هذه الظاهرة اللغوية في إبراز المعنى وأداء مقاصد دلالية وأغراض سياقية جمالية.
 - يعد الحذف أحد أساليب الإيجاز له قيمته الاقتصادية في التعبير. سيق في الأمثال القياسية لمزيد من الإيضاح وتقريبا للصورة من الأذهان، وقد كان الحذف على أنماط مختلفة بدءاً بحذف كلمة كحذف المبتدأ أو الخبر أو المفعول به وصولاً إلى حذف جملة بأكملها كحذف جملة جواب الشرط.

⁽¹⁾ - الإعجاز الفني، عمر السلامي، ص 126.

الختامة

من أبرز النتائج التي تم الوصول إليها:

- كثيرا ما لازمت صفة الإيحاء اللفظة القرآنية في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم فجعلت الصورة دقيقة المعالم بعد أن منحنتها الحياة والحركة، لتدع المخيلة والذهن يبحثان عن المعنى المقصود والدلالة الخفية وراء كل مثل قياسي، فساهمت اللفظة القرآنية بدقة وضعها واختيارها في أداء المعنى مصحوبة في ذلك بقوة جرسها وما تحدثه من إيحاء وما تملكه من إيحاء لتجد في النفس قبولا وفي الذهن استيعابا .

- إن دراسة الصوت في القرآن- الأمثال القياسية- تكشف جانبا من جوانب إعجازه، فقد سيطرت الصوامت المجهورة على حساب الصوامت المهموسة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم إذ بلغت أعلى نسبة لها في الحقل الدلالي المشتمل على الأمثال القياسية المثلة للكافرين حيث وصلت 72,32%. أما الصوامت المهموسة فسجلت في كل الحقول الدلالية نسبة تكاد تكون متساوية وواحدة حيث شكلت حوالي الثلث من نسبة الصوامت.

- كما لعب الصائت دورا بارزا في تحديد المعنى حيث شكلت الفتحة القصيرة النسبة المئوية المهيمنة حيث وردت 1666 مرة بنسبة قدرت بـ 43,69% من مجموع الصوائت وتليها الكسرة القصيرة بنسبة 19,90% أما الضمة القصيرة فكانت الأقل تواتر بنسبة 13,92%.

- أما الفتحة الطويلة فكانت أكثر ترددا في كل الأمثال القياسية بنسبة تردد وصلت 31,14% مقارنة بالكسرة الطويلة التي بلغت بنسبة تردها 4,82% أما الضمة الطويلة فأقلهما تواتر بنسبة وصلت 3,33%.

- إن الوقوف على صفات الأصوات من شأنه أن يسهم في الكشف عن الجانب الدلالي الكثير من الكلمات ومن ثم الوصول إلى المعنى الدقيق من أقصر طريق.

-تنوعت المقاطع الصوتية في الأمثال القياسية وكانت على الشكل (ص ح) (ص ح ص) ش1، ش2، ش3، ش4، إلا أن الشكليين الأول والثالث أكثرها شيوعا.

- كثيرا ما كان في جرس الصوت ما يساعد على تحديد المقصود بالكلمة نظرا للعلاقة الطبيعية التي تجمع بين الصوت والمعنى تلك العلاقة التي تساهم في التعبير والإيحاء والتصوير والقدرة على التشخيص والتجسيد.

- كان الربط بين صفة الصوت وصفة الحدث وبين زمن الصوت وزمن الحدث من أهم

العوامل المساهمة في البيان القرآني فتناسب قوة الصوت مع قوة الحدث، فكانت الأصوات المجهورة بحضورها المكثف مناسبة لإظهار قوة وقدرة الله وإثبات وحدانيته وكما ساهمت في الإبانة عن التماسك والتلاحم بين الرسول ﷺ وأصحابه في حين كانت الصوامت المهموسة مناسبة للموقف والحدث فعبرت عن ضعف وقلة حيلة ما يعبد من دون الله من أصنام.

-وأما تناسب زمن الصوت وزمن الحدث فلنحظه في غلبة المقاطع الصوتية من الشكل الأول والتي عبرت عن حال الدنيا وسرعة زوالها وفناءها، نظرا لما يرافقها من سهولة في الأداء وسرعة في النطق.

-إن ما وظفه القرآن الكريم- الأمثال القياسية- من مقاطع قصيرة ومتوسطة جاء مناسباً لمقتضيات السياق والمقام فساهمت في إبراز المعنى وتحديد الدلالة المقصودة من كل مثل قياسي.

-بنية المثل القرآني القياسي الصرفية بنية فاعلة دالة، ساهمت كثيرا في الارتقاء بالمعنى وصولاً به إلى أقصى درجات الدقة والفاعلية. وظهر أثر هذه البنية الصرفية في ذلك التنوع في استخدام الصيغ- فعلية أو اسمية- بحسب ما يقتضيه الحال ووفق ما يتطلبه السياق فتولدت تبعا لذلك التنوع الوظيفي تنوع في الدلالات ودقة في المعاني.

-من خلال إحصاء الأفعال الواردة في الأمثال القياسية بناء على الحالة الفعلية للفعل من حيث بنائه للمعلوم وبنائه للمجهول تبين أن الفعل المبني للمعلوم كان أوفر حظاً بنسبة وصلت 96,77% مقارنة للفعل المبني للمجهول الذي بلغ تواتره نسبة قدرت بـ 3,22%.

-أظهر الإحصاء أن الأفعال تنوعت من ناحية الزمن، فكان منها الماضي، والمضارع، والأمر. إلا أن فعل الأمر كان أقلها حضوراً.

-مصادر الأفعال الثلاثية أكثر وروداً من مصادر الأفعال غير ثلاثية.

- تعددت صيغ المصادر وتنوعت موادها وفق ما يتناسب والسياق لتشكيل ملمحاً من ملامح الإعجاز الصرفي في القرآن.

-كانت الأسماء حضوراً من الأفعال.

-من مظاهر الإعجاز الصرفي في القرآن تنوع توظيف الصيغ المشتقة على هيئة جمالية تتلاءم والسياق والمقام الواردة فيه، فقد تنوعت هذه الصيغ المشتقة بين اسم فاعل، واسم مفعول، وصيغة مبالغة وصفة مشبهة باسم الفاعل، واسم تفضيل.

- من المشتقات الأكثر ورودا في الأمثال القياسية اسم الفاعل وتليه صيغ المبالغة ثم اسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل.
- كثيرا ما جاء التعبير عن صيغ اسم الفاعل الواردة في الأمثال القياسية بالجمع بدل المفرد فتناسب ذلك والمعنى العام للمثل القياسي الوارد فيه.
- اسم المفعول بمختلف صيغة لم يكن له حظ الورد إذا ما قورن باسم الفاعل وصيغ المبالغة، وتنوعت دلالاته بين الدلالة على الماضي أو الدلالة على الحال أو الاستقبال أو الدلالة على الاستمرارية أو الدلالة على الثبوت.
- أكثر صيغ المبالغة حضورا جاء على وزن "فعليل".
- يعد اسم التفضيل أقل المشتقات تواترا إذ تراوحت دلالاته بين التعبير عن معنى المفاضلة و الموازنة وبين الدلالة والتأكيد على ثبات الوصف.
- قلة ورود أسماء المكان وفي المقابل عدم ورود أسماء الزمان.
- عرف تركيب الجملة في الأمثال القياسية الواردة في القرآن الكريم بناء محكما متسق اللبنة لا تكاد تنبو الكلمة عن مكانها، فجاءت وفق أدق تنظيم حاملة بذلك أسرار ومقاصدا.
- جاء التوظيف القرآني للتراكيب الاسمية والفعلية وفق ما يقتضي المقام، فإن اقتضى المقام التعبير عن حدث متكررا أو متجددا لا يعرف الثبوت كانت التراكيب الفعلية حاضرة، وإن أريد التعبير عن الدوام والثبوت كانت التراكيب الاسمية هي الأنسب.
- لم ترد الجمل - العبارات - في الأمثال القياسية على وتيرة واحدة بل تنوعت فكانت جمل اسمية وأخرى فعلية مثبتة تارة ومنفية تارة أخرى.
- السمة الغالبة على الجمل الاسمية أو الفعلية أنها تتبع الترتيب الاعتيادي من تقدم للمسند على المسند إليه في الجمل الاسمية وتقدم للمسند في الجمل الفعلية.
- تنوع النظام التركيبي للجمل الواردة في الأمثال القياسية بين تركيب استفهامي وآخر شرطي وآخر أمري وآخر نداء أو نهي، وتركيب منفي وآخر مثبت مما ترتب عليه تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى آخر وفق ما يناسب المقام والسياق.
- شهدت بعض البنى التركيبية تقدم بعضها على بعض كتقديم المسند على المسند إليه في الجمل

الاسمية، وتقديم ماحقه التأخير كتقديم المفعول به على الفاعل والفعل في الجمل الفعلية، وما كان ذلك التقديم إلا للعناية والاهتمام قصدا إلى التأثير في المتلقي وبلوغ الحكمة من ذلك التقديم والتأخير.

-وأما العدول المعنوي- تقديم المعنى- فكأنه له حضور هو الآخر في الأمثال القياسية فشكل ملمحا من ملامح الإعجاز التركيبي في القرآن مما يدل على عظمة النص القرآني في توظيف كلماته.

- الحذف-ظاهرة أسلوبية- سيطرت على الأمثال القياسية في كثير من المواضع، فتارة حذف الفعل، وتارة حذف جواب الشرط، وأحيانا يحذف الخبر أو المبتدأ، وأحيانا يحذف المفعول به، وما كان الحذف حاضرا إلا لأداء مقاصد دلالية وأغراض سياقية جمالية.

- إن بنية المثل القرآني التركيبية بنية قوية محكمة متماسكة الأجزاء متناسقة الترتيب سامية المقاصد ثرية المعاني واضحة المغزى، استطاعت الكشف عما يحتويه المثل القرآني-القياسي- من وجوه الحسن في النظم والجودة في التركيب والدقة في المعنى.

-تساهم ثنائية التعريف و التنكير في توليد الدلالة وإثراء البنية التحتية للبنى والأنساق الكلامية.

-إن التوظيف القرآني لصيغ الإفراد والجمع أمر في غاية الدقة و التوافق والانسجام. فمتى كانت الحاجة في التعبير عن القلة أو التحقير أو إرادة الجنس كانت صيغة الإفراد أكثر حضورا وملائمة مما يوحي بالقصدية الدقيقة للتوظيف القرآني للألفاظ.

-ومتى كانت الحاجة إلى التعبير عن الكثرة لغرض التعظيم أو تأكيداً لصفة أو إظهاراً لحال جاءت اللفظة ناطقة وموحية وصورة متضمنة مغزى وعمقا عاكسة بصدق حقيقة اللفظة القرآنية في دقة اختيارها و حيويتها و دقة تصويرها و قوته مجسدة معالم الدقة و جودة الانتقاء و براعة التراكيب و بلاغة المعاني.

الفهارس

أولاً: فهرس الأمثال القياسية في القرآن الكريم

ثانياً: قائمة المصادر والمراجع.

ثالثاً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الأمثال القياسية في القرآن الكريم

1- الأمثال القياسية المضروبة لوحداية الله وقدرته:

أ/- قدرة الله وبطلان الشرك:

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقَكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ [الروم: 28].

ب/- تزييه الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ [آل عمران: 59].

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [النحل: 60].

ج/- عجز ما أشركه الكفار مع الله:

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْيَكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل: 57-76].

د/- بيان عجز ما يدعون من دون الله:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [العنكبوت: 41].

قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ

وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ [الحج: 73].

2/- الأمثال القياسية المضروبة للقرآن:

أ/- تمثيل القرآن:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

ب/- تمثيل الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17].

3/- الأمثال القياسية المضروبة لأصحاب الرسول:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

4/- الأمثال القياسية المضروبة للانفاق:

أ/- مضاعفة أجر المنفق:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

ب/- التمثيل المنفق المرائي:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ [البقرة: 264].

ج/- التمثيل المنفق المخلص الصادق:

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَانت أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ [البقرة: 265].

5/- الأمثال القياسية المضروبة للحياة الدنيا:

- تمثيل الحياة الدنيا بالنبات:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يِّنْفَكِرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: 24].

قال تعالى: ﴿وَاصْرَبْ لَهُمْ مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف: 45].

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد: 20].

6/- الأمثال القياسية المضروبة للجنة:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ

عُقِبَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقِيَ الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿ [الرعد: 35].

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: 15].

7/- الأمثال القياسية المضروبة لليهود:

أ/- تمثيل حالهم:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الجمعة: 5]

ب/ تكذيبهم محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف: 175-177].

8/- الأمثال المضروبة للمنافقين:

- وصف حالهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ

﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [البقرة: 14-20].

9/- الأمثال القياسية المضروبة للكافرين:

أ/- تمثيل أعمالهم:

قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٧١﴾ [البقرة: 171].

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ [آل عمران: 117].

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ ﴾ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: 18].

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٣٩﴾ [النور: 39].

ب/- عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن:

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾ [التحریم: 10-12].

ج/ - ما يجره الكافر على صاحبه في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسِّنَنَّكُمْ مِمَّا تَدَّابُ أَيْمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَاطِرٌ لَكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَفْقَهُوا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿يس: 13-29﴾ .

قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَطْعِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴿الكهف: 32-42﴾ .

د/- مقارنة بين الضال والمهتدي:

قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: 122].

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [هود: 24].

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

الكتب

1. ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط (1402هـ-1982م).
2. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ، دار الفكر، بيروت، د.ت.
3. أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية، فدوى حسان، علم الكتب الحديث، الأردن، ط1، (1432-2011) .
4. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن بن محمد بن حيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م.
5. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي بن محمد ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
6. أساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ط1، (1427هـ،2006م).
7. أساليب النفي في القرآن، أحمد ماهر البقري، دار المعارف، (1405هـ-1985م)،.
8. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شركة القدس، دار المدني بجدة، ط1، (1412-1991).
9. أسرار العربية، أبو البركات الانباري، تحقيق فخر صالح قدارة، ط1، دار الجيل، بيروت، 1995
10. أسرار العربية، عبد الرحمن بن أبي الوفاء، تحقيق فخر صالح قباوة، دار الجيل، بيروت.
11. أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن، صحي عمر شو، دار الفكر، ط1، 2009.
12. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادني، جدة، ط1، (د.ت).
13. الإشارة الجمالية في المثل القرآني، عشتار، داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب، ، دمشق 2005.
14. الأشباه و النظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
15. الأشباه والنظائر في القرآن، مقاتل بن سلمان البلخي، تحقيق عبد الله شحاته، دار غريب،

2001م.

16. الأصوات اللغوي، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو مصرية، د.ط، 1975.
17. الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط 1980.
18. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي. ط2. 1990.
19. أعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973.
20. الأمثال العربية القديمة رودلف زلهام تقدم رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة (1984-1404هـ)، بيروت.
21. الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية، إسماعيل الحمزاوي، د.ط، د.ت.
22. الأمثال العربية ومصادرها في التراث محمد أبو صوفة، مكتبة الأقصى، د.ت.
23. الأمثال العربية، دراسة تاريخية، تحليلية، عبد المجيد قطامش، ص11، دار الفكر، ط1 (1408هـ-1988م).
24. الأمثال في الأديان، فوزي شعبان، دار الأفاق العربية، ط3، 1423هـ-2003م.
25. الأمثال في القرآن، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط3، (1409هـ-1989م).
26. الأمثال في القرآن، دراسة موضوعية و أسلوبية، الصديق بن محمد بوعلام، دار أبي قراق، الرباط، ط1، (2008).
27. الأمثال في القرآن، محمد بن الشريف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط5، د.ت.
28. الأمثال القرآنية، دراسة تحليلية، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط1، (1421هـ، 2000م).
29. الأمثال القرآنية، دراسة لغوية جمال الدين ماينغ جنغ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013.
30. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، المدينة المنورة 1424هـ.
31. الأمثال الكامنة في القرآن، الحسين بن الفضل، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة التوبة، ط1 (1992-1412هـ) الرياض، السعودية.

32. الأمثال من الكتاب و السنة، أبي عبد الله محمد الترمذي. تحقيق السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ط1. 1985.
33. الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق عبد المجيد قطامش، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، (1400هـ).
34. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله الأنصاري، تحقيق يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر.
35. الإيضاح، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1424هـ، 2003م).
36. البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر عالم الكتب القاهرة، ط8، (2003).
37. البحث اللغوي عند الهنود، أحمد مختار عمر، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
38. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط، 1421هـ.
39. بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق هشام عطاء، عادل عبد الحميد، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى، ط1، (1416هـ-1996م).
40. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية. ط1، 1376هـ-1957م،
41. بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت.
42. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل عالم المعرفة، الكويت، 1992.
43. البلاغة فنونها وأفانها، فصل عباس حسن دار الفرقان، للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط2، (1409هـ-1989).
44. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1 (1994).
45. بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

46. البنيوية، جان بياحيه، ترجمة عارف منينة وبشير أويري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، (1985).
47. البنيوية في اللسانيات، محمد الحناش، دار الراشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
48. البنيوية و ما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، جون ستروك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996 م.
49. البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، ط 2، 2003م.
50. البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية بيروت، (1429 هـ-2008م).
51. البيان والتبين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، (1998).
52. التبيان في أمثال القرآن، محمد بن صلاح الشوادقي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2012م).
53. تجليات الدلالة الالغائية، فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، (1432هـ-2001م).
54. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1420-2000م).
55. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات مصر، ط1، (1426 هـ-2005م).
56. تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، صالح سليم فخري، عصمي للنشر والتوزيع، 1996م.
57. التصوير البياني في آيات الأمن والخوف، زينب عبد اللطيف الكردي، دار غراس، (1429هـ، 2008 م).
58. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (1386هـ-1966م).
59. التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، 1996.
60. التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين درا الشروق، ط1، 1973.

61. التعبير اللغوي في أمثال القرآن محمود السيد حسن، المكتب الجامعي، الحديث الإسكندرية.
62. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق ابراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
63. تفسير ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، (1420هـ-2000م).
64. تفسير القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض المملكة العربية السعودية، ط1423هـ-2003م.
65. التفسير القيم، ابن القيم الجوزية، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث الإسلامية بإشراف الشيخ ابراهيم رمضان، دار الهلال بيروت، ط1، 1410هـ.
66. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق وتقديم علي محمود، مجلة منشورات، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1986.
67. تهذيب اللغة، الأزهري تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.
68. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، 1976.
69. جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير أبو جعفر الطبري تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420-2000م).
70. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2007م..
71. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني و ابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط2، 1384هـ-1964م.
72. الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي، دار الشهاب، د.ت.
73. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، ط4، (1418).
74. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، إشراف وتقديم نور الدين عتر، درا المكتبي، سورية، ط1، (1415هـ-1994م).

75. الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي ،تحقيق مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الاسكندرية.
76. الجملة العربية تألفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان الأردن، ط2 (1427هـ-2007م).
77. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ، تحقيق محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطامش. دار الفكر، ط2، 1988.
78. الجنى الداني في حروف المعاني صنفه الحسين بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1992م..
79. الحيوان، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1384هـ.
80. الخصائص، ابن جني،تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب،بيروت،د.ت.
81. الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، عالم الكتب،القاهرة،ط3(1405هـ-1985م).
82. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ط3، (1985).
83. دراسات في المثل العربي المقارن، عبد الرحمن التكريتي، د.ت.
84. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (1972).
85. الدلالة الزمانية في الجملة العربية على جابر المنصوري، الدار العلمية، عمان الأردن ، ط1 (2002).
86. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دار الفكر،ط1،(1428هـ، 2007م).
87. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب القاهرة، ط 12، د.ت.
88. روح المعاني، الألويسي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،(1421هـ،2000م).
89. زمن الفعل في اللغة العربية، عبد الجبار توامة، قرائنة وجهاته دراسات في النحو العربي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

90. الزمن في القرآن، بكرى عبد الكريم، دار الفجر للنشر و التوزيع، د.ت.
91. الزمن واللغة، مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
92. زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، ط1، دار الثقافة المغرب، 1981م.
93. الزوائد في صيغ العربية، زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، 2008م.
94. الزينة في الكلمات الإسلامية، أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، علق عليه. حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة، 1957.
95. سر صناعة الأعراب، ابن جني، دار القلم، دمشق، تحسين عبد الرضا، تحقيق حسن هندراوي، ط1، (1985).
96. السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، على آيت أرشان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 (1421هـ-م2000).
97. السيماء بيير غيرو سلسلة زتي علما، ط1، 1984.
98. شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، شرحه وفهرسه واعتنى به عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1419هـ-م1998).
99. شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الرحمن محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (686هـ). دار الكتب العلمية، بيروت د.ت .
100. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط11، (1383هـ)، القاهرة.
101. الصاحي في فقه اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1418هـ، 1998م).
102. الصرف الوافي هاد نهر دار دروب، النشر والتوزيع، ط2011.
103. الصناعيتين، أبو هلال العسكري، القاهرة 1966.
104. الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن، محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، (2008).

105. الصوت والفنولوجيا، مصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر، العاصمة. د.ت.
106. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، تحسين عبد الرضا، دار دجلة، ط1، (2011).
107. الصورة الفنية في الأمثال القرآنية، محمد الصغير، حسين علي، ، دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشد، دمشق، 1981.
108. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، 1914م، د.ط.
109. الظاهرة الدلالية، صلاح الدين زرال الدار العربية، ناشرون، ط1، (1429هـ-2008م).
110. العقد الفريد، ابن عبد ربه تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين أحمد الأنباري، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1384هـ.
111. علم الأصوات، كمال بشر، درا غريب، ط (2000).
112. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، منقور عبد الجليل اتحاد الكتاب العربي 2001، دمشق.
113. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل، إربد، ط1، 2007م.
114. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1430، 7هـ، 2009م.
115. علم الدلالة، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (1973).
116. علم الدلالة، فريد عوض حيدر ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط2، 1999م.
117. علم الصرف العربي، صبري المتولي، دار غريب، القاهرة، 2002.
118. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يؤئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطلي، دار آفاق عربية، بغداد.
119. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
120. علم المعاني، عبد العزيز عتيق،، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1974م .
121. علوم القرآن، عبد الله محمود شحاتة، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2002.

122. العمدة ، ابن رشيق، القاهرة، ط 1307هـ.
123. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
124. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق حسام الدين البهناوي، دار زاهد القدسي، القاهرة، د.ت.
125. الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط3، (1403-1983م).
126. فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق اميلين نسيب، دار الجليل بيروت، ط1، (1418هـ-1998م).
127. الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي، ضيف، دار المعارف، ط1، د.ت.
128. الفهرست، محمد بن اسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ-1978م.
129. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، (1406هـ-1986م).
130. في نشأة التعابير المثلية عند العرب، تعريب مبروك المناعي، مجلة الكراسات التونسية عدد 139-140، مجلد 35 لسنة 1987.
131. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تراث بإشراف محمد نعيم ، مؤسسة الرسالة، ط3، (1430هـ-2009).
132. الكتاب، سيوبه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، مصر، 1982م.
133. كشف اصطلاحات الفنون للتهاوني، تحقيق لطفي عبد البديع، راجعه أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م.
134. الكشاف عن حقائق وغوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، 1407هـ.
135. الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، دار المعارف، بجامعة الاسكندرية، ط2، (1996).

136. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ.
137. اللباب في علل البناء والاعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر دمشق، ط1، 1995.
138. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط1، د.ت.
139. اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن ديوان، المطبوعات الجامعية، (2000)،
140. اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، (1986م).
141. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط5، (1427-2006م).
142. مباحث علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، (1998).
143. مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
144. مبادئ اللسانيات البنوية، الطيب دبة، دار القصة للنشر 2001.
145. المثل السائر، ابن الأثير، في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، م1995.
146. مجاز القرآن، أبو عبدة معمر بن المثني، تحقيق محمد فؤاد، مكتبة الخانجي القاهرة، د.ت.
147. مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، 1959.
148. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها أبو الفتح عثمان بن جني المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، 1420هـ-1999م.
149. مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، مصطفى أكرور، دار الخلدونية، ط2013.
150. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، (1985).

151. المزهري في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
152. المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
153. معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط2، (1428هـ-2007م).
154. معاني النحو، صاح فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفكر، عمان، ط1 (1420-2000م).
155. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969م.
156. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مكتبة الحلبي، القاهرة، 1922م.
157. معجم الفروق الدلالية في القرآن، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، 2008.
158. المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية صوالحي، محمد خلف الله أحمد القاهرة ط 2. 1392هـ.
159. معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت ط2، 1991.
160. معنى اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د.مازن المبارك ومحمد علي حمد لله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985.
161. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ-2000م).
162. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
163. المفتاح في الصرف أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، حققه علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1407-1987).
164. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان دواوي، دار العلم، بيروت، 1412هـ.

165. المفصل في علم العربية، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق فخر ضخر قدارة، دار عمار، الأردن، ط1، 1425هـ-2004م.
166. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق محمد عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب 1423هـ/2002م،
167. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب 1963هـ.
168. من أسرار التعبير من القرآن صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، ط (1983)الرياض.
169. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، (1994).
170. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار النهضة المصرية، 2005.
171. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، ط1، 1986 .
172. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3.
173. منهج البحث اللغوي علي زوين، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط1، 1986 .
174. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط15، (د.ت).
175. نزهة الأعين النواظر في علم لوجوه والنظائر، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم، كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ-1984م.
176. نظرات في التمثيل البلاغي، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1 (1401هـ-1981م).
177. نظرية البناية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، (1985).
178. نظرية السياق القرآني، المثني عبد الفتاح محمود دار وائل للنشر عمان، 2008.
179. نقد النثر، قدامة بن جعفر، ط 1302هـ.

180. النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.
181. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، تحقيق سعد سليمان حمودة، دار المعرفة، 2008.
182. النواسخ الفعلية والحرفية، دراسة تحليلية مقارنة، أحمد سليمان ياقوت، دار المعارف، مصر، 1984.
183. همع الموامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تعليق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوظيفية، مصر، د.ت.
184. الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، (1428-2007م).

-الدواوين:

185. الأعشى، دت، دط.
186. جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ-1986م.
187. زهير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ-1988م.
188. لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، دت، دط.
189. النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1416هـ-1996م.

-رسائل الجامعة:

190. السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة أم القرى، الباحث سعيد بن محمد الشهراني.
191. وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، إشراف حسن الصادق الأسود، الجامعة التونسية، كلية منوبة، 1993/1994.

-مجلات ودوريات:

192. أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بودرع. جامعة عبد الملك السعدي تطوان، مجلة الإحياء، العدد 25.

193. التشبيه بين التركيب النحوي والدلالة عند البلاغيين العرب القدامى، بقلم هشام الريفي، حوليات الجامعة التونسية العدد 28، سنة 1988.
194. التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة، عند العرب، بقلم أحمد الحذيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد 31 (1990م).
195. دلالة أفعال اليقين إبراهيم خليل أبو غالية، مجلة القدس للأبحاث والدراسات، عدد 32 شباط، 2014م .
196. الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية أهميته مصطلحاته وأغراضه، عبد الفتاح محمد مجلة، جامعة دمشق، مجلد 22، العدد (2+1)، 2006.

مراجع باللغة الأجنبية:

197. L.H Hjelmslev sémantique structurale Essais, 1951, (1980)
198. cours de Linguistique générale, f. de SAUSSURE. Editions Talantikit , Bejaia, 2002 .
199. john lyons, Elemenys de sémantique, trd Durand , la rousse ,1978.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-و	مقدمة
الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات	
1	1-البنوية مفهومها ونشأتها.
3	2-الدلالة بين اللغة والاصطلاح.
7	3-أهم النظريات الدلالية
7	-النظرية السياقية
13	-نظرية الحقول الدلالية
19	4- المثل مفهومه وأنواعه
21	-تعريف المثل
23	-أنواع المثل
25	-ملامح المثل في التراث العربي
30	-الفرق بين المثل والحكمة
34	-الفرق بين المثل والقصة
37	-الفرق بين التمثيل والتشبيه الاصطلاحي
40	5- المثل القرآني مفهومه وأنواعه.
40	-المثل القرآني
43	-أنواع المثل القرآني
48	-ضرب المثل
51	-خصائص وسميات المثل القرآني
53	-أهمية الأمثال القرآنية
الفصل الثاني: المكون الصوتي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية	
56	1-الصوت اللغوي

59	2- جهاز النطق
62	3- تصنيف الأصوات العربية
75	3-1- الصوامت تعريفها ودلالاتها
88	3-2- الصوائت تعريفها ودلالاتها
97	4- المقاطع الصوتية ودلالاتها في الأمثال القياسية
102	5- النبر مفهومه ودلالاته
106	6- التنغيم مفهومه ودلالاته

الفصل الثالث: المكون الصرفي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية

114	الميزان الصرفي
115	الصيغة الصرفية
116	1- الفعل في الأمثال القياسية
116	أ- التجرد والزيادة
133	ب- الدلالة الزمانية للفعل
146	ج- البناء للمعلوم والبناء للمجهول
151	2- الاسم
152	2-1- المصادر ودلالاتها في الأمثال القياسية
159	2-2- أبنية المشتقات ودلالاتها
160	- اسم الفاعل
164	- اسم المفعول
167	- الصفة المشبهة
170	- صيغة المبالغة
173	- اسم التفضيل
175	2-3- التعريف والتكنير

187	4-2- الإفراد والجمع
الفصل الرابع: المكون التركيبي وأثره الدلالي في الأمثال القياسية	
200	1- الجملة في الأمثال القياسية:
204	أ/ الجملة الفعلية الوظيفية:
216	ب/ الجملة الاسمية الوظيفية:
226	2- التراكيب اللغوية و دلالاتها
227	- التركيب الشرطي
239	- التركيب الإخباري
241	- تركيب النفي
251	- تركيب الاستفهام
257	- تركيب الأمر
260	3- ظواهر تركيبية
260	- الحذف
263	- التقديم والتأخير
270	خاتمة.
275	فهرس الأمثال القياسية في القرآن الكريم.
283	قائمة المصادر والمراجع.
	فهرس الموضوعات.